

الكتاب: علم اللغة العربية

مقدمة

هذا الكتاب محاولة لتقديم الأسس العامة للبحث التاريخي والمقارن في اللغة العربية. ويقوم هذا الكتاب على النظرية العامة لعلم اللغة الحديث من جانب، وعلى الاهتمام بالتراث اللغوي العربي من الجانب الآخر.

فإذا كان علم اللغة الحديث قد حقق بمناهجه الدقيقة تقدماً ملحوظاً في مجالاته المختلفة، فإن الإفادة من وضوح الرؤية ودقة المناهج التي طورها علم اللغة في القرنين التاسع عشر والعشرين قد أصبحت ضرورة علمية. لقد شغل عدد من الباحثين بدراسة النحو المقارن للغات السامية، وأتاح هذا المنهج رؤية جديدة للعربية في ضوء اللغات السامية. واهتم كثير من الباحثين في اللغات المختلفة بقضية التأريخ اللغوي، ولا يزال البحث في اللغة العربية بحاجة إلى جهود كثيرة تفيد من كل المصادر المتاحة لإيضاح الجوانب المختلفة من تاريخ اللغة العربية.

وهدف هذا الكتاب أن يقدم للدارسين والطلاب في صورة مركزة الملامح العامة والمعلومات الأساسية للبحث العلمي في اللغة العربية في ضوء النظرية الحديثة لعلم اللغة العام وعلم اللغات السامية المقارن والتراث العربي، وآمل أن يحقق هذا الكتاب ما ينشده القارئ من وضوح موضوعي ورؤية علمية

محمود فهمي حجازي

(3/1)

الفهرس

الفصل الأول: اللغة والحياة اللغوية

1- طبيعة اللغة 10

2- وظيفة اللغة 16

الفصل الثاني: علم اللغة الحديث

1- علم اللغة وعلم النصوص القديمة 31

2- علم اللغة المقارن 35

3- علم اللغة الوصفي 37

4- علم اللغة التاريخي 39

- 5- علم اللغة التقابلي 40
- 6- علم اللغة والبحث النحوي 42
- 7- علم اللغة العام 43
- 8- التسميات المختلفة لعلم اللغة 47
- 9- علم اللغة وعلم النفس 48
- 10- علم اللغة والعلوم الاجتماعية 51
- 11- علم اللغة وتعليم اللغات 52
- 12- علم اللغة بين العلوم 54
- الفصل الثالث: علوم اللغة في التراث العربي
- 1- النحو وعلم العربية 59
- 2- اللغة وعلم اللغة وفقه اللغة 65
- 3- علم اللسان وعلوم الأدب والعلوم العربية 68

(5/1)

الفصل الرابع: كتب طبقات النحويين واللغويين

- 1- كتب الطبقات 73
- 2- كتاب الفهرست 75
- 3- كتب التراجم 76
- 4- المراجع العامة الحديثة في التراث 81
- الفصل الخامس: المكتبة النحوية
- 1- كتاب سيبويه والنحاة البصريون 84
- 2- النحاة الكوفيون في القرن الثاني والثالث 87
- 3- نحاة القرن الرابع 88
- 4- الكتب النحوية التعليمية والمنظومات 91
- 5- الموسوعات النحوية والشروح 92
- الفصل السادس: المكتبة اللغوية
- 1- جمع اللغة وتأليف المعاجم 95
- 2- معاجم الترتيب الصوتي 99

- 3- معاجم الترتيب الهجائي 103
- 4- مصادر المعاجم الموسوعية 105
- 5- المعاجم الدلالية الخاصة 109
- 6- المعاجم الموضوعية 113
- 7- كتب الأبنية الصرفية 114
- 8- كتب التشقيف اللغوي ولحن العامة
- 9- كتب الموضوعات الصوتية 117
- الفصل السابع: المنهج المقارن وتصنيف اللغات
- 1- تصنيف اللغات 119
- 2- العرب واللغات الأجنبية 122
- 3- الأوروبيون والمقارنات 124
- 4- نشوء علم اللغة المقارن 126

(6/1)

الفصل الثامن: اللغات السامية بين اللغات الأفروآسيوية

- 1- اللغات الأفروآسيوية 131
- 2- اللغات السامية 132
- 3- اللغات السامية واللغة المصرية القديمة 134
- 4- اللغات السامية واللغة الليبية القديمة 135
- الفصل التاسع: الخصائص المشتركة في اللغات السامية:
- 1- الأصوات 139
- 2- بناء الكلمة 142
- 3- بناء الجملة 147
- 4- الألفاظ الأساسية 148
- الفصل العاشر: التوزيع الجغرافي والتاريخي للغات السامية
- 1- الفرع الأكادي 151
- 2- الفرع الكنعاني 157
- 3- الفرع الآرامي 172

- 4- العربية الجنوبية 183
- 5- اللغات السامية في الحبشة 187
- الفصل الحادي عشر: العربية في ضوء اللغات السامية
- 1- الخطوط السامية والواقع الصوتي 194
- 2- القوانين الصوتية 197
- 3- أصوات عربية تختلف عن السامية الأولى 200
- 4- الضمائر 202
- 5- الأسماء الثنائية 205
- 6- الأفعال 208
- 7- تحديد الجذور 208
- 8- الألفاظ المشتركة 209
- 9- الدخيل في ضوء اللغات السامية 211

(7/1)

-
- 10- المقارنات اللغوية وتاريخ الألفاظ 213
 - الفصل الثاني عشر: العربية في جزيرة العرب
 - 1- النقوش العربية القديمة 217
 - 2- اللهجات العربية واللغة الفصحى 224
 - 3- قضية الاستخدام اللغوي واللهجات 234
 - الفصل الثالث عشر: العربية في المشرق الآسيوي
 - 1- موجات التعريب في المشرق 339
 - 2- العربية في العصر الأموي 242
 - 3- الجاحظ وملاحظاته اللغوية 254
 - 4- العربية بين البداوة والحضارة 251
 - 5- العربية في القرن الرابع 257
 - 6- الهمداني والحياة اللغوية 261
 - 7- المقدسي والحياة اللغوية 263
 - 8- العلاقات اللغوية من القرن الخامس 267

الفصل الرابع عشر: العربية في القارة الأفريقية

1- تعريب مصر والنوبة والسودان 271

2- المغرب وتعريب البربر 280

3- العربية جنوب دول المغرب 288

4- العربية لغة الدين والثقافة الإسلامية 294

الفصل الخامس عشر: اتجاهات التغير في البنية والمعجم

1- التغير في البنية 299

2- نمو المفردات العربية 309

ببليوجرافيا مختارة بالكتب العربية في الدراسات اللغوية 317

ببليوجرافيا مختارة بالكتب الأوروبية في علم اللغة العام

وعلم اللغات السامية وعلم اللغة العربية 353

(8/1)

الفصل الأول: اللغة والحياة اللغوية

مدخل

...

الفصل الأول: اللغة والحياة اللغوية

هناك تعريفات كثيرة للغة عرفت الدوائر العلمية المختلفة في شتى الحضارات. ويعد تعريف اللغة عند ابن جني "المتوفى 391هـ" من التعريفات الدقيقة إلى حد بعيد. قال ابن جني: حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم¹ وهذا تعريف دقيق يذكر كثيراً من الجوانب المميزة للغة. أكد ابن جني أولاً الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضاً أنها تستخدم في مجتمع فلكل قوم لغتهم. ويقول الباحثون المحدثون بتعريفات مختلفة للغة²، وتؤكد كل هذه التعريفات الحديثة الطبيعة الصوتية للغة والوظيفة الاجتماعية للغة، وتنوع البنية اللغوية من مجتمع إنساني لآخر.

1 الخصائص لابن جني 1/ 33، وتعريف ابن خلدون: اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام فلا بد

أن تصير ملكة متفرقة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم "المقدمة 1254" اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد "المقدمة 1252"

2 انظر: L.Bloomfield, Language, A set of postulates for the science of Language, in: Psycholinguistics ed. by Sol Saporta, P. 26–28

B. Bloch and G.L. Teager, Outline of Linguistic, Analysis, pp. 5–7

p. 10, Carroll, The Study of Language

وقد عرف كارول اللغة على النحو التالي: أية لغة من اللغات هي نظام بنيوي arbitrary vocal sounds ومن تتابعات الأصوات sequences of sounds التي تستخدم أو التي يمكن أن تستخدم في التعامل بين الأفراد interpersonal communication عند مجموعة من البشر، ويصنف الأشياء والأحداث والعمليات التي تتم في البيئة الإنسانية.

(9/1)

طبيعة اللغة

مدخل

...

1- طبيعة اللغة:

اللغة أولا وقبل كل شيء نظام من الرموز الصوتية، وتكمن قيمة أي رمز في الاتفاق عليه بين الأطراف التي تتعامل به، وقيمة الرمز اللغوي تقوم على علاقة بين متحدث أو كاتب هو المؤثر وبين مخاطب أو قارئ هو المتلقي. واللغة وسيلة التعامل ونقل الفكر بين المؤثر والمتلقي. وصدور هذه الرموز الصوتية اللغوية لأداء معان محددة متميزة يعينها المتحدث ويفهمها المتلقي - معناه اتفاق الطرفين على استخدام هذه الرموز للتعبير عن الدلالات المقصودة. وبهذا يكون هناك ارتباط غير مباشر بين الجهاز العصبي للمتكلم والجهاز العصبي للمخاطب وما اللغة إلا وسيلة الربط بينهما وأداة التعبير. فكل موقف

كلامي يشترط وجود متحدث ومتلق. وتتم عملية الكلام بأن يصدر الجهاز العصبي عند المتحدث أوامره إلى الجهاز النطقي عنده، فتصدر اللغة وتمضي على شكل موجات صوتية في الهواء فيتلقاها المتلقي بجهازه السمعي، ثم تنتقل بعد ذلك إلى جهازه العصبي فتترجم هذه الرموز الصوتية اللغوية إلى معانيها المرتبطة بها. واللغة وسيلة التعامل الاجتماعي الأولى في المجتمع الإنساني، أما وسائل الاتصال الأخرى مثل الإشارات الصوتية أو أعلام الكشافه فليست إلا محاولة بديلة للنظام اللغوي وهي تقوم أساساً على النظام اللغوي ولذا ليس لها بدونه وجود.

(10/1)

اللغة والكتابة

الرموز اللغوية Linguistic symbols رموز صوتية، ومعنى هذا

(10/1)

أن طبيعة اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة. فالكتابة في أحسن أحوالها محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي. وهذه المحاولة دقيقة أحياناً وغير دقيقة في أكثر الأحيان. والكتابة محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، فاللغة تسمع بالأذن والكتابة ترى بالعين، الكتابة محاولة لترجمة الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، والكتابة محاولة لنقل اللغة من بعدها الرمزي إلى البعد المكاني، فالظواهر الصوتية تتتابع في الزمن والحروف المكتوبة تتتابع في المكان. وإذا كانت اللغة في المقام الأول ظاهرة صوتية فمن الطبيعي أن يقوم البحث اللغوي بدراسة اللغة في صورتها الصوتية.

وعلينا أن نميز دائماً بين الطبيعة الصوتية للغة وكيفية تدوين هذه اللغة، فالخط العربي شيء واللغة العربية شيء آخر، الخط العربي ذو إمكانات معينة يحاول بها التعبير عن الواقع الصوتي. ويدون الخط العربي الأصوات الصامتة مثل الباء والسين والصاد ... إلخ والحركات الطويلة وهي: الضمة الطويلة والفتحة الطويلة والكسرة الطويلة بحروف الكتابة العربية. الخط يتعامل بالحروف، وعلم اللغة يتعامل بالأصوات. يحاول الخط العربي بشكل ما تدوين أصوات اللغة العربية إلا أن الحركات القصيرة وهي الضمة

والفتحة والكسرة ليست لها حروف في الخط العربي. ولذا فكتابتها أمر اختياري، ولكن الحركات القصيرة -شأنها شأن الحركات الطويلة والصوامت- عناصر أساسية في تكوين النظام اللغوي للعربية وكل اللغات. يؤدي تغيير الحركات إلى تغيير المعنى فالفرق بين ضرب المبني للمعلوم وضرب المبني للمجهول فرق في الحركات أدى إلى تحول في الصيغة وتغير في المعنى.

وثمة فرق أساسي بين مجموع الحروف ومجموع الأصوات في أنماط كثيرة من الكلمات العربية فالفعل الماضي: كتبوا، سافروا.... إلخ ينتهي بألف ليست لها أية دلالة صوتية. وعلى العكس من هذه الظاهرة نجد الحروف التي تكتب بها كلمات كثيرة أقل عددًا من الأصوات المكونة لها. وبعض الحركات

(11/1)

الطويلة لا تكتب في بعض الكلمات. مثل: هذا، هذه.... إلخ. وثمة فرق آخر بين الحروف والأصوات، ويتضح هذا الفرق بأن نلاحظ أن حرف الواو في الخط العربي يرمز إلى ظاهرتين صوتيتين مختلفتين في اللغة العربية، فالواو ترمز في تدوين الكلمات: ورد، ولد، إلى صوت صامت في العربية، بينما ترمز الواو نفسها في تدوين الكلمات خلود، سرور، شهود، إلى حركة طويلة في اللغة العربية. وكذلك حرف الياء في الخط العربي. فهو يرمز تارة إلى صوت صامت في الكلمات: يكتب، يلعب، وتارة أخرى إلى حركة في الكلمات: في، لي. ولهذا كله لا يجوز في بحث اللغة العربية -أو أية لغة أخرى- أن نتعامل بالحروف المكتوبة، بل علينا أن ندرس الأصوات اللغوية المكونة لهذه اللغة، محاولين في كل حالة أن نتبين الواقع الصوتي للغة مراعين مدى الاختلاف بين اللغة باعتبارها ظاهرة صوتية وكيفية تدوينها بالحروف.

(12/1)

النظام اللغوي:

الرموز الصوتية، التي يتعامل بها أبناء الجماعة اللغوية الواحدة محدودة، فأكثر اللغات تتعامل كل منها بحوالي ثلاثين رمزًا صوتيًا، وتتعامل كل اللغات الإنسانية مجتمعة بما لا يزيد على خمسين رمزًا صوتيًا لكل لغة منها نصيب، ولكن هذه الرموز المحدودة تعبر في

كل لغة من هذه اللغات الكثيرة عن أكثر ما يريد الإنسان التعبير عنه في كل مجالات الحياة والفكر. إنها ثلاثون رمزًا تقريبًا في كل لغة من اللغات تكوّن آلاف الكلمات ثم ملايين الجمل لنقل ملايين الملايين من المعاني وظلال المعاني. وتكوّن هذه الرموز الصوتية المحدودة بنية اللغة باتخاذها عدة أنساق محددة، فالكلمتان كاتب وكتاب تتكونان من نفس الصوامت ونفس الحركات، الصوامت هنا: الكاف والتاء والباء، والحركات هي: الكسرة والفتحة وحركة الإعراب. غير أن هذه الحركات تتخذ في الكلمتين السابقتين نسقين مختلفين. واستخدام الرموز الصوتية المحدودة في كل لغة من لغات الأرض في أنساق مختلفة أتاح لها أن تكوّن الآلاف الكلمات. وتتخذ الأجزاء

(12/1)

المختلفة في النظام اللغوي في كل حالة على حدة ترتيبًا محددًا، فلكل رمز صوتي وظيفته في الكلمة، ولكل كلمة وظيفتها في العبارة أو الجملة، وينبغي الالتزام بالنسق المتفق عليه في البيئة اللغوية الواحدة، وإلا فقد الرمز قدرته على النقل والإيحاء. وهذا النسق اللغوي يتضمن ترتيب الأصوات داخل الكلمة وترتيب الكلمات داخل الجملة. وهنا تكون مهمة الباحث في اللغة أن يتبين طبيعة هذه الرموز الصوتية والأنساق المختلفة التي تتخذها لتكون الكلمات ثم عليه أن يتبين أيضًا الأنماط المختلفة لترتيب هذه الكلمات لتكون الجمل المختلفة.

اللغة ظاهرة غير مادية، شأنها في هذا شأن العرف والعادات. وهناك فرق أساسي بين بحث الظواهر المادية في مجتمع ما وبحث الظواهر غير المادية في نفس المجتمع. ويمكن استيعاب الظواهر المادية مثل أشكال السكن والملابس وأدوات العمل بوصف هذه الأشياء وصفًا مباشرًا، ولكن دارس الظواهر غير المادية يواجه مجموع العناصر غير المرئية وقد تداخلت جزئياتها تداخلًا كاملاً وهذا شأن عالم اللغة في بحثه للغة وعالم الاجتماع في بحثه للعرف مثلاً. كلاهما مطالب بملاحظة آلاف الجزئيات المكونة للنظام اللغوي أو النظام العرفي وأن يتبين هذه الجزئيات وأن يصنفها تصنيفًا واضحًا، وأن يبلور العلاقات الكامنة بين هذه الجزئيات المتكاملة. فالباحث في اللغة يلاحظ، ثم يسجل، ثم يصنف، ثم يبلور ليكشف بنية اللغة التي يدرسها.

(13/1)

الرموز اللغوية والدلالة:

تكتسب الرموز اللغوية قدرتها الإيحائية عن طريق الاستخدام، والكلمة أقل عناصر اللغة ذات الدلالة، وليس هناك معنى محدد لصوت السين أو صوت الصاد أو لأي صوت آخر. وعندما يسمع الإنسان لغة أجنبية لا يعرفها فإنه لا يستطيع - أول الأمر - أن يميز الكلمات المختلفة التي يسمعها، فهو يسمع سلسلة من الأصوات المتتابعة. وهذا شأن الطفل قبل اكتسابه للغة، فهو يسمع اللغة مجرد جرس صوتي غير متميز الملامح، ثم يأخذ الطفل في تمييز الرموز

(13/1)

الصوتية التي يسمعها شيئاً فشيئاً، وما أن يكتمل تمييز الطفل بين هذه الأصوات وتكتمل قدرته على محاكاتها حتى يكون الطفل قد اكتسب الأساس الصوتي للغته الأم. وترتبط هذه المرحلة بملايسات استخدام كل كلمة وكل عبارة سمعها الطفل، فهو لا يسمع الأصوات المكونة للكلمات والعبارات مجردة عن سياقها، بل يسمع عبارات معينة في مناسبات محددة، وبذلك ترتبط كل كلمة وكل عبارة في عقل مكتسب اللغة أو مستخدمها بمواقف خاصة وظروف معينة. وما المعنى إلا حصيلة المواقف التي استخدم فيها الرمز اللغوي، ولذا فالوسيلة العلمية لمعرفة دلالة كلمة من الكلمات أو عبارة من العبارات تتلخص في بحث الظروف والملابسات التي استخدمت فيها الكلمة فاكتملت معناها وقدرتها الإيحائية. وليست هناك أية علاقة طبيعية بين الرمز اللغوي ومدلوله في الواقع الخارجي، والعلاقة الوحيدة القائمة بين الرمز الصوتي اللغوي وما يدل عليه هي علاقة الرمز، فالكلمة ترمز إلى شيء مادي أو معنوي، وعلى هذا فلا علاقة طبيعية تربط الأصوات المكونة لكلمة منضدة في العربية أو كلمة **Tisch** في الألمانية وبين المنضدة كواقع مادي. والمنضدة في اللغة العربية كلمة مؤنثة، لا لأن هناك تأنيثاً في خشب المنضدة ولكن لأنها تنتهي بـ"اء"، والتاء في العربية علامة تأنيث، فالتأنيث هنا ليس للمنضدة كواقع مادي ملموس بل لكلمة منضدة في اللغة العربية ويقابل هذه الكلمة بالألمانية كلمة **der Tisch** وهذه الكلمة الألمانية تصنف من المذكر. ولذا فتصنيف الكلمات في اللغة الواحدة يكون نظاماً لغوياً مستقلاً عن مدلولات هذه الأشياء في الواقع الخارجي، وكل ما يربط الكلمة بمدلولها هو علاقة الرمز. ويصدق هذا على كل ظواهر وكلمات اللغة الإنسانية، فاللغة لها نظامها الداخلي، وليس هذا النظام

انعكاسًا مباشرًا للواقع الخارجي بل هو رؤية له بطريقة ما. وتصديق علاقة الرمز على كل الألفاظ في كل اللغات، فليست هناك علاقة طبيعية بين بعض الألفاظ ومدلولاتها في الواقع الخارجي.

وقد توهم البعض في عدد من الكلمات مثل: خريز، سهيل، هديل

(14/1)

محاكاة للطبيعة وأطلق ابن جني¹ على هذه الكلمات اسم الأصوات المسموعات ويطلق على هذه الكلمات في الإنجليزية **Onomatopoeic Words** ولكن هذه الكلمات لا تختلف في شيء عن باقي كلمات اللغة من الناحية الدلالية، إذ إنها لم تكتسب قيمتها الرمزية إلا في بيئة لغوية محددة، فليست دلالات هذه الكلمات طبيعية مشتركة في كل اللغات، بل كل منها ذات إحاء محدد في مجتمع لغوي بعينه دون غيره. فكلمة "خريز" تؤدي معناها في البيئة اللغوية العربية وتوحي فيها بصوت الماء المتدفق المتلاطم، ولكن هذه الكلمة ليست لها أية دلالة أو معنى أو قدرة إيحائية خارج البيئة اللغوية العربية. وربما توهم البعض وجود علاقة طبيعية بين معنى الإيجاب والموافقة وكلمة "أيوه" في اللهجة العربية القاهرية، والواقع أن هذه الكلمة لا توحي بهذا المعنى إلا في مجتمع يفهم اللغة القاهرية، ولو قيلت وحدها لمخاطب أمريكي لفهم منها اسم ولاية أمريكية ولو نطقت أمام ألماني لما فهم منها أي شيء على الإطلاق، وكل هذا يدل على ارتباط دلالة هذه الكلمة وغيرها من الكلمات بالاستخدام اللغوي في بيئة لغوية محددة، وليست هناك علاقة طبيعية بين الصوت اللغوي أو الكلمة ودلالاتها. فالمعنى هو حصيلة استخدام الكلمة في البيئة اللغوية الواحدة.

وهناك تصور سائد في بعض البيئات المتحضرة وفي كل البيئات الأقل تحضرًا تجاه بعض الكلمات، فنطق كلمة بعينها عندهم يعني استحضار الشيء، وكأن الكلمة والشيء الذي تدل عليه يكونان وحدة طبيعية واحدة. ويؤدي هذا

1 عد ابن جني على هذه الكلمات - أصل اللغة "انظر: الخصائص 1/ 40" أما الاصطلاح الأوربي فيرجع إلى كلمة **Onoma** "وتعني في اليونانية اسم" + كلمة **poesis** "وتعني في اليونانية: حدث" وليس هناك شك في إحاء هذه الكلمات، ولكن هذا الإحاء نشأ عن الكلمة ولم تنشأ الكلمة من الصوت الموجود في الطبيعة، فصوت

الكلب يطلق عليه في الإنجليزية "أمريكا" bowwow وفي فرنسا -genaf
genaf وفي اليابان wam-wam ولا يمكن أن تكون كل هذه الكلمات معبرة
عن الصوت الحقيقي لنباح الكلب، ومن ثم لا علاقة بين أية كلمة منها وبين صوت
الكلب وعلى الرغم من هذا فهي في المثال السابق تشترك في كونها من مقطع متكرر.

(15/1)

التصور إلى تجنب ذكر أسماء الأمراض وأسماء الوحوش حتى لا تحل بالمكان الذي نطقت
فيه أسماءها. ولذا تنوعت تسميات الحيوان المخيف في الجماعة اللغوية الواحدة، وقد
تجنبنا جماعات لغوية في شمال أوروبا ذكر اسم الدب صراحة فكانوا يرمزون له بتسميات
أخرى مجازية حتى لا يحضر¹ كما حاول البعض تجنب حضور الأسد بأن أطلقوا عليه
تسميات مجازية أخرى كثيرة حتى لا يحل بالمكان ورغم وجود أمثلة كثيرة لذلك في بيئات
حضارية مختلفة فواقع اللغة يثبت أنه لا علاقة بين الرمز اللغوي وما يشير إليه في عالم
الواقع إلا علاقة الرمز. وكل الرموز اللغوية سواء في ذلك.

1 يطلق على هذه الظاهرة **taboo Influence** وأشهر أمثلتها في اللغات
الأوروبية اختفاء الكلمة القديمة للدب من لغات شمال أوروبا بينما احتفظت بها
السنسكريتية واليونانية، وقد حلت محل هذه الكلمات صفات للدب تحولت بعد ذلك
إلى أسماء له، انظر:

S. Ulmann, Principled of Semantics, p. 184

W. Havers, Neuere Literature zum Sprachtabu

Akademie Der Wissen-schaften in Wien, Phil –

"Hist. Kl. Sitzungsberichte. 223, 5, 1946

N.B. Emenau, Taboos on Animal. Names

"Language XXIV 1948, 56–63"

(16/1)

وظيفة اللغة

مدخل

...

2- وظيفة اللغة:

يرتبط الرمز اللغوي بيئة محددة يطلق عليها الجماعة اللغوية **Linguistic Community** فعندما يسمع إنسان لغة أجنبية لا يعرفها يسمعها أصواتا غير متميزة، وليس لها تصنيف واضح عنده، وليست لها دلالة رمزية، إنه يسمع سلسلة صوتية لسيت لها وحدات متميزة. ولكن ابن اللغة أو العارف بها لا يسمع هذه السلسلة الصوتية فحسب، بل يميز مكوناتها ويفهم محتواها الدلالي. ومن الممكن بحث الأصوات المنطوقة من ناحية الخصائص الفيزيائية، فالمادة الصوتية موضوع من موضوعات التحليل في الفيزياء، ويكشف التحليل الفيزيائي

(16/1)

للصوت عن جوانب كثيرة من خصائصه الطبيعية، مما يفيد أيضا من الناحية التطبيقية في تصميم أجهزة التليفونات وأجهزة الإرسال والاستقبال اللاسلكي وتصميم المباني التي يتردد فيها الصوت.. إلخ ولكن البحث اللغوي لا يبحث الخصائص الفيزيائية باعتبارها هدفاً في ذاتها، بل يبحث المادة الصوتية باعتبارها وسيلة لتوصيل المعلومات، ولذا لا يراها مجرد حشد صوتي كما تبدو للأجنبي وكما يسجلها الجهاز الأصم بل يرى فيها نظاماً محدداً من الرموز المتميزة التي تحمل معنى.

تختلف الخصائص الفيزيائية للصوت باختلاف الأفراد والمواقف الكلامية داخل الجماعة اللغوية الواحدة، فلكل فعل كلامي خصوصيته. وتختلف الخصائص النطقية والفيزيائية للعبارة الواحدة باختلاف الأفراد، وقد يختلف نطق الإنسان الواحد لنفس العبارة باختلاف أحواله النفسية ويتغير نطقه بتقدم العمر. ومع هذا فالجماعة اللغوية هي الجماعة التي تتشابه فيها مجموع العبارات التي يتعامل بها أبنائها، على نحو يمكنهم من الفهم المتبادل **mutual intelligibility**، ومجموع العبارات المستعملة في الجماعة اللغوية يصدر عن بنية لغوية واحدة تربط كل أفراد الجماعة. وتحدد الجماعة اللغوية باعتبار تشابه مجموع العبارات التي يتعامل بها أفرادها، فتعاملهم بها هو الذي جعل منهم جماعة لغوية واحدة¹.

1 إن الفهم المتبادل بين شخصين يتحدثان معا ليس بالضرورة دليلا على كونهما يتحدثان نفس اللغة، ولا بد أن يكون إثبات أنهما يتحدثان نفس اللغة قائمًا على أساس تشابه مكونات أقوالهما بدرجة عالية، أي أن يكون كلاهما يتعامل بنفس النظام اللغوي انظر:

.Carroll, The Study of Language. P. 8

يعبر بلومفيلد عن رأيه في ذلك على النحو التالي:

كل فعل كلامي **act of speech** ينتج قولاً **Utterance**، والجماعة التي تتشابه فيها مجموع الأقوال التي يتعامل بها أبنائها، ومجموع الأقوال المستعملة في الجماعة اللغوية = "الكلامية" الواحدة هي لغة هذه الجماعة. والسمات النطقية المشتركة في اللغة الواحدة هي الصيغ **Forms** أما المعاني **Meanings** فهي المحتوى الدلالي للفعل الكلامي. "انظر: المرجع السابق".

(17/1)

الفصحى واللهجات:

يوجد في أكثر الجماعات اللغوية في العالم أكثر من مستوى لغوي واحد يشارك الفرد في كل مستوى منها وفق المواقف الكلامية التي يعيشها. فالمواقف الكلامية في مجال الحياة اليومية تختلف عنها في المجالات الثقافية أو مجالات السياسة. قد يكون هذا الاختلاف في إطار اللغة الواحدة كما هي حال المثقفين من أبناء اللغة الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية في تعاملهم بلغاتهم. وقد يكون الاختلاف أكثر من ذلك، في إطار اللغة الواحدة عندما تستخدم اللهجة العامية والفصحى جنباً إلى جنب. وتوجد أشكال مختلفة من الأزواج اللغوية¹. ويحدد الاستخدام اللغوي الوظيفة التي يقوم بها كل مستوى لغوي. وليست هناك سمات في البنية اللغوية من النواحي الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية تفرض كون أحد المستويات هي الفصحى والآخر هو العامية، فكلاهما ينطبق عليه تعريف اللغة باعتبارها نظاماً من الرموز الصوتية، ولكن أبناء الجماعة اللغوية يقفون من الفصحى موقفاً غير موقفهم من العامية. فالفصحى تحترم اجتماعياً وتحترم قواعدها عند المثقفين، كما تدعم النماذج الأدبية والكتب الثقافية والعلمية مكانة الفصحى. ويؤدي هذا في حالات كثيرة إلى أن جعل استخدامها موحداً

-أو يكاد يكون موحدًا- عند كل أبنائها، حتى وإن كانوا منفصلين جغرافيًا واجتماعيًا عن بعضهم البعض، فيظل الاختلاف الإقليمي في استخدام الفصحى داخل العرف النحوي والمعجمي للغة، ولكن العامية تعد في رأي مستخدميها غير مقننة من الناحية النحوية، على الرغم من أن لكل لهجة قوانينها الخاصة بها. ولا يقف أبناء الجماعة اللغوية من العامية موقف الاحترام، ولذا لا تستخدم العامية في الكتابة الرسمية ولا في المجالات الثقافية والعلمية تاركة ذلك للغة الفصحى.

1 يطلق الازدواج اللغوي **Diglossia** على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أما الثنائية اللغوية عند الفرد الواحد فتسمى **bilingualism**. ومن أهم الدراسات اللغوية حول الازدواج اللغوي: **Ch. Ferguson, Diglossia** ونشر عدة مرات منها:

penguin " P.P Giglioli, Language and Social context
p.232 ، 1972 "books

(18/1)

أشكال التنوع اللغوي:

وهناك جماعات لغوية تستخدم أكثر من لغة تختص كل واحدة منها بمجالات محددة. وفي كل هذه الحالات هناك مصطلحات لوصف مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة 1. اللغة الرسمية **Official Language** هي اللغة المستخدمة في المجالات الرسمية في الدولة. وتنص الدساتير -غالبًا- على تحديد اللغة الرسمية في كل دولة. قد تكون اللغة الرسمية هي اللغة الوطنية **National Language** كما هي الحال في كثير من دول العالم، وقد تكون امتدادا للغة الرسمية في عهد الاستعمار وهذه حال كثير من الدول الجديدة في أفريقيا وآسيا. فاللغة الرسمية في موريتانيا هي اللغة الفرنسية، وليست الفرنسية لغة أبناء موريتانيا فهم عرب وبربر، وما تزال اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في عدد من الدول الإفريقية. وهناك دول اعترفت لظروف تاريخية بتعدد اللغات الرسمية، فالفرنسية والفلمنكية لغتان رسميتان في بلجيكا، والإنجليزية والأفريكانز **Afrikaans** لغتان رسميتان في اتحاد جنوب إفريقيا، والإنجليزية والفرنسية لغتان رسميتان في كندا. والألمانية والفرنسية والإيطالية هي اللغات الرسمية في سويسرا.

وتوصف اللغة التي تستخدم في المجالات التعليمية والثقافية والتقنية بأنها لغة التعليم Educational Language أو لغة الثقافة Cultural Language أو اللغة التقنية Technical Language وكثيراً ما تكون اللغة الرسمية لغة

1 انظر:

W.E Stewart, An outline of Linguistic Typology for Describing Multilingualism p. 15–25 In: Rice, Study of the Role of second Languages Washington D.C .1962

(19/1)

التعامل في هذه المجالات، ولكن عددا كبيرا من الجماعات اللغوية في العالم المعاصر تتعامل في المجالات التقنية بلغة تختلف عن اللغة الرسمية التي نص عليها الدستور. فتدريس العلوم والهندسة والطب يتم في أكثر جامعات الدول العربية باللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية مع أن دساتير هذه الدول تنص على كون اللغة الرسمية هي اللغة العربية. وهناك لغات تستخدم في مجالات خاصة دون أن تكون اللغة الوطنية أو اللغة الرسمية أو لغة التعليم. فلغة الدين Religious Language أو لغة الشعائر الدينية Language Liturgical هي اللغة العربية في كل أنحاء العالم الإسلامي. واللغة اللاتينية هي لغة الطقوس الدينية عند الكاثوليك واللغة العبرية هي لغة الدين عند اليهود. ويؤدي قصر استخدام لغة من اللغات على المجال الديني إلى اهتمام رجال الدين -في المقام الأول- بهذه اللغة ليقروا الكتب المؤلفة بها ويؤلفوا بها ما يريدون من كتب دينية.

وإلى جانب هذا فهناك لغات توصف كل منها بأنها لغة جماعة Group languagae ويقتصر استخدامها على مجموعة حضارية أو اثنية داخل الدولة، فالمهرية في منطقة من اليمن الجنوبية وعند المهاجرين منهم إلى الكويت هي لغة مجموعة اثنية Ethnic Language وهذا كذلك شأن النوبية في مصر. والكردية في العراق والبربرية في المغرب. وتعد معرفة لغة المجموعة الحضارية أو الاثنية في أكثر الأحوال معياراً لبيان انتماء الفرد لهذه المجموعة.

ويؤدي ارتباط اللغة بمجموعة بشرية بعينها إلى عدم استخدامها عند غير أبنائها
للأغراض العامة خصوصًا إذا كانت جماعة أبناء هذه اللغة منفصلة عن باقي أبناء البلاد
بحواجز جغرافية أو حضارية أو دينية أو طبقية. وفي أكثر هذه الحالات يتعامل أبناء هذه
اللغة مع الآخرين بلغة أخرى تصبح بمثابة لغتهم الثانية¹.

1 حول هذه المصطلحات، انظر:

M. Pei. Colssary of Linguistic Terminology
= New York 1966

(20/1)

لغات التعامل واللغات الدولية:

وإذا كان التعاون بين البشر ضرورة اجتماعية وحضارية فإن التعامل بين الأفراد المنتمين
إلى جماعات لغوية مختلفة يشكل في أكثر الأحوال صعوبة كبيرة. ويطلق على اللغة التي
تتعامل بها جماعات تختلف لغاتها الأم اسم لغة التعامل¹ Lingua franca وهناك
عدة لغات تعامل في العالم الحديث. ومن أمثلة لغات التعامل استخدام العربية بين
القبائل غير العربية في السودان وإريتريا.

= وقارن أيضا المصطلحات التالية:

اللغة القديمة Classical Language

اللغة الراقية " المشتركة " Standard Language

لغة " أصحاب " المكانة Prestige Language

لغة التأليف " والأدب " Mother Language

اللغة الأم " = الأولى " other tongue = frist language = native
language

لغة الثانية second language

العامية vernacular = colloquial

لهجة محلية dialect

لغة طبقة " في مجتمع " class language

لهجة فئة اجتماعية argot

العامية الهجين "غير مقننة" pidgin

اللغة الهجين "مقننة" creole

لغة منطقة "في دولة" area language

1 يرجع تاريخ المصطلح الأوربي Lingua franca إلى عصر الحروب الصليبية، عندما كان الصليبيون يتعاملون مع بعضهم البعض بلغة تختلف عن لغاتهم ولهجاتهم المختلفة في جنوب ووسط أوروبا. فقد جاءوا من مناطق تتحدث الآن بالألمانية والإيطالية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية إلخ. ولم يكن كل هؤلاء يستطيعون التعامل باللاتينية، فاستخدمت هذه الجماعات لغة مطورة عن لغة البروفنسال التي كانت آنذاك على طول الساحل الجنوبي لأوروبا من مرسيليا إلى جنوا، وأطلقوا على هذه اللغة اسم Lingua franca ومعناها الحرفي لغة الفرنجة.

(21/1)

واستخدام الإنجليزية بين أبناء اللغات المختلفة في الهند 1 وأكثر لغات التعامل لغات طبيعية Natural Languages أي لغات تطورت ونمت نموًا طبيعيًا، ولكن بعض الأفراد حاولوا وضع لغات أخرى توخوا فيها البساطة ويطلق عليها اللغات المصطنعة Artificial Language أو اللغات المساعدة auxiliary Language مثل الإسبرانتو.

ولكن هذه اللغات المصطنعة ليست سهلة لجميع أبناء اللغات بنفس الدرجة، الإسبرانتو مثلاً أكثر عناصرها تشابه مع الإيطالية والإسبانية وباقي هذه العناصر أوروبية ولذا فإكتساب الأوروبيين عموماً للإسبرانتو أسهل من اكتساب غيرهم لها. إن العالم المعاصر به أكثر من ثلاثة آلاف لغة، ولكن أكثر هذه اللغات يقتصر استخدامها على أعداد محدودة من البشر. وهناك إحدى عشرة لغة من هذه اللغات يتحدث بها أكثر من خمسين مليوناً وهي: الصينية والإنجليزية والهندية، الأردية، والإسبانية، والروسية، والعربية، والبرتغالية، واليابانية، والبنغالية، والألمانية، والفرنسية ولكن ليست كل هذه اللغات مما يمكن وصفها بأنها من اللغات الدولية International Language فاللغة الدولية لا تتحدد مكانتها بانتشارها وعدد أبنائها فحسب، بل تتحدد مكانتها بأهميتها الحضارية وإقبال غير أبنائها على

تعلمها والتعامل بها² فاللغة لاتعيش إلا في جماعة لغوية، ولا ترقى إلا بالإنسان.

1حول تعريف أنماط لغات التعامل المعاصر، انظر:

The use of vernacular languages in education, UNESCO, paris 1953, P. 46. w.j. Samarin, Lingua francis in: F.A. Rice, Study of the Role of Second .Languages, Washington D.C. 1962 p. 54-64

2 حول قضية اللغات الدولية، انظر:

محمود فهمي حجازي: اللغة العربية بين اللغات الدولية المعاصرة، مجلة كلية الآداب والتربية بجامعة الكويت، العدد الأول 1972 ص 27-54 ويمكن الحصول على الأعداد الخاصة بأبناء كل لغة من اللغات المعاصرة بالاستعانة بما تنشره الأمم المتحدة سنوياً في: **Demographic Year book** = "الكتاب السنوي الديمغرافي"

(22/1)

مستويات الاستخدام اللغوي:

النظام الرمزي الصوتي لا يصبح لغة إلا إذا استخدم للتعامل في بيئة إنسانية، ولذا فالبحث اللغوي يتناول البنية اللغوية ويربطها بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في هذه البيئة اللغوية. فطبيعة اللغة ووظيفتها شيان مترابطان، فلو حاولنا أن نكتب اليوم عن الحياة اللغوية في العالم العربي الحديث فإننا نجد عددا من **مستويات الاستخدام اللغوي** تستخدم اللغة الفصحى في التأليف الأدبي والثقافي وفي كثير من برامج الإذاعة وتستخدم في المحاضرات العامة إلى حد كبير، ولكنها لا تكاد تستخدم في الحديث بين المثقفين، أما اللهجات المحلية فيدور بها الحديث اليومي في أمور الحياة.

وليس من الصحيح أن نقول بوجود مستويين اثنين هما الفصحى والعامية، فبين هذه وتلك عدة مستويات لغوية وللنظر في حديث المثقفين العرب حيث تتخذ عناصر كثيرة من الفصحى مكانها إلى جانب عناصر أخرى من اللهجات المحلية، نجد المصطلحات العلمية فصيحة وصيغ الأفعال عامية والضمائر عامية، ففي عامية المثقفين هذه تستقر عناصر من الفصحى وأخرى من العامية.

ولا يجوز أن نعمم هذا التقسيم، فكل مجتمع يعرف علاقاته اللغوية الخاصة ففي المجتمعات الأوروبية المثقفة يدور الحديث باللغة الأدبية الفصحى، ويحاول كل مثقف في حديثه أن يجرد نفسه المثقف بقدر الإمكان عن التأثير باللون المحلي أو اللهجة الإقليمية، ويحاول الشباب المثقف في وسط أوربا استخدام الفصحى بقدر الإمكان، حتى إن الكثير من مثقفي المدن لم يعد يستخدم اللهجة المحلية على الإطلاق واقتصر استخدام اللهجات على التعامل المحلي بين أبناء القرية الواحدة أو القرى المتجاورة وهو استخدام متناقض مع الزمن.

فمجالات استخدام اللغة الفصحى في البيئات الأوروبية المثقفة وبيئات المدن عموماً أكثر من مجالات استخدام العربية الفصحى في العالم العربي. وتبدو هذه الحقيقة من مقارنة الاستخدام اللغوي في المدارس والمعاهد العلمية هنا وهناك،

(23/1)

كما تبدو هذه الحقيقة واضحة بمقارنة الاستخدام اللغوي بين المثقفين الأوروبيين والمثقفين العرب.

ويلاحظ في بعض المجتمعات ارتباط لغة بعينها بجماعة بشرية محددة، ففي واحة سيوة الواقعة في صحراء مصر الغربية يتحدث الرجال اللغة العربية بجانب استخدام اللغة السيوية وهي لغة مستقلة تختلف عن العربية، وأما النساء فلا يتحدثن إلا باللغة السيوية ولا يستطعن التعامل بالعربية. وشبيه بهذا ما نجده في المناطق النوبية في مصر أو البربرية في المغرب العربي والمهريّة في شرق اليمن الجنوبية. وارتباط لغة بعينها بالرجال دون النساء يرجع إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية. فمجتمع النساء في هذه البيئات منفصل تماماً عن التعامل الخارجي ولذا لم تدخله العربية لغة التعامل الخارجي ولغة التعليم والثقافة. ففي هذه المجتمعات يسود ازدواج لغوي والمقصود بهذا استخدام لغتين في بيئة واحدة. ونجد الازدواج اللغوي في الجزر اللغوية غير العربية في شمال العراق مثلاً، فهناك عدة جزر لغوية آرامية في عدد من القرى الجبلية، وتستخدم العربية في هذه الجزر اللغوية بدرجة اتصال أبناء هذه المناطق بالجماعة اللغوية العربية وبدرجة انتشار التعليم بينهم، وفي مثل هذه الحالات ينبغي على الباحث أن يحدد مجالات استخدام كلتا اللغتين فإحدهما تستخدم في الحياة المنزلية والأخرى وسيلة التعامل الثقافي، ومن النادر أن نجد اللغتين تستخدمان في البيئة اللغوية الواحدة في كل المجالات، بل هناك ضرب من تقسيم

مجالات الاستخدام. وتصدق هذه الملاحظة على الجزر اللغوية في أوروبا وعلى المناطق التي تتعامل بلغتين في نفس الوقت، ففي دولة لوكسمبورج يسود ازدواج لغوي، تستخدم اللوكسمبورجية وهي لهجة ألمانية في الحياة اليومية، أما الثقافة والتعليم والتعامل مع الدوائر الرسمية فيتم باللغة الفرنسية، فلكل لغة منهما وظيفة محددة.

(24/1)

مستويات الاستخدام اللغوي والقوانين الصوتية:

لا بد إذن في دراسة الحياة اللغوية من تحديد مستويات الاستخدام اللغوي وليس

(24/1)

هناك تقسيم مسبق لهذه المستويات. ولكن تحديد هذه المستويات اللغوية والتعرف على خصائصها ومجالات استخدام كل منها شرط أساسي لبحث العلاقات المتبادلة بين المستويات اللغوية المختلفة. لقد ثبت من أبحاث اللغويين الأوروبيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن القوانين الصوتية مطردة لا تعرف الشذوذ، ومعنى هذا أن التغير الصوتي يحدث في كل ألفاظ المستوى اللغوي. فإذا لاحظنا مثلاً أن القاف الفصحى قد اختفت من لهجة القاهرة وحلت محلها الهمزة، فهذا قانون صوتي مطرد لا يعرف الشذوذ أو الاستثناء. ولكن رغم هذا نجد عدة كلمات تستخدم اليوم عند أبناء لهجة القاهرة وتحتفظ بالقاف مثل كلمتي القاهرة والقرآن. وهنا يتضح لنا السبب في احتفاظ الكلمتين بالقاف في ضوء التمييز بين مستويين لغويين اثنين، فكلمة القرآن لم تستخدم إلا على المستوى الثقافي فظلت تنطق بالقاف، ولذا لم يطبق عليها قانون تحول القاف إلى همزة. وكان مستخدم اللهجة المحلية يستعيز عن كلمة القرآن بكلمة مصحف أو ربعة، وعندما استعيرت كلمة القرآن من المستوى الثقافي إلى العامية احتفظت بصورتها القديمة ولم تتأثر بالقانون الصوتي الذي كان قد تحول كل قاف إلى همزة. فالكلمة إذن مستعارة من الفصحى أو بالأحرى من المستوى الفصيح في الاستخدام اللغوي، وأما كلمة القاهرة فلم يكن استخدامها جاريًا في العامية لأن كلمة مصر حلت محلها في الاستخدام العامي. ولذا ظلت كلمة القاهرة على المستوى الفصيح فاحتفظت بصورتها الصوتية الفصيحة.

وتصدق قضية التمييز بين المستويات اللغوية المختلفة في كل البيئات اللغوية، ففي الكويت ومناطق الخليج العربي التي تستخدم الياء في مقابل صوت الجيم الفصحى نجد كلمات تنطق بالجيم، وليس في هذا ما ينقض كون القوانين الصوتية مطردة، فالقانون الصوتي الخاص بتحول الجيم الفصحى إلى ياء في هذه اللهجات خاص بمستوى الألفاظ الأساسية، وليست له علاقة بالألفاظ الهابطة من الفصحى إلى هذه اللهجات. لقد تحولت الجيم الفصحى إلى ياء في كل الألفاظ الأساسية في اللهجة، مثال ذلك الكلمات: جاء يا، واجد وايد

(25/1)

"بمعنى كثير". ولكن الألفاظ الهابطة من الفصحى في مرحلة تاريخية حديثة احتفظت بالجيم الفصيحة نجد هذا في كلمات مثل: جمعية، جامعة. يؤدي وجود ألفاظ من مستويين اثنين في البيئة اللغوية الواحدة إلى وجود أمثلة لانقسام الكلمة الواحدة إلى كلمتين بداليتين مختلفتين، فكلمة "جامعة" في اللهجة الكويتية تعني التعويذة أو الحجاب، وكلمة "جامعة" تستخدم بمعناها الفصيحة ولا شك أن استخدام الكلمة الأولى في تناقص والثانية في ازدياد بسبب التحول الثقافي في المنطقة، ولكن وجود إحداها الآن بالياء والأخرى بالجيم يوضح انتماءهما إلى مستويين لغويين اثنين، وهكذا تطرد القوانين الصوتية، وكل اختلاف عنها يفسر بمعايير منها تحديد مستوى الاستخدام اللغوي، وهذا يعني أن البنية اللغوية لا يمكن أن تدرس أو تفسر تاريخياً إلا في ضوء استخدامها في المجتمع.

(26/1)

اللغة والكلام:

اللغة ظاهرة اجتماعية ولكن استخدامها الحقيقي لا يتم إلا بين الفرد والآخرين. وقد اهتم علم اللغة ببيان العلاقة بين اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية واستخدام الأفراد لهذه اللغة. ويفرق الباحثون في القرن العشرين بين اللغة من جانب والكلام من الجانب الآخر¹ والفرق بينهما على النحو التالي: اللغة نظام من الرموز الصوتية المتفق عليه في البيئة اللغوية الواحدة، وهي حصيلة الاستخدام المتكرر لهذه الرموز الصوتية التي تؤدي

المعاني المختلفة. أما الكلام فهو الكيفية الفردية للاستخدام اللغوي، ويختلف استخدام كلمتي **اللغة والكلام** في الكتب اللغوية عن الاستخدام الشائع للكلمتين، فكثيراً ما نستخدم في كلامنا اليومي كلمة لغة للتعبير عن الكلام، نقول لغته جيدة أو لغته رديئة

1يرجع التمييز بين Language بمعنى القدرة اللغوية عند الإنسان و langue بمعنى اللغة و parole بمعنى الكلام إلى اللغوي السويسري دي سوسير انظر:
F. de Saussure, *Cours de linguistique general* p. 28-

39

(26/1)

والمقصود بهذا الاستخدام الفردي للغة، ولكن المعنى الاصطلاحي لكلمة لغة يجعلها عبارة عن مجموعة الإمكانيات التعبيرية في البيئة اللغوية الواحدة، أما الكلام فهو كيفية اختيار الفرد لعناصر بعينها من هذه الإمكانيات التعبيرية الكثيرة، وتتضح هذه القضية في التراكيب والمفردات بصفة خاصة، فلا يوجد فرد يستخدم كل التراكيب المتاحة في لغته. وليس هناك فرد يستخدم كل مفردات لغته مهما أوتي من الفصاحة واللسن والتمكن اللغوي، فكل فرد يستخدم جزءاً من الإمكانيات التعبيرية المتاحة في البيئة اللغوية، ويعبر بهذا الجزء عن حاجاته اليومية أولاً ثم عن حرفته -وما أكثر الحرف- ومجالات اهتمامه وفكره وثقافته.

والتمييز بين اللغة والكلام ضروري في دراسة قضية التغير اللغوي، والتغير اللغوي شبيه بالتغير في العادات والتقاليد والأزياء. وهذا معناه أن التغير اللغوي يبدأ عند فرد ما، أي على مستوى الكلام، فإذا وجد هذا التجديد قبولاً من المجتمع أصبح بمضي الوقت عرفاً لغوياً سائداً.

يهتم علم اللغة بالتغير اللغوي على المستوى الاجتماعي، ويرجع التغير اللغوي دائماً إلى تجديد فردي يقبله المجتمع، أما التجديد الذي يرفضه المجتمع فيبقى خارج مجال علم اللغة؛ لأن علم اللغة يبحث اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية. وليس كل تغير لغوي عند فرد ما أو مجموعة أفراد يقبل اجتماعياً، فإلى جانب تغيرات بدأت على مستوى الفرد ثم أصبحت على مستوى البيئة اللغوية كلها، هناك تجديدات فردية ظلت مرتبطة بمجموعة أفراد ولم تقبل اجتماعياً. وقد لوحظ مثلاً أن نطق الرءاء في الفرنسية الباريسية بدأ هكذا

منذ قرن عند أحد المرموقين في الدولة، ثم قلده رجال البلاط وتلاهم عدد من أبناء الطبقات المترفة، وأصبح هذا النطق هو العرف اللغوي السائد. وعلى العكس من هذا نجد أن اتجاه نطق أصوات الإطباق العربية دون الإطباق لم ينجح. فمنذ سنوات أخذت بعض الطالبات في جامعات مصر في نطق الطاء والقاف والضاد والصاد

(27/1)

دون القدر الضروري من الإطباق. فكادت الطاء تنطق تاء والقاف كافاً والضاد دالاً. ولكن هذا الاتجاه ظل عدة سنوات محدود الانتشار مقصوراً على مجموعة أفراد ولم يقبل اجتماعياً.. لم يؤد إلى تغير في نطق هذه الأصوات العربية.

(28/1)

3- المؤثرات العامة في الحياة اللغوية:

يتأثر انتشار الصيغ اللغوية والتراكيب بعوامل كثيرة، أهمها في العالم المعاصر العامل الحضاري. فإذا كانت مكانة أية لغة من اللغات الكبرى المعاصرة تتحدد في المقام الأول بما تحمله من تراث حضاري وما تقدمه من نتاج حضاري حديث فإن للعلماء والمثقفين ووسائل الإعلام أثراً كبيراً في البيئة اللغوية. وفي المجال الصوتي تعد الإذاعة من العوامل الحاسمة، فالنطق الذي يرتضيه مذيعو الإذاعة يؤثر في آلاف المستمعين، ولذا تهتم دول كثيرة في العالم المعاصر بكيفية نطق المذيعين وتدريبهم تدريباً صوتياً دقيقاً. ويؤثر المحاضرون في الجامعات في الحياة اللغوية من ناحية المصطلحات، فهم يدخلون بصفة مطردة مصطلحات علمية جديدة للتعبير عن المعاني الجديدة أو العلوم الحديثة. فتستخدم هذه المصطلحات عند طلابهم وقرائهم ثم في دوائر أوسع إلى أن تستقر في العرف اللغوي. وبذلك تصبح من المشاع اللغوي العام. فإن اختلف واضعو الاصطلاحات وتعددت معهم اصطلاحاتهم للشيء الواحد حدث ارتباك في استخدام المصطلحات وربما تعذر التفاهم. ويؤثر كبار الكتاب والأدباء في الحياة اللغوية من ناحية التراكيب بصفة خاصة، ولكن أي نطق جديد أو اصطلاح جديد أو تركيب أسلوبي جديد - يظل ظاهرة فردية إلى أن يقبل اجتماعياً ويصبح من العرف اللغوي. وكثير مما

يستحدث في الإذاعة ووسائل الإعلام وفي الجامعات وعند كبار الأدباء يقبل اجتماعيًا، ولذا تعد هذه الدوائر الحاكمة لغويًا أهم ما يؤثر في الحياة اللغوية المعاصرة.

(28/1)

وقد تأثرت اللغات على مدى التاريخ وما زالت تتأثر بعوامل أخرى غير العامل الحضاري المذكور. فالعامل الديني أبقى اللغة العربية مقروءة أكثر من عشرين قرنًا، فكان اليهود يتعلمون قدرًا من العبرية لأنها لغة العهد القديم، وهو كتاب اليهود المقدس. والتقاء العرب حول الفصحى وعدم نجاح الدعوى إلى الكتابة بالعامية يرجع إلى عوامل منها الالتقاء حول لغة القرآن الكريم، وقد مهد العامل الديني لدخول عدد كبير من الألفاظ العربية المتعلقة بالدين والحضارة إلى لغات العالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا، ففي اللغات السواحلية والتركية والفلبينية وأيضًا في اللغة الصربوكرواسية نجد المسلمين يستخدمون الألفاظ الخاصة بالعبادات وبالسلوك اليومي مستعارة من اللغة العربية. وارتباط الخط العربي بالدين الإسلامي جعل المتحدثين بالحبشية في هرر، وكلهم من المسلمين يكتبون الحبشية بالخط العربي، وقد دخلت في الهررية ألفاظ عربية كثيرة وكأنهم أرادوا بذلك أن يثبتوا ارتباطهم بالعالم الإسلامي وتميزهم عن الأحباش المسيحيين حولهم.

والعامل السياسي ذو أثر كبير في حياة اللغات، وقد ظهرت اللغات الرومانية المختلفة من فرنسية وإسبانية وإيطالية ورومانية في فترة واحدة كانت الوحدة السياسية لهذه المناطق قد تمزقت نهائياً، وكان الوعي القومي آخذًا في الظهور. وقد أدى النفوذ الاستعماري في الهند إلى انتشار اللغة الإنجليزية حتى أصبحت أكثر اللغات استخدامًا في الهند، وقد حدد تقسيم القارة الإفريقية إلى مناطق للنفوذ الاستعماري مسار انتشار لغات المستعمرين فيها، فالدول التي أعلنت الفرنسية لغة رسمية فيها أو التي تتعامل في المجالات الثقافية والسياسية والتجارية بالفرنسية قد احتفظت بذلك باللغة التي دخلت هذه المناطق مع الاستعمار، وهناك دول إفريقية كثيرة تتعامل في هذه المجالات بالفرنسية وأخرى تتعامل بالإنجليزية. وعندما تقسم الدول الإفريقية إلى الدول الناطقة بالفرنسية والدول الناطقة بالإنجليزية، ففي هذا -رغم الاستقلال- أثر للسيطرة الاستعمارية الفرنسية والإنجليزية واليوم يتعلم التلاميذ في أوزبكستان "التركيستان سابقًا" اللغة الروسية لأن أوزبكستان تابعة للاتحاد السوفيتي وهكذا يؤثر العامل

السياسي في الحياة اللغوية، ولكنه تأثير يتفاوت طبقاً لطبيعة العلاقات السائدة في البيئة اللغوية.

أما العامل الاجتماعي فهو من أهم العوامل في حياة اللغات، فانتقال مجموعة بشرية معينة من مكان لآخر واختلاط المجموعة الوافدة مع السكان الأصليين كفيل بخلق علاقات لغوية جديدة. ومن المعروف أن هجرة القبائل العربية عقب الفتح الإسلامي وفي القرون التالية للشام والعراق ومصر والمغرب كانت من أهم العوامل في انتشار اللغة العربية، وبذلك لم تعد اللغة العربية لغة شمال الجزيرة العربية فحسب بل أصبحت بمضي الوقت لغة الحديث والعلم والأدب في الدول الإسلامية الكبرى، وفوق هذا فالطبقة العليا في المجتمع الواحد ذي الطبقات المتعددة تؤثر تأثيراً حاسماً في الاستخدام اللغوي لدى الطبقات الأخرى، ومحاكاة الطبقة العليا أو الفئدة الحاكمة أمر معروف في دول العالم المختلفة.

الفصل الثاني: علم اللغة الحديث

مدخل

...

الفصل الثاني: علم اللغة الحديث

علم اللغة في أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمي. وتدرس اللغة في إطار علم اللغة في المجالات الآتية:

أ- الأصوات phonetics, Phonology

ب- بناء الكلمة "الصرف" Morphology, Morphematics

ج- بناء الجملة "النحو" Syntax

د- المفردات ودلالاتها Semantics

1- علم اللغة وعلم النصوص القديمة:

ويختلف علم اللغة 1 Linguistics بمفهومه الحديث عن علم النصوص،

1يرجع مصطلح Linguistics والمصطلحات الأوروبية المقابلة مثل Linguistique في الفرنسية، Linguistica في الإيطالية إلى الكلمة اللاتينية Lingua بمعنى "اللسان". أو "اللغة" وقد بدأ استخدام الكلمة في اللغات الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتحدد معناها بتقدم علم اللغة في القرن العشرين، وكان يقابلها في اللغة الألمانية إلى عهد قريب كلمة Sprachwissenschaft ولكن الجيل الجديد من الباحثين الألمان يفضلون التسمية الأوروبية العامة Linguistik انظر:

K-D bunting Einführung in die linguistik.

Frankfurt 1971 S. 13

Das Fischer Lexikon Sprachen. Frankfurt 1961 s. 7

(31/1)

وكثيراً ما يحدث خلط بين مجالي العلمين، فعلم النصوص هو ما يطلق عليه في اللغات الأوروبية اسم Philology، وقد تحدد مجال علم الفيلولوجي¹ بمعناه الدقيق بتحقيق المخطوطات وإعدادها للنشر العلمي وفك رموز الكتابات القديمة وكل ما يتعلق بتقديم النصوص والنقوش القديمة على نحو يمكن من القيام بأبحاث متخصصة فيها، ولا شك أن تحقيق النصوص وفك الرموز ونشر النقوش أعمال علمية جلية تقوم على دراسات تاريخية أو لغوية أو أدبية إلخ. ولكن هذا العمل الفيلولوجي يخرج عن ميدان اللغة، ويعتبر علم الفيلولوجي بهذا المعنى أساساً لعلم اللغة ولغيره من العلوم التي تقوم على النصوص.

ارتبط البحث اللغوي الحديث في طور نشأته في القرن التاسع عشر بالبحث في النصوص والنقوش القديمة. لقد كانت المدرسة المقارنة في علم اللغة تهدف إلى التعرف على العلاقات التي تربط كل لغة من لغات الأسرة اللغوية الواحدة بالمراحل الأقدم، بل حاولوا التعرف على ملامح اللغة الهندية الأوروبية الأم التي يفترض الباحثون في أن اللغات الهندية الأوروبية المختلفة قد انحدرت منها. وحاول الباحثون في اللغات السامية

أيضا إيضاح العلاقات التي تربط كل لغة من اللغات السامية باللغة السامية الأم التي افترض العلماء وجودها قبل اللغات السامية المعروفة. وأدى هذا الهدف التاريخي إلى الاهتمام بالنصوص القديمة وإلى النظر في المراحل التاريخية التالية باعتبارها انعكاساً للماضي وامتداداً له، ومن ثم فقد

1 يرجع اشتقاق هذه الكلمة إلى كلمتين يونانيتين **Philos**، وتعني "حب" و **Logos** وتعني "كلمة" أو "دراسة" وقد استخدمت الكلمة في الإنجليزية ابتداء من القرن الرابع عشر بمعنى دراسة التراث القديم.

(32/1)

شغل علماء كثيرون بالبحث في النقوش والنصوص القديمة¹ لقد اكتشفت اللغة الأكادية وبدأت دراستها في القرن التاسع عشر، وفي نفس الفترة اكتشفت العربية الجنوبية القديمة وكان التعرف على هاتين اللغتين قائماً على مقارنة الصيغ الواردة في نقوشهما بما هو معروف في اللغات السامية الأخرى، وخصوصاً العربية والعبرية والآرامية والحبشية. وعندما اكتشفت النقوش العربية الشمالية القديمة وهي المعروفة باسم النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن العشرين كان نشر هذه النقوش وفهم نصوصها يقوم أيضاً على أساس المقارنة مع اللغات السامية الأخرى.

ولكن تنوع جوانب البحث اللغوي في القرن العشرين فرض التخصص على من يريد المشاركة في البحث العلمي. وهنا أصبح نشر النصوص والنقوش القديمة علماً مستقلاً عن علم اللغة، فعلم اللغة بمفهومه الحديث يختلف عن علم النصوص القديمة **PhiLology** ولم يكن التمييز بينهما واضحاً في القرن التاسع عشر لارتباط البحث اللغوي بالنصوص القديمة، وكان الباحثون الألمان يميزون منذ القرن التاسع عشر بين العمل الفيلولوجي **Phiology** وعلم اللغة **Sprachwissenschaft**² وقد أخذ غيرهم من الباحثين يميل إلى تمييز

1 عندما أخذ الباحثون في القرن التاسع عشر يقارنون اللغات الهندية الأوروبية بهدف التوصل إلى أصولها القديمة كان عليهم أن يتوسلوا ببحث لغة النصوص القديمة فأطلق

الباحثون الإنجليز والفرنسيون على هذه المقارنات

Comparative philologie compative, philology

2 قامت المدرسة الفيلولوجية الألمانية في القرن التاسع عشر بفضل جهود K. Lachmann الذي استطاع أن يطور منهجاً واضحاً في التحقيق، فارتبطت كلمة Philologie في الألمانية بتحقيق النصوص القديمة ونشرها، انظر:
F. Schanbel, Deutsche Geschichte im neunzehnten
Herder-Bucherei Band 207 – 1965 s. "jahrhundert
99–102

أما دراسة الخصائص اللغوية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية فقد أطلقوا عليها منذ القرن التاسع عشر Sprachwissenschaft أي علم اللغة انظر المرجع السابق ص 103–105 ومادتي philologie
و Sprachwissenschaft. في موسوعة Der grosse Brockhaus
1956.

(33/1)

المجالين وعدم خلطهما تحت اسم واحد¹ وقد تحدد مجال علم النصوص القديمة الفيلولوجي بمعناه الدقيق بتحقيق المخطوطات وإعدادها للنشر العلمي وفك رموز الكتابات القديمة وإعدادها للنشر العلمي أيضاً. فكل ما يتعلق بتقديم النصوص والنقوش القديمة على نحو يمكن من القيام بأبحاث متخصصة فيها يعد من علم الفيلولوجي، ولا شك أن تحقيق النصوص والنقوش ونشرها أعمال علمية جلية وهي الأساس الذي تقوم عليه دراسة هذه النصوص والنقوش من الجوانب التاريخية أو اللغوية أو الاجتماعية المختلفة. ويعتبر العمل الفيلولوجي بذلك أساساً لعلم اللغة ولغيره من العلوم التي تعنى بتفسير النصوص وتحليل مادتها. فتحقيق ديوان من الدواوين المخطوطة يعتبر عملاً فيلولوجياً يفيد البحث في اللغة كما يفيد البحث في الأدب ولكنه لا يدخل في مجال علم اللغة. فالدراسة اللغوية للديوان تعني دراسة النص من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية أي من الجوانب التي تعارف العلماء على جعلها مجال البحث في علم اللغة.

1 ذكرت دائرة المعارف البريطانية ط1970 مادة Linguistics أن هذا المصطلح واضح الدلالة على عكس مصطلح Philology الذي يمكن أن يدل إلى جانب دراسة اللغة على بحث التراث Literature ونقد النصوص textual criticism والفن Art والآثار Archaeology والدين Religion.

انظر حول الاستخدام الأمريكي للكلمة

I.B. Carrool, the study of Language, Harvard Un. Press 1960 P. 3 65-66 وفيه يجعل كارول علم الفيلولوجي في مركز وسط بين علم اللغة من جانب والدراسات الأدبية والإنسانية من الجانب الآخر. كما أنه يعتبر دراسة التاريخ الحضاري للغة وإعداد المعاجم بالإضافة إلى تحقيق النصوص ودراسة الفولكلور والميثولوجيا من مجالات علم الفيلولوجي، ويحاول بعد هذا تقسيم العمل الفيلولوجي إلى مجالين هما: Linguistic Philology ويعنى بإعداد المعاجم و Literary Philology وموضوعه تحقيق النصوص وتفسيرها ونقد المؤلفات الأدبية اعتماداً على دراسة لغتها.

(34/1)

2- علم اللغة المقارن Comparative Linguistics:

وموضوع علم اللغة المقارن دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة¹ ولذا يقوم المنهج المقارن في علم اللغة على أساس تصنيف اللغات إلى أسر، ويقسم اللغويون منذ القرن التاسع عشر اللغات المختلفة إلى مجموعات أو أسر. فهناك أسرة اللغات الهندية الأوروبية التي تضم أكثر لغات المنطقة الممتدة من الهند إلى أوروبا، وتضم بذلك عددًا كبيراً من اللغات التي عرفت وتعرفها الهند وإيران والقارة الأوروبية². وعرف العلماء الأوروبيون في القرن التاسع عشر أيضاً أن العربية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية التي تضم أيضاً اللغات العبرية والآرامية والأكدية والحبشية³ وقد تمكن العلماء من تقسيم

1 حول تاريخ المنهج المقارن، انظر:

london " R.H robin A short hitory of linguistics

pp. 164–197 "1967

B.E vidos, handbuch der romanischen
sprachwissenschaft munchen 1968 s. 37–56

2 حول قصة اكتشاف اللغة السنسكريتية ونشوء البحث المقارن في اللغات الهندية
الأوروبية:

pelican " s. potter, language in the modern world
books A

pp. 11–20, 90–110, 144–162
470, 1968

3 حول تاريخ الدراسات السامية وبحث العلاقات التاريخية بين اللغات السامية. انظر
الفصل الذي كتبه يوهان فك:

J. juck, geschichte der semitischen
sprachwissenschaft s. 31–39

ضمن كتاب:

Handbuch der orientalistik, band III abschnitt II ed.
b. spuler, leiden 1954

(35/1)

اللغات المختلفة إلى أسرار أو فصائل بمقارنة هذه اللغات واكتشاف أوجه التشابه بينها
من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. ووجود جوانب شبه أساسية بين
عدد من اللغات معناه أنها انحدرت من أصل واحد مشترك أي من اللغة الأولى التي
خرجت عنها هذه اللغات على مر التاريخ. وجد العلماء ظواهر مشتركة في اللغات
المنتشرة على مدى القرون بين إيران والهند وأوروبا. فعدوا هذه اللغات أسرة لغوية واحدة
خرجت لغاتها عن لغة قديمة مفترضة أطلق عليها العلماء اسم اللغة الهندية الأوروبية أو
Indoeuropean – Proto. ووجد العلماء اللغات العربية والعبرية والفينيقية
والأكادية والحبشية تحمل بعض الخصائص الأساسية المشتركة فاستنتج العلماء أنها لغات
تشكل أسرة لغوية واحدة وأنها انحدرت من أصل واحد أطلقوا عليه: اللغة السامية
الأولى 1 Proto-semitic أو Ursemitisch. ومقارنة اللغات المختلفة

المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة موضوع البحث في علم اللغة المقارن. فعلم اللغات السامية المقارن يقارن اللغات الآكادية والأرمنية والعبرية والفينيقية والآرامية والعربية الجنوبية والعربية الشمالية والحبشية، لأن هذه اللغات تكون أسرة لغوية واحدة. وعلم اللغات الهندية الأوروبية المقارن يبحث اللغات المختلفة التي تدخل في إطار هذه الأسرة اللغوية. وتضم أسرة اللغات الهندية الأوروبية عددًا من الفروع اللغوية أهمها الفرع الجرمانى والفرع الرومانى والفرع السلافي والفرع الإيراني والفرع الهندي. وقد أدت كثرة لغات هذه الأسرة إلى اهتمام بعض العلماء بالمقارنات اللغوية في إطار فرع واحد من أفرعها الكثيرة. فعلم اللغات الجرمانية المقارن يقوم ببحث اللغات: الألمانية والإنجليزية والنوردية القديمة والدانماركية وغير ذلك من اللغات واللهجات التي تدخل في هذا الفرع، وعلم اللغات الرومانية المقارن يبحث: اللغة اللاتينية واللغات واللهجات التي خرجت

1 يرجع الاصطلاح الألماني **Ursemitisch** الذي دخل اللغات الأوروبية الأخرى **RESEMITIC** إلى عنصرين: الأول **UR** وتعني أول أو قديم أو أصلي، والثاني نسبة إلى **Sem** أي سام، بن نوح.

(36/1)

عنها ويطلق عليها اللغات واللهجات الرومانية وتضم اللغات الرومانية الحديثة: الفرنسية والإسبانية والإيطالية ولغة جمهورية رومانيا، إلى جانب عدد كبير من اللهجات. ومقارنة هذه اللغات باللغة اللاتينية وباللاتينية الشعبية هو مجال البحث في علم اللغات الرومانية المقارن، أما علم اللغات السلافية المقارن فيبحث اللغات: الروسية والبولندية والأكرانية والتشيكية والسلوفاكية والصربوكرواسية والبلغارية، فبيان العلاقات التاريخية بين اللغات التي تكون فرعًا لغويًا واحدًا أو أسرة لغوية واحدة هو مجال البحث في علم اللغة المقارن¹

1 لا يزال بعض اللغويين العرب من الجيل القديم يطلقون على: علم اللغة المقارن: فقه اللغة، انظر مثلاً: السيد يعقوب بكر: دراسات في فقه اللغة العربية، بيروت 64، 70. ويضم هذا الكتاب دراسات في العربية في ضوء علم اللغات السامية المقارن. وقد التزم

المؤلف أيضا بتسمية هذا التخصص philology وهي تسمية غامضة رغب عنها اللغويون المحدثون -حتى في إنجلترا أخيرا- إلى التسمية الواضحة Linguistics ولعل أقدم ملاحظة باللغة العربية حول عدم وضوح كلمة philology ما كتبه على عبد الواحد وافي: مدلول philologie قد اختلف كثيرا باختلاف العصور المختلفة واختلاف الأمم ولا يزال العلماء يختلفون في فهمها وإطلاقها، علم اللغة ص 12. وما يقال عن هذه الكلمة يقال أيضا عن كلمة: فقه اللغة، من ناحية عدم وضوح المعنى، فقد ارتبطت بدلالة قديمة محدودة ودلت على دراسة الألفاظ ولذا يميل أكثر اللغويين العرب المحدثين إلى عدم استخدامها للدلالة على: "علم اللغة الحديث".

(37/1)

3- علم اللغة الوصفي: Descriptive Linguistics

يتناول **علم اللغة الوصفي** بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه. ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفي يبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. لقد ظل العلماء يبحثون اللغات في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بالمنهج المقارن، ولم يكن هناك تصور واضح لإمكان بحث اللغة الواحدة أو اللهجة الواحدة على نحو علمي دقيق. ولكن الباحث السويسري دي سوسير De Saussure أثبت

(37/1)

بدراساته في نظرية اللغة ووظيفتها إمكان بحث اللغة الواحدة وصفيًا أو تاريخيًا 1 وبذلك بدأ الباحثون في تطوير مناهج البحث لتحليل البنية اللغوية، وزاد اهتمام الباحثين بالمنهج الوصفي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. وأصبح المنهج الوصفي المنهج السائد في السنوات العشر الماضية عند أكثر المشتغلين بعلم اللغة الحديث في كل أنحاء العالم. يهتم علم اللغة الوصفي بدراسة بنية أية لغة أو أية لهجة، فكل لغة وكل لهجة تتكون من أصوات لغوية، تنتظم في كلمات، وتتألف منها الجمل، لتعبر عن المعاني المختلفة. والفرق بين اللغة واللهجة فرق حضاري لا ينبع من البنية اللغوية، ولكنه يقوم على

أساس مجالات الاستخدام، فالاستخدام في المجالين الثقافي والعلمي يجعل من المستوى اللغوي المستخدم لغة، وأما التعامل المحلي فيمكن أن يكون بهذه اللغة عند المثقفين في بعض الخدمات الراقية ولكنه يكون في أكثر الجماعات اللغوية في العالم باللهجة المحلية. ويمكن تطبيق

1 كان اللغوي السويسري دي سوسير أول من أبرز إمكان بحث اللغة بالمنهج الوصفي، وكان الباحثون في القرن التاسع عشر لا يعرفون من مناهج البحث اللغوي إلا المنهج المقارن، وقد أطلق دي سوسير على علم اللغة الوصفي **Linguistique Synchronique** وترجع كلمة **Synchronique** الفرنسية إلى **Syn** - في اليونانية تعني: ما + **chronos** في اليونانية تعني زمن وتستخدم هذه الكلمة المركبة في اللغات الأوروبية بمعنى مترامن أي في نفس الوقت وحول آراء دي سوسير في علم اللغة الوصفي انظر:

F. de Saussure, Cours de Linguistique Generale

Paris 1916

وقد ترجم الكتاب إلى الإنجليزية بعنوان:

Course in General Linguistics New York 1959

وحول آراء دي سوسير، انظر:

محمود فهمي حجازي: أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية ص 156-

161 في عالم الفكر المجلد الثالث / 1 الكويت 1972

2 أكثر الدراسات الوصفية حول العربية ولهجاتها أعدت في الولايات المتحدة الأمريكية وقدمت لنيل درجة الدكتوراه. وأكثر هذه الرسائل تتناول اللهجات العربية الحديثة.

(38/1)

المنهج الوصفي في تحليل البنية اللغوية لأية لغة أو لهجة.

فدراسة أبنية الأفعال في لهجة الكويت أو النظام الصوتي في لهجة عمان أو جملة الاستفهام في النثر العربي في القرن الرابع الهجري موضوعات تدخل في إطار علم اللغة الوصفي. وأية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة الوسيطة أو الحديثة تعد دراسة وصفية. وهناك مجالات كثيرة لبحث النقوش والنصوص

العربية القديمة بالمنهج الوصفي. فدراسة الأبنية الصرفية التي وردت مستخدمة في مجموعة من النقوش أو في مجموعة من النصوص المنتمية إلى مستوى لغوي واحد تعد دراسة صرفية بالمنهج الوصفي. فدراسة أي جانب من جوانب بناء الجملة في مستوى لغوي واحد تعد دراسة نحوية بالمنهج الوصفي. وفضلا عن هذا فهناك مجال كبير لإعداد المعاجم الصغيرة التي تسجل الألفاظ الواردة أو المستخدمة في أحد مستويات الاستخدام اللغوي مثل إعداد معاجم يسجل كل منها الألفاظ الواردة في ديوان بعينه أو في لهجة واحدة، وكل هذه الجهود تتم بالمنهج الوصفي.

(39/1)

4- علم اللغة التاريخي Historical Linguistics:

يبحث علم اللغة التاريخي تطور اللغة الواحدة عبر القرون. فتاريخ اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية يدخل في مجال علم اللغة التاريخي¹.

1 أطلق دي سوسير مصطلح *Linguistique Diachronique* على البحث اللغوي التاريخي وترجع كلمة *Diachronique* إلى كلمة *Dia* - وتعني في اليونانية "عبر" وكلمة *Chronos* وتعني في اليونانية: زمن ومن أهم كتب المنهج المقارن:

Hermann Paul, Prinzipene der Sprachgeschichte

1886 Tubingen 1960 وترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية.

وحول الدراسات الخاصة بتاريخ اللغة العربية، انظر *Arabiyya* في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الإنجليزية الثانية.

(39/1)

ومعنى هذا أن دراسة تطور النظام الصوتي للعربية الفصحى هي دراسة صوتية تاريخية. وتطور الأبنية الصرفية ووسائل تكوين المفردات في العربية على مدى القرون مما يدخل في الدراسة الصرفية التاريخية وتطور الجملة الشرطية أو جملة الاستفهام في العربية الفصحى مما يدخل في الدراسات النحوية التاريخية والمعاجم التاريخية التي يسجل كل

منها تاريخ حياة كل كلمة من كلمات اللغة من أقدم نص جاءت به متبعاً تطور دلالتها على مر التاريخ - تعد أيضا من علم اللغة التاريخي. فالتاريخ الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي لأية لغة من اللغات يدخل في مجالات البحث اللغوي التاريخي، والنحو التاريخي والمعجم التاريخي من الأركان الأساسية في علم اللغة التاريخي. ولا يتناول تاريخ اللغات تطورها البنيوي والمعجمي فحسب، بل يبحث أيضا تطورها وحياتها في المجتمع، فقضية انتشار لغة من اللغات والظروف التي مهدت لذلك وأثر ذلك في بنية اللغة تعد من موضوعات علم اللغة التاريخي، وارتباط اللغة بوظيفتها أو بوظائفها المختلفة في الجماعة اللغوية يؤثر بالضرورة في حياة اللغة. فهناك فرق كبير بين أن تكون اللغة لغة جماعة محدودة، أو أن تكون اللغة الرسمية في دولة عظمى، أو أن تكون لغة حضارة دولية. ودراسة مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة في حياة كل لغة وأثر ذلك في بنيتها وأهميتها الحضارية ومكانتها بين اللغات مما يدخل في إطار علم اللغة التاريخي.

(40/1)

5- علم اللغة التقابلي Contrastive Linguistics:

يقوم تعليم اللغات في رأي الباحثين المعاصرين على عدة أسس من أهمها ما يطلق عليه علم اللغة التقابلي¹ وموضوع البحث في علم اللغة التقابلي-

1 اهتمت الجامعات الأمريكية أول الأمر ثم الجامعات الأوروبية بعد ذلك بالدراسات التقابلية بهدف تيسير تعليم اللغات لغير أبنائها، وتتم مراكز بحوث تعليم اللغات وجمعيات اللغويين في عدة بلاد في العالم أهمها: اليابان وألمانيا، بالدراسات التقابلية وتشغل هذه الدراسات حيزاً كبيراً في المؤتمرات الدولية لعلم اللغة التطبيقي

International Conference of applied Linguistics

والكتاب الوحيد المنشور في مقارنة لهجة عربية مع الفصحى هو بحث صالح الطعمة:

Salih J. Alitoma, The Problem of Diaglossia in

.Arabic, Harvard University Press 1969

ويقارن اللهجة العراقية باللغة الفصحى.

(40/1)

أحدث مناهج علم اللغة - هو المقابلة بين لغتين اثنتين أو لهجتين اثنتين أو لغة ولهجة أي من مستويين لغويين متعاصرين. ويهدف علم اللغة التقابلي إلى إثبات الفروق بين المستويين، ولذا فهو يعتمد أساساً على علم اللغة الوصفي. فإذا كان المستويان اللغويان قد وصفاً وصفاً دقيقاً بمنهج لغوي واحد أمكن بحثهما بعد ذلك بالمنهج التقابلي. وإثبات الفروق بين المستويين يوضح جوانب الصعوبة في تعليم اللغات، فإذا كان أحد أبناء اللغة الإنجليزية يود تعلم العربية فالصعوبات التي تواجهه ترجع في المقام الأول إلى اختلاف لغته الأم وهي الإنجليزية عن اللغة التي يريد تعلمها وهي العربية. فهناك فروق فردية تجعل بعض الأفراد قادرين على تعلم اللغات الأجنبية أسرع من غيرهم، ولكن علم اللغة التقابلي لا يهتم بهذه الفروق الفردية بل يهتم بالفروق الموضوعية. ولذا فهو يقابل مستويين لغويين اثنين بهدف بحث أوجه الاختلاف بينهما والتعرف على الصعوبات الناجمة عن ذلك. فالصعوبات التي تواجه أبناء اللغة اليابانية في تعلمهم للعربية ليست هي الصعوبات التي تواجه أبناء اللغة الأسبانية في أثناء تعلمهم للعربية. وبالمثل فتعليم اللغات الأجنبية للعرب تختلف صعوباته باختلاف اللغة المنشودة، وهذا مجال علم اللغة التقابلي، أما تحويل هذا إلى برامج تطبيقية مع التوسل بكل الوسائل التعليمية الحديثة فهو موضوع علم اللغة التطبيقي.

(41/1)

6- علم اللغة والبحث النحوي:

وهناك مصطلح آخر يستخدم كثيراً مرادفاً لمصطلح Linguistics، وهو مصطلح Grammatik أو Grmmaire، أو Grammar فكثير من الباحثين الأوروبيين في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ألفوا كتباً في النحو المقارن، وتضم هذه الكتب فصولاً في الأصوات، وبناء الكلمة وبناء الجملة. وبذلك كان المقصود من علم النحو المقارن نفس المقصود من علم اللغة المقارن، فكأن الكلمتين قد استخدمتا مترادفتين يؤيدان نفس المعنى¹. وإذا نظرنا في المؤلفات اللغوية الأوروبية الحديثة نلاحظ حديثهم تارة عن النحو المقارن Comparative Linguistics وتارة أخرى عن علم اللغة المقارن Compative Grammar كما نجدهم يكتبون عن النحو الوصفي Descriptive Grammar، أو علم اللغة الوصفي

Linguistics Descriptive، ثم نجدهم يؤلفون في النحو التاريخي **Historical Linguistics**، وعلى الرغم من اختلاف مسميات هذه الكتب فإننا تدلنا على أن كلمتي **Grammar** أي نحو و **Linguistics** أي علم اللغة تستخدمان نفس الاستخدام في إطار البحث العلمي².

1 من أشهر المؤلفين كارل بروكلمان **C. Brockelmann** وعنوان كتابه في النحو المقارن للغات السامية:

Grundriss der vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen berlin 1908–1913 تناول بروكلمان هذه القضايا في كتاب صغير له صدر بعد ذلك بعنوان:

Semitische Sprachwissenschaft أي علم اللغات السامية المقارن.

2 أما النحو بالمعنى التعليمي المعياري أي بهدف وضع ضوابط الاستخدام اللغوي الصحيح لأبنية المفردات وأبنية الجمل فهو مختلف –فيما يبدو– عن علم اللغة، فعلم اللغة يبحث اللغة أو اللغات بهدف كشف جوانبها المختلفة، لا بهدف الحكم بالخطأ والصواب على الاستخدام اللغوي، ولم يكن ثمة لقاء بين علم اللغة باعتباره علمًا أساسيًا والنحو باعتباره علمًا تطبيقيًا، واليوم يقوم علم اللغة التطبيقي **Applied linguistics** وهو أحدث مناهج علم اللغة بالدراسة العلمية لكيفية تعليم اللغات الأجنبية والقومية مستخدمًا في هذا نتائج علم اللغة وعددًا آخر من العلوم. وبهذا تم لقاء جديد بين علم اللغة وتعليم اللغات.

(42/1)

علم اللغة العام

مدخل

...

7- علم اللغة العام **General Linguistics**

موضوع علم اللغة العام نظرية اللغة، ومناهج البحث فيها¹، والأساس النظري لعلم اللغة العام أن اللغة ظاهرة إنسانية عامة تؤدي نفس الوظائف في المجتمعات الإنسانية على اختلافها. وتتألف بنيتها دائمًا من أصوات تنتظم في كلمات تكون الجمل لتؤدي

الدلالات المختلفة. ومن هذا المنطلق يهدف علم اللغة العام إلى وضع نظرية شاملة في بنية اللغة وكيفية تحليل هذه البنية إلى عناصرها التي تجعل منها وسيلة التعامل في الجماعة اللغوية. وهذه النظرية ليست مجرد فكر نظري فلسفي ولكنها ثمرة الدراسات المنهجية والتطبيقية في اللغات المختلفة، فهي نتاج التحليل العلمي لأبنية لغوية مختلفة ونتاج معرفة السمات الأساسية التي توجد في كل لغة من اللغات الإنسانية والتي لا بد من وجودها لكي تؤدي اللغة وظيفتها.

ويقوم علم اللغة العام أيضا برسم الأسس المنهجية لتحليل اللغوي من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية² فإذا كانت أصوات اللغات تبدو

1 من أهم كتب علم اللغة العام كتاب دي سوسير، انظر ملاحظة رقم 11، والكتب الأساسية التالية:

E. Sapir, Language New York 1921

L. Blovomfield, Language New York 1933

H.A Gleason, An Introduction to Descriptive
Linguistics New York 1955

2 من أهم الكتب المنهجية:

N.S. Trubetzkoy Grundzuge der phonologie. prag

J. Cantuneau 1933, Gottingen 1967 وترجمه إلى اللغة الفرنسية

باريس 1949، 1967 بعنوان:

Principes de Phonologie, Paris 1949, 1967

E.A Nida, Morphology. The descriptive Analysis of
Words; Ann Arbor, Mich. 1946, 1967

N. Chomasky, Syntactic Structires, The Hague
1957.

.S. Ullmann, Principles of Semantics, Oxford 1957

(44/1)

لأول وهلة مختلفة متنافرة فإن كل أصوات اللغات تصدر من الجهاز الصوتي الإنساني وهو مشترك عند كل البشر. ولذا فهناك أصوات كثيرة تتكرر في أكثر اللغات. وهناك وسائل محددة تتوصل بها اللغات المختلفة للتمييز بين أصواتها. فالتعرف على هذه الجوانب والاستفادة من خبرات الباحثين في اللغات المختلفة لوضع نظرية شاملة في بنية اللغة مما يدخل في علم اللغة العام، فهناك وسائل محددة تتبعها اللغات المختلفة للتمييز بين الكلمات في جمل لأداء المعاني المختلفة. فكل اللغات مثلاً بها جمل شرطية وجمل استفهامية إلخ... والتعرف على هذه الوسائل وعلى منهج تحليل اللغة من هذه الجوانب جزء من علم اللغة العام. وهناك معاجم كثيرة ألفت للغات مختلفة، بلورت في أثناء إعدادها مناهج دقيقة في العمل المعجمي، وهذه الأسس المنهجية الناجمة عن العمل التطبيقي جزء من علم اللغة العام.

وفضلاً عن هذا يهتم علم اللغة العام ببيان طبيعة العلاقات المؤثرة في حياة اللغة في المجتمعات الإنسانية¹ فاللغة لا تعيش في فراغ، بل لا بد لها من جماعة تستخدمها حتى تصبح لغة، وهنا يهدف علم اللغة العام إلى إيضاح

1 انظر مثلاً الدراسات المنشورة في:

J.A Fishman, Ch. A. Ferguson. J.D. Gupta,
Language Problems of Developing Nations New
York 1964

J.D Gupta, Language Conflict and National
Development, University of California press 1970

إبراهيم أنيس: اللغة بين القومية والعالمية، القاهرة 1970.

(45/1)

الجوانب الحضارية المختلفة التي تؤثر في حياة اللغة، ويحاول إيضاح عوامل انتشار اللغات وموتها وعوامل التجديد اللغوي ومشكلات الازدواج اللغوي وغير ذلك من المشكلات التي تتكرر في مجموعات إنسانية مختلفة. إن كل بحث دقيق يعد حول بنية أية لغة أو وظائفها في المجتمع هو بحث يفيد علم اللغة العام، ولذلك تتطور النظرية العامة للغة ولمناهج بحثها بتطور الأبحاث الجزئية في اللغات واللهجات المختلفة. إن علم اللغة الحديث يحاول بتطوير مناهجه وبالإصرار على الدقة العلمية أن يصل إلى نتائج دقيقة. ولذلك استبعدت من البحث في اللغة تلك الموضوعات التي لا يمكن بحثها بمناهج دقيقة. وأشهر هذه الموضوعات نشأة اللغة، ومرجع الاهتمام القديم بهذا الموضوع إلى الدين، فقد تكونت عند الجماعات الدينية المختلفة آراء راسخة نسبياً حول نشأة اللغة الإنسانية، فاليهود يصرون على كونها هي العبرية ومسيحيو الشرق يجعلونها السريانية، وحرار المؤلفون العرب، بين جعلها العربية أو السريانية¹. وإذا كان المفكر العربي ابن حزم قد وجد أنه من العبث التفكير في اللغة الأولى عند الإنسان ونسبتها إلى الدين دون دليل²، فإن علم اللغة الحديث لا يتناول البحث في قضية نشأة اللغة الإنسانية لعدم وجود منهج علمي لبحث ذلك. لقد حاول بعض الباحثين في القرن الماضي إعادة تكوين عدد من اللغات الموعلة في القدم مثل اللغة الهندية - الأوروبية الأولى واللغة السامية الأولى. واللغة الهندية - الأوروبية الأولى هي الأصل المفترض الذي خرجت عنه كل لغات الأسرة الهندية - الأوروبية المختلفة. واللغة السامية الأولى هي الأصل المفترض الذي خرجت عنه اللغات السامية المختلفة. ولكن محاولات إعادة تكوين اللغة الهندية - الأوروبية الأولى واللغة السامية الأولى لم تنجح إلا في التعرف على بعض الخصائص المغرقة في القدم، ولكن من الصعب القول بأن

1 السيوطي: المزهر في علوم اللغة 1/ 30-35

2 ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام 1/ 30

هذه الأبحاث استطاعت أن ترسم الملامح الكاملة للغات بادت منذ عصور سحيقة. ولهذا عزف الباحثون المحدثون عن البحث في المراحل التي لم تصل إلينا في النقوش والنصوص، وأصبح البحث في اللغة لا يهتم إلا بالمراحل التاريخية والمعاصرة، فعلم اللغة

يبدأ حين نجد نقشاً قديماً أو نصاً مدوناً، وليس من الممكن أن يمضي الباحث في تأريخه للأسرة اللغوية إلى المراحل السابقة على تدوين أقدم النقوش المكتوبة، فنشأة اللغة تخرج تمامًا عن مجال البحث في علم اللغة، وعلم اللغة يشبه في هذا علم التاريخ في أن كليهما يبدأ من أقدم الكتابات والرسوم تاركًا لعلم ما قبل التاريخ بحث المراحل السابقة على ذلك.

(47/1)

8- التسميات المختلفة لعلم اللغة:

من المفيد في هذا الصدد إيضاح التسميات المختلفة لمجالات علم اللغة ومناهجه، في محاولة لإزالة الغموض القائم عند البعض نتيجة لكثرة التسميات وغموضها وتداخلها. يطلق البعض على علم اللغة عدة تسميات:

- 1- فقه اللغة: بمعنى: علم اللغة المقارن، أو بمعنى: دراسة الألفاظ العربية، أو بمعنى: الدراسة المقارنة للألفاظ العربية في ضوء اللغات السامية، أو بمعنى: بحث الأصوات في الفصحى، أو بمعنى: بحث اللهجات القديمة والحديثة.
- 2- علم اللغة: بمعنى، علم اللغة العام، أو بمعنى: دراسة الأصوات في الفصحى، أو بمعنى: دراسة اللهجات، أو بمعنى: دراسة الدلالة.
- 3- علم اللسان: بنفس المعاني المتعددة المذكورة
- 4- اللسانيات، الجزائر
- 5- الألسنيات
- 6- اللسانيّات، للدلالة على نفس المجالات.

(47/1)

7- النحو المقارن بمعنى: دراسة بناء الكلمة؟ في اللغات السامية.

- 8- اللغويات، محاكاة للكلمة الإنجليزية Linguistics، وتتناول في أكثر الأحوال ما يدرس في أقسام اللغة الإنجليزية من تدريبات نحوية، مع مدخل عن نظرية اللغة والبحث الصوتي وتاريخ اللغة، وتستخدم الكلمة أيضًا في الأزهر بعد محاولة تطويره. وتتداخل هذه المصطلحات مع بعضها البعض تداخلًا لا يفيد العلم، كما تتداخل مع

اصطلاحي النحو والصرف، وقد أدى هذا إلى تمزق مجالات البحث العملي في اللغة وإهمال كثير من قضاياها وإلى عدم وضوح في تصور الكثيرين تجاه جوانبه المتكاملة. ولذا نرى ضرورة ترك الدلالات الموروثة من الماضي للحدث في تاريخ العلم، واستخدام تسمية موحدة واضحة: علم اللغة، تخصص بعد ذلك: المقارن، التاريخي، الوصفي، التقابلي، التطبيقي. ويضم كل منها قطاعات: الأصوات، الكلمة، الجملة، الدلالة.

(48/1)

9- علم اللغة وعلم النفس

ترجع العلاقة بين علمي اللغة والنفس إلى طبيعة اللغة باعتبارها أحد مظاهر السلوك الإنساني. فإذا كان علم النفس يعنى بدراسة السلوك الإنساني عمومًا فإن دراسة السلوك اللغوي تعد أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس. لقد اهتمت المدرسة السلوكية Behaviorism بالسلوك اللغوي¹.

1 حول السلوكية والسلوك اللغوي، انظر:

J.B watson, behaviour: An introduction to
comparative psychology, holt rindehart 1914,
psychology from the standpoint of a behaviourist,
lippencott 1919
B.F skinner, vcrbal behaviour behaviour. appelton
1957

وكذلك: فؤاد أبو حطب في: السلوكية في علم النفس، عالم الفكر "1973" 1/4 ص
200 – 167

(48/1)

وكان لها أثر كبير في البحث اللغوي الأمريكي في النصف الأول من القرن العشرين. ولكن ثمة فرقاً بين بحث اللغويين وبحث علماء النفس في قضايا اللغة. يهتم علم اللغة بالعبارة المنطوقة عند صدورها من الجهاز الصوتي للمتحدث وفي أثناء

مرورها في الهواء وعند تلقي الجهاز السمعى للمخاطب لها. ومعنى هذا أن العمليات العقلية السابقة على صدور العبارات المنطوقة لا تدخل في إطار علم اللغة. والعلاقة بين الجهاز العصبي والجهاز النطقي عند المتحدث ليست من مجالات البحث اللغوي، فاللغويين يهتمون باللغة عند صدورها ولا يهتمون بالعمليات العقلية السابقة على ذلك، فهي موضوع من موضوعات البحث في علم النفس، وعندما تصل اللغة للجهاز السمعى للمتلقي ويقوم بنقلها إلى الجهاز العصبي تحدث عمليات عقلية يبحثها علم النفس أيضا. أما تلك الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث وتمضي في شكل موجات صوتية فتصل الملتقي فهي اللغة، وهي مجال البحث في علم اللغة¹. وهناك فرق أساسي بين منهج اللغويين وعلماء النفس تجاه الظواهر اللغوية، فقد صرف علماء النفس جهدهم إلى اكتشاف قوانين عامة تفسر السلوك الإنساني، وركزوا جهدهم على الظواهر العامة مثل التعليم والإدراك والقدرات. ولكنهم لم يهتموا بمحتوى السلوك نفسه، ففي بحث قضية التعليم لم يهتموا بالمادة المنشودة التي تعلم، بل كان اهتمامهم مركزاً على عملية التعليم باعتبارها عملية عقلية². وفي السنوات الأخيرة حاول بعض الباحثين النظر إلى اللغة من الجانبين، فلم تعد الاستجابات اللغوية Verbal responses تدرس باعتبارها ضرباً من ضروب الاستجابات فحسب بل روعيت البنية اللغوية في

1 انظر: Bloomfield, Language

2 انظر التقرير العلمي العميق الذي كتبه كارول أستاذ علم النفس بجامعة هارفارد حول علم اللغة والعلوم المرتبطة به والمنشور بعنوان:

Caroll, The Study of Lungle – Harvard
Universuty Press 1953

، 1966

ويتناول الفصل الثاني من الكتاب: علم اللغة وعلم النفس

(49/1)

ذلك أيضا. ويتضح هذا من مقارنة الدراسات السابقة حول اللغة عند الطفل بالدراسات المعاصرة. فهي تبحث نفس الموضوع بطريقة اللغويين. أي بتحليل لغة

الطفل من جوانبها الصوتية والنحوية والدلالية¹. وقد أفاد علماء النفس في السنوات الأخيرة من مناهج التحليل اللغوي في بحثهم للسلوك اللغوي. ولكن هذا لا يمنع من تحديد مجال اختصاص كل من الفريقين.

فمجال الدراسة النفسية للغة هو كيفية تحويل المتحدث للاستجابة إلى رموز لغوية **to encode**، وهذه عملية عقلية تتم عند الإنسان. وينتج عنها إصدار الجهاز الصوتي للغة، وعندما تصل اللغة إلى المتلقي ويقوم بفك هذه الرموز اللغوية في العقل إلى المعنى المراد **to decode** تتم عملية عقلية أخرى تدخل في إطار علم النفس أيضا، أما تلك الرموز الصوتية التي تنتقل من المتحدث عبر الهواء إلى المتلقي، فهي مجال البحث في علم اللغة. ويرى بعض اللغويين وعلماء النفس أن دراسة السلوك اللغوي إسهام مثمر لا لفهم اللغة فحسب بل لتكوين النظرية العامة لعلم النفس وقد تطورت الدراسات اللغوية والنفسية في العشرين عامًا الماضية لتجعل من جوانب اللقاء بين علم النفس وعلم اللغة فرعًا مستقلًا بذاته هو علم اللغة النفس²

Psycholinguistics

1 انظر مثلاً كتاب:

P. Menyuk, The Acquisition and Development of Language

الصادر في سلسلة:

The prentice-Hall-Series in Developmental Psychology 1971

2 يسمى أيضا

Psychology of Language علم نفس اللغة

Linguistic Psychology علم النفس اللغوي

انظر: **F. Carroll, P. 70**.

وقد جمعت مجموعة دراسات في علم اللغة النفسي ضمن كتاب:

Sol Saporta, Psycho-linguistics Holt, Rinehart,

.Winston 1966

10- علم اللغة والعلوم الاجتماعية:

اللغة ظاهرة اجتماعية وحضارية، ولذا يلتقي في بحثها علم اللغة مع العلوم الاجتماعية المختلفة، وهناك عدة تسميات أطلقت على جوانب اللقاء بين **علم اللغة والعلوم الاجتماعية** في بحثها للغة. وتعددت هذه التسميات بتعدد أسماء العلوم الاجتماعية ومدارسها المختلفة. وليس من شأننا هنا أن ندخل في اختلافات التسميات بين العلوم الاجتماعية المتداخلة. ويكفي أن نشير إلى جوانب اللقاء الكثيرة بينها وبين علم اللغة¹. لقد أفاد الباحثون في العلوم الاجتماعية من نتائج البحث اللغوي من عدة جوانب؛ منها أن اللغة أهم مظاهر السلوك الاجتماعي وأوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد. وأفاد اللغويون كذلك من الدراسات الاجتماعية، فدراسة الألفاظ ودلالاتها على نحو دقيق لا تتم إلا في إطارها الاجتماعي والحضاري. والتغير اللغوي لا يفسر تفسيراً كاملاً إلا في ضوء الظروف الحضارية والاجتماعية، وإلى جانب هذا تؤثر المواقف الاجتماعية من مستويات اللغة في مكانة هذه المستويات وتحدد مسار التغير فيها. هناك قضايا لغوية كثيرة لا يمكن اتضاح معالمها الكاملة إلا بالتعاون بين الدراسات اللغوية والاجتماعية والحضارية².

1 يطلق على دراسة القضايا اللغوية في ضوء العلوم الاجتماعية عدة تسميات:

علم الاجتماع اللغوي sociology of language

علم اللغة الاجتماعي sociolinguistics

علم اللغة الإثنولوجي anthropological

علم اللغة الإثنوبولوجي Anthropological linguistics

علم الإثنوبولوجيا اللغوية linguistic anthropology

وحول تاريخ اللقاء بين علم اللغة والعلوم الاجتماعية:

محمود فهمي حجازي: أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية، عالم الفكر

1972 / 3 ص 151 - 180

2 انظر مجموعة البحوث المنشورة في:

Dell hymes, language in culture and society, new
york 1965.

"penguin" p.p glioli, language and social context
1972.

11- علم اللغة وتعليم اللغات:

يعد علم اللغة التطبيقي Applied Linguistics ثمرة اللقاء بين علم اللغة والتربية. موضوع علم اللغة التطبيقي هو الاستفادة من علم اللغة بمناهجه ونتائج دراساته، وتطبيق هذا كله في مجال تعليم اللغات. لقد كان علماء اللغة في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ينهجون في أبحاثهم المنهج المقارن، ولم يكن ثمة لقاء بين دراساتهم وعلم التربية. ولكن البحث الوصفي للغات والتقدم الذي أحرزه علم اللغة العام في القرن العشرين أوضحا حقائق كثيرة عن بنية اللغة وحياتها. وبدأ المختصون في تعليم اللغة وخصوصاً في العشرين عاماً الماضية يحاولون تطبيق مناهج علم اللغة ونتائجها في تعليم اللغات¹. فلم تعد اللغة الأجنبية تعلم باعتبارها ظاهرة مكتوبة بل باعتبارها ظاهرة صوتية في المقام الأول. بدأ الاهتمام بالنطق يحتل المكان الأول في تعليم اللغات، فهو الأصل، أما الكتابة فهي ظاهرة تابعة، ومن ثم أصبح من المتفق عليه في علم اللغة التطبيقي أن يعد تعليم النطق أساساً لتعليم الكتابة. فبدأ تعليم اللغة بالجانب الصوتي ثم تأتي كيفية الكتابة بعد ذلك، مع ملاحظة أن الفروق بين البنية الصوتية للغة ونظام

1 اهتمت كثير من الدول بالاستفادة من علم اللغة التطبيقي في نشر لغاتها وتعليمها للأجانب وأنشئت مراكز لعلم اللغة التطبيقي مثل:

Center for applied Linguistics. Washington

Center de recherche et d'etude pour la diffusion due

Francais- Paris CREDIF

ومركز الدراسات التابع لمعهد جوته Goethe-Institut في ميونخ وتكونت في السنوات الماضية عدة جمعيات علمية لعلم اللغة التطبيقي وعقدت مؤتمرات دولية كثيرة في السنوات الماضية لبحث قضايا علم اللغة التطبيقي 1972 وانظر حول هذا الاتجاه الجديد في تعليم اللغات:

"R. Lado, language teaching, new york 1955".

M. de greve, linguistique et enseignement des

"langues etrangeres 1970".

كتابتها يشكل صعوبات التدوين، ومن ثم ينبغي الإشارة إليها باعتبارها ظواهر خاصة بالكتابة لا باللغة.

وإذا كان علم اللغة التقابلي يهتم بمقارنة أي مستويين لغويين بهدف إثبات الفروق بينهما، فإن مقارنة اللهجة المحلية التي اكتسبها التلميذ في طفولته باللغة الأدبية التي ينبغي له أن يتعلمها توضح لنا الصعوبات التي تواجهه في ذلك، ولذا تعد الدراسات اللغوية التقابلية من أهم أدوات البحث في وضع برامج تعليم اللغة القومية، كما أنها تفيد بنفس القدر في تحديد الصعوبات التي تواجه أبناء جماعة لغوية ما في تعلمهم للغة أجنبية، وبذلك تستطيع الدراسة التقابلية أن تحدد بطريقة موضوعية جوانب الصعوبة الناجمة عن اختلاف بنية اللغتين: اللغة الأم واللغة المنشودة¹.

وإذا كان علم اللغة قد أوضح أن المعنى هو حصيلة الاستخدام في المواقف الكلامية والثقافية المختلفة، وأن إichاءات الرمز اللغوي هو حصيلة استخدامه في هذه المواقف، فإن تعليم اللغات أخذ يضع في اعتباره أن دلالة الكلمة أو العبارة لا تتضح عند التلميذ إلا إذا درست مرتبطة بمواقف استخدامها. فاستظهار قوائم المفردات لا يعني إدراك إichاءات المعنى المراد، ودلالة الألفاظ لا تكتسب إلا في مواقف استخدامها، ولا تعلم إلا في مثل هذه المواقف أو ببيان هذه المواقف.

لقد أثبت علم اللغة وجود مستويات متنوعة للاستخدام اللغوي، ولذا ينبغي تحديد المستوى اللغوي المراد وعدم قضاء الوقت في تعلم مستويات لغوية متداخلة دون وعي بالمستوى اللغوي المنشود²، ولا بد من تحديد هذا

1 اللغة المنشودة = target language أي اللغة المراد تعلمها.

2 تهتم بعض مراكز بحوث تعليم اللغات بقضية الاستخدام اللغوي في مجال التخصص.

وقد بحث المعهد المركزي للإنجليزية central institute of english في

حيدر أباد بالهند الاستخدام اللغوي المحدود restricted language بهدف

تحديد ما يلزم الطالب الهندي من الإنجليزية لقراءة كتب العلوم الطبيعية وما يلزمه لقراءة

كتب العلوم الاجتماعية إلخ، وقد أصدر مركز CREDIF في فرنسا عدة كتب في

هذا الاتجاه أي حول Les Langues des Specialites تناولت عدة فروع

للمعرفة، وتعمل هذه المراكز الآن في تطوير الوسائل التربوية المناسبة للإفادة في هذه البحوث اللغوية.

(53/1)

المستوى في ضوء الأهداف الحضارية والثقافية والاجتماعية المختلفة، فتعليم لغة من اللغات بهدف التعامل اليومي بها يختلف عن تعليمها بهدف قراءة المؤلفات الطبية بها، وتعليم اللغة بهدف قراءة كتب الفيزياء أو الرياضيات يختلف عن تعليمها لقراءة الصحف، فهذه المستويات متنوعة متفاوتة.

(54/1)

12- علوم اللغة بين العلوم:

هناك فرق أساسي بين مكانة علوم اللغة في التراث العربي ومكانة علم اللغة بين العلوم الحديثة. فإذا كانت مدارس علم اللغة المتتابعة عبر القرون تختلف في مناهج التحليل اختلافاً كبيراً فإن الفرق الأساسي بين علم اللغة في التراث العربي وعلم اللغة الحديث ينبع من مكان علم اللغة بين العلوم، كان البحث اللغوي عند العرب أداة لفهم الدين، وقد ارتبط منذ نشأته بالبحث في لغة القرآن الكريم، وظل هذا الارتباط قائماً في الدوائر العلمية على مدى القرون. وظهر هذا بصفة خاصة عند المؤلفين المسلمين من غير العرب، مثل الثعالبي وأبي حاتم الرازي والحوارزمي والتهانوي. فالثعالبي يرى العربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين¹. وقد جاء أبو حاتم الرازي للغات العربية والعبرية والسريانية والفارسية أفضل لغات الأرض لأن الكتب الدينية دونت بها، فالمعيار الديني هو معيار تفضيل لغة على لغة. ومن ثم فهو يرفض أيضاً الرأي القائل بفضل اللغة اليونانية والهندية لأن كتب الفلاسفة والأطباء وأصحاب النجوم والهندسة والحساب بها². لقد كان

1 فقه اللغة ص1، ط 1954

2 كتاب الزينة، ص61.

العلوم الدينية تشغل حيزاً كبيراً من الاهتمام العلمي في مجال الحضارة الإسلامية. وكان الاهتمام بعلوم اللغة جزءاً من الدراسة الهادفة إلى التعمق في الدين. فعندما صنف الخوارزمي العلوم التي عرفتها الحضارة الإسلامية جعلها في مجموعتين: العلوم الشرعية وما يقترن بها من العلوم العربية، ثم: علوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم¹. ونجد في مقدمات كتب كثيرة إشارات إلى أن الدراسة اللغوية أداة من أدوات فهم نصوص القرآن والحديث، فابن القوطية -مثلاً- قدم لكتابه الأفعال بأنها: أصول مباني أكثر الكلام ... وبعلمها يستدل على أكثر علم القرآن والسنة². وقد عد ابن خلدون معرفة: علوم اللسان العربي ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم³. وعندما قسم ابن خلدون العلوم إلى علوم مقصودة بالذات وعلوم آلية، عد علوم اللغة من العلوم الآلية باعتبار أنها مجرد وسيلة لفهم العلوم الشرعية، ولذا فالبحث اللغوي عند ابن خلدون ليس هدفاً في ذاته⁴ بل إنه يرى: الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعاً للعمر وشغلاً بما لا يعني⁵. وتتضح هذه الفكرة عند التهانوي الذي جعل علم اللغة من فروض الكفاية التي تسقط عن الكل إذا قام بها البعض، فعلم اللغة لم يكن مستقلاً بذاته، ولم يكن إلا وسيلة لفهم النصوص الدينية. أو كما يقول التهانوي: آلة لتحصيل العلم بالشرعيات⁶ وتوضح هذه النصوص موقفاً عاماً من علوم اللغة في إطار

1 مفاتيح العلوم، ط القاهرة 1342، ص4.

2 كتاب الأفعال لابن القوطية، تحقيق: علي فودة 1952، ص1.

3 مقدمة ابن خلدون 1254. ط وافي - القاهرة 1962.

4 مقدمة ابن خلدون 1238

5 مقدمة ابن خلدون 1239، وقد ردد هذه الفكرة حسين المرصفي في الوسيلة الأدبية

ط 2 / 1924، 1 / 106

6 يقول التهانوي: الأصل هو العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه

وسلم- وإجماع الأمة وآثار الصحابة..... والتعلم بعلم اللغة التي هي آلة لتحصيل

العلم بالشرعيات..... كلها من فروض الكفاية..... وعلم الطب من فروض الكفاية

أما التعمق في الطب فليس بواجب.
انظر: كشاف اصطلاحات الفنون 1/ 73. ومنطلق فكرة التهانوي في تصنيفه للعلوم هو اعتبار الدنيا مرحلة إلى الآخرة، وأن العمل من أجل الآخرة هو طريق الصلاح في الدنيا، "الآخرة سبب استقامة الدنيا وفي استقامتها استقامتها"، المرجع المذكور 1/ 74.

(55/1)

الحضارة الإسلامية، فقد كان الاشتغال بعلوم اللغة أداة لفهم العلوم الدينية، ولم تكن فكرة استقلال كل علم واردة في فكر العصور الوسطى ولم يكن الهدف العلمي واضحاً في تصنيف العلوم.

ولكن التقدم العلمي في العصر الحديث أدى إلى اتساع مجالات المعرفة عند الإنسان وفرض التخصص على من يريد المشاركة في البحث العلمي، وهنا أخذ علم اللغة يستقل بنفسه شأنه في هذا شأن فروع المعرفة الأخرى، وإذا كان ثمة ضرورة لتصنيف العلوم في العصر الحديث فإن علم اللغة يشغل في التصنيف العشري لديوي¹ مكاناً وسطاً بين علم الاجتماع والعلوم الطبيعية. وفي هذا إدراك واضح لمكان علم اللغة الحديث بين العلوم والمعارف الحديثة.

لم يعد علم اللغة مجرد وسيلة لفهم النصوص الدينية أو أداة لفهم النقوش القديمة فحسب، بل له أيضاً أهدافه العلمية العامة بجانب الأهداف التطبيقية الكثيرة. فعلم اللغة علم أساسي بمعنى أنه يحاول - مثل باقي العلوم الأساسية الأخرى - كشف جوانب موضوعه بأدق المناهج العلمية. أما الأهداف التطبيقية مثل الإفادة من نتائج علم اللغة في تعليم اللغات والتخطيط اللغوي فتأتي ثمرة طبيعية للدراسات الأساسية، ولكن علم اللغة لا يهدف بطريقة مباشرة نحو هذه القضايا التطبيقية، وهذا أيضاً شأن كل فروع المعرفة العلمية.

لقد أصبح علم اللغة علماً مستقلاً هدفه الأساسي بحث كل جوانب اللغة والحياة اللغوية في العالم. ويقدم علم اللغة هذه النتائج، فتكون متاحة لعدة تخصصات وعلوم تستفيد من علم اللغة ومن غيره. وما أكثر العلوم التي تتعامل.

1 انظر: Dewey Decimal Classification

(56/1)

بنتائج علم اللغة. منها: علم الأصوات العلاجي. علوم التربية. علم النفس. العلوم الاجتماعية. هندسة أجهزة الاتصال **Comunication Engineering** إلخ... وإذا كان ابن خلدون وغيره قد اعتبروا الحساب أداة للعلوم الدينية¹ فلم يعد أحد يعتبر الرياضيات مجرد وسيلة لتنظيم المعاملات الفقهية. وإذا كانت الرياضيات قد أصبحت علمًا مستقلًا. وأصبح للطب الذي كان فرض كفاية² فروع كثيرة مستقلة ومتكاملة، فإن علم اللغة قد أصبح علمًا مستقلًا ببحث اللغة ويستفيد من كل فروع المعرفة التي تنير له جوانب مختلفة في بحث اللغة، فإلى جانب الإفادة من أجهزة القياس الصوتي والوسائل الإحصائية ونتائج علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم فيزياء الصوت فإن علم اللغة يرتبط بأوثق الوشائج مع العلوم الإنسانية الأخرى. مثل علم النفس وعلم الاجتماع ولذا يصفه البعض بأنه أكثر العلوم الدقيقة إنسانية وأكثر العلوم الإنسانية دقة.

1 مقدمة ابن خلدون ص 1238.

2 كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي 1/ 73.

(57/1)

الفصل الثالث: علوم اللغة في التراث العربي

مدخل

...

الفصل الثالث: علوم اللغة في التراث العربي

اهتم عدد من الباحثين العرب بعلوم اللغة منذ بداية الحركة العلمية في إطار الدولة الإسلامية، فكانت لهم جهودهم في مجالات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والمفردات. وكان المشتغلون بعلوم اللغة يصنفون مجموعتين، تهتم المجموعة الأولى ببنية اللغة، وتهتم المجموعة الثانية بمفردات اللغة ودلالاتها. وقد وصف مجال بحث عند المجموعة الأولى "النحو" أو "علم العربية" بينما وصف مجال بحث المجموعة الثانية بأنه "اللغة" أو "علم اللغة" أو "فقه اللغة" أو "متن اللغة". وإلى جانب هذه المصطلحات، ولكن منها تاريخ مستقل، وجدت محاولات لوصف علوم اللغة مجتمعة، فسميت "علم

اللسان" أو "علوم اللسان العربي" أو "علوم الأدب" أو "العلوم العربية"، كما وجدت إلى جانب هذا محاولات لبيان ترابط هذه الأفرع وإيضاح النسق الذي يتخذه كل منها في إطار البحث اللغوي العام.

(59/1)

1- النحو وعلم العربية:

أطلق علماء اللغة على دراسة بنية اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية

(59/1)

في التراث العربي اسمين اثنين، هما النحو وعلم العربية، ويرجع مصطلح النحو إلى القرن الثاني الهجري، وظل مستخدمًا لوصف هذا المجال من مجالات البحث إلى يومنا هذا. لقد صنف كتاب سيبويه بأنه كتاب في النحو، ووصفه أبو الطيب اللغوي، ت 351 هـ، بأنه قرآن النحو كما وصف سيبويه بأنه أعلم الناس بالنحو بعد الخليل¹. ويضم النحو بهذا المعنى مجموعة الدراسات التي تصنف في علم اللغة الحديث في إطار الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة. إن سيبويه صاحب أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي - لم يقسم كتابه إلى موضوعات كبرى متميزة. وإنما اكتفى بحشد الأبواب الكثيرة متتابعة. لقد بدأ كتابه بقضية الإعراب وانتقل منها إلى عدد من القضايا الخاصة ببناء الجملة، وعندما تحول بعد ذلك إلى الأبواب الخاصة بالأبنية الصرفية وجد لزامًا عليه أن يفسر بعض الأبنية في ضوء البحث الصوتي فجاءت الأبواب الخاصة بالأصوات في آخر كتابه. لم يضع سيبويه مصطلحات تميز في وضوح قطاعات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة، فكل هذا يدخل عنده في مجال واحد هو مجال النحو. وظل الباحثون في القرون الأولى للهجرة يستخدمون مصطلح النحو في أكثر الأحوال بهذا المعنى العام. يضم النحو في تعريف ابن جني، ت 391 هـ، المجالات التالية: الإعراب، التثنية، الجمع، التحقير، التكسير، الإضافة، النسب، التركيب وغير ذلك². فالنحو يضم عند ابن جني هذه الدراسات التي تصنف الآن في إطار بناء الكلمة إلى جانب ما يتعلق ببناء الجملة ويتناول علم النحو عند أبي حيان الأندلسي: معرفة الأحكام التي للكلمة العربية من جهة

1 مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، ص: 65.

2 الخصائص لابن جني 1/ 34، وتعريف ابن جني للنحو: "النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة".

(60/1)

إفرادها ومن جهة تركيبها¹ أي أنه يبحث بنية الكلمة المفردة وعلاقات الكلمات في الجملة. وظل كثير من النحويين يعدون النحو شاملا لكل هذه الدراسات، فالنحو عندهم يتناول كل ما يتعلق بالكلمة والجملة. لقد ألف ابن الحاجب، ت 646هـ، كتاب "الكافية" في النحو ويتناول فيه القضايا الخاصة بالإعراب وبناء الجملة بينما خصص لبناء الكلمة كتابا آخر هو "الشافية" ولكنه على الرغم من هذا التقسيم ظل ابن الحاجب يعد "التصريف" قسما من النحو لا قسيما له². وهناك مؤلفون آخرون استخدموا كلمة "النحو" بمداول أضيق، فقصوروا استخدام هذه الكلمة على البحث في بناء الجملة، وبهذا المعنى استقر المصطلح في القرون المتأخرة للحضارات العربية الإسلامية³. وهناك مصطلح آخر وصف به البحث في بنية اللغة، وهو مصطلح "العربية" أو "علم العربية". لقد وصل إلينا المصطلحان في مؤلفات القرن الرابع الهجري، فابن النديم وابن فارس يستخدمان مصطلح العربية بمعنى النحو. فعندما نوقشت قضية أولية التأليف في النحو نجد عندهما العبارة التالية: أول من وضع العربية ... 4 وظل استخدام هذين

1 البحر المحيط لأبي حيان 1/ 5-6 وانظر كتاب: أبو حيان النحوي لخديجة الحديثي. ص213.

2 انظر: شرح الشافية للاستراباذي، "ط محي الدين 1939" 1/ 6.

تعريف النحو عند الأشموني: العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي اختلف منها. انظر: شرح الأشموني على الألفية 1/ 5، ط النهضة بالقاهرة 1955، ولكن مضمون البحث النحوي كما يتضح من الألفية عبارة عن أحكام الجملة والكلمة. وقد ذكر التهانوي التعريف التالي للنحو:

علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقاماً وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه، انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، مؤلف 1158هـ، 1/ 23
3 قارن أيضاً تعريفات النحو عند أبي حيان في الإدراك ط إستانبول 1309 ص 66،
والبحر المحيط 1/ 5-6، وعند ابن خلدون في المقدمة 1254.
4 نزهة الألباء ص 47. انظر الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، ط بيروت ص 38،
66، والفهرست لابن النديم، ط فلوجل، ص 39 ونفس العبارة في نزهة الألباء، "ط
القاهرة، د. ت" ص 4.

(61/1)

المصطلحين في كتب المشاركة في القرون التالية يمثل ظاهرة فردية محددة، على نحو ما نجد في مؤلفات ابن الأنباري، ت 577هـ، ولكن المغاربة والأندلسيين كانوا يفضلون وصف ذلك التخصص بأنه علم العربية.

لقد ذكر أبو البركات بن الأنباري مصطلح العربية في مواضع كثيرة بمعنى النحو، كما جاء هذا المصطلح في تراجم كثير من العلماء، فعند يونس بن حبيب يلتقي طلبة العربية وفصحاء الإعراب¹ واليزيدي أخذ علم العربية من أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن إسحق الحضرمي والخليل بن أحمد² كما وصف ابن الأنباري كتابه الإنصاف بأنه أول كتاب صنف في علم العربية³ حول القضايا الخلافية. وسمى ابن الأنباري أحد كتبه في النحو أسرار العربية ولكن استخدام مصطلحي العربية وعلم العربية بمعنى النحو يعد ظاهرة محدودة الانتشار عند المشاركة مثل ابن الأنباري.

أما في المغرب والأندلس فهناك نصوص كثيرة توضح تفضيلهم لمصطلح العربية في القرن الرابع الهجري ذكر الزبيدي، ت 379هـ، في تراجم لكثير من علماء الأندلس والمغرب مصطلح العربية بمعنى النحو فإذا كان المشاركة قد كتبوا عن النحو واللغة فإن الزبيدي ذكر في مواضع كثيرة "العربية" و"اللغة"⁴ والعربية أو علم العربية عند الزبيدي مصطلحان

1 نزهة الألباء ص 47

2 نزهة الألباء ص 205.

3 انظر مقدمة كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف، ط القاهرة 1/6 ص 5

- 4 انظر العبارات التالية للزبيدي في طبقات النحويين واللغويين حيث تجد التقابل بين "علم العربية" بمعنى النحو و"علم اللغة" بمعنى بحث المفردات:
- كان يستفتى في الكلمة من اللغة والمسألة من العربية، ص 281.
 - كان من أهل العلم بالعربية واللغة، ص 287.
 - جلب إلى الأندلس علما كثيرا من الشعر والغريب والعربية والأخبار، ص 289.
 - وكان أستاذاً في علم العربية واللغة ص 294.
 - من أهل العلم بالعربية والحفظ للغة ص 309، وكذلك ص 312
 - كان مؤدباً عالماً بالعربية وكان يميل إلى مذهب الكوفيين، ص 323.
 - كان بصيراً بالعربية حاذقاً فيها، وكان قد طالع كتاب سيبويه ونظر فيه ص 321
- وهناك مواضع كثيرة مماثلة أخرى.

(62/1)

دارا كثيرا في مؤلفاته بمعنى النحو¹ وليس استخدام مصطلحي العربية وعلم العربية عند الزبيدي سمة فردية خاصة، فالمصطلحان وردا في كتب مغربية وأندلسية كثيرة²، كما وردا في تراجم أندلسية تناقلتها كتب الطبقات³، وهناك مواضع كثيرة عند ابن خلدون توضح أن المغاربة والأندلسيين كانوا قد اعتادوا حتى عصره التعبير عن النحو بمصطلح "العربية" أو "علم العربية". لقد وصف ابن خلدون كتاب سيبويه بأنه في علم العربية وأن ألفية ابن مالك في العربية أيضا⁴ وإذا كان ابن خالويه، ت 370هـ، وهو أحد علماء المشرق قد استخدم عبارة "أهل صناعة النحو" فإن ابن خلدون وهو مغربي قد ذكر في نفس المعنى عبارة "أهل صناعة العربية"⁵، وقد أطلق ابن خلدون على القواعد النحوية مصطلحين مترادفين هما: "قوانين العربية"، و"القوانين النحوية"⁶. ومن هذا كله يتضح أن المغاربة

1 وصل إلينا كتاب نحوي للزبيدي في مخطوطين اثنين:

الأول: مخطوط مكتبة الجامع المقدس بصنعاء 71 نحو عنوانه فيها: "الواضح في علم العربية"، ومنه مصورة في دار الكتب بالقاهرة. والثاني: مخطوط الإسكوريال 2/ 197 وعنوانه فيها: "الواضح في النحو" انظر: لحن العامة للزبيدي، مقدمة: عبد العزيز مطر 8.

- 2 ووصف ابن عصفور، ت 669، التصريف بأنه من "علم العربية" انظر: الممتع 1/37 باعتبار أن "علم العربية" يضم كل ما يتعلق ببناء الجملة وبناء الكلمة.
- 3 وردت كلمة "العربية" في تراجم أندلسية نقلها السيوطي في بغية الوعاة 1/7، 1/8، 9/1.
- 4 مقدمة ابن خلدون 1231.
- 5 قارن: الحجة في القراءات السبع ص 38، مقدمة ابن خلدون 1231/1278.
- 6 مقدمة ابن خلدون 1248.

(63/1)

والأندلسيين كانوا يستخدمون مصطلح العربية في الوقت الذي كان فيه المشاركة يميلون إلى مصطلح النحو.

ظل النحو عند المشاركة أو علم العربية عند المغاربة يضم الدراسات الخاصة ببنية اللغة من جوانبها المختلفة. وعندما ألف المازني، ت 349هـ، كتابه التصريف لم يكن البحث في بناء الكلمة إلا جزءاً من النحو بالمعنى الشامل. لم يضع سيوييه اصطلاحاً مستقلاً للعلم الذي يبحث بناء الكلمة، ويبدو أن المازني من أوائل من خصصوا للأبنية الصرفية كتباً مستقلة، وكتابه "التصريف" أقدم كتاب مستقل كامل وصل إلينا في الأبنية الصرفية، وقد حدد ابن جني، ت 391هـ، مجال البحث في التصريف بأنه معرفة أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه وأن التصريف هو الأساس الذي تقوم عليه معرفة الاشتقاق¹، ولم يكن التصريف عند ابن جني إلا جزءاً من النحو، وألف ابن عصفور الأندلسي، ت 699هـ، في بنية الكلمة كتابه "الممتع في التصريف"، والتصريف عنده جزء من البحث في علم اللغة²، وصرح الاستراباذي، ت 688هـ، بأن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصناعة³.

أما مصطلح الصرف الذي استقر في الاستخدام المدرسي بعد ذلك فهو اصطلاح متأخر نسبياً. فالسكاكي، ت 617هـ، استخدم مصطلح الصرف في حديثه عن الأحكام الخاصة ببنية الكلمة⁴، وبهذا المعنى ذكر طاشكيري زاده علم الصرف⁵.

ويلاحظ عند هؤلاء المؤلفين المتأخرين أن الصرف عندهم ليس جزءاً من النحو، بل هو قسيم النحو. وهكذا استقر مجال عالم النحو عندهم باعتبار أنه دراسة الإعراب وبناء الجملة في مقابل الصرف الذي يتناول بنية الكلمة.

1 انظر المنصف شرح التصريف 1 / 2.

2 الممتنع 1 / 27.

3 شرح الشافية "تحقيق: محيي الدين، القاهرة 1939، 1 / 6.

4 مفتاح العلوم للساسكي ص 3، وأحمد مطلوب: البلاغة عند الساسكي، بغداد 1964 ص 65.

5 مفتاح السعادة 1 / 99.

(64/1)

2- اللغة وعلم اللغة وفقه اللغة:

أطلق المؤلفون العرب على الاشتغال بالمفردات اللغوية جمعًا وتأليفًا عدة مصطلحات أقدمها مصطلح "اللغة". لقد وصف أبو الطيب اللغوي، ت 351هـ، أبا زيد الأصمعي وأبا عبيدة. وقارنهم من جانب معرفتهم باللغة. كان أبو زيد أحفظ الناس للغة، وكان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها¹. والمقصود هنا بكلمة اللغة مجموع المفردات ومعرفة دلالاتها. وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من الجانب الآخر. لذا عد سيبويه والمبرد من النحاة بينما عد الأصمعي وأقرانه من اللغويين. وقد ظل استخدام كلمة اللغة بهذا المعنى عدة قرون، وأصبح اللغوي هو الباحث في المفردات جمعًا وتصنيفًا وتأليفًا.

فالأصمعي لغوي لأنه جمع ألفاظ البدو وسجلها في رسائل لغوية مصنفة في موضوعات دلالية. والخليل لغوي لأنه أول من حاول حصر الألفاظ العربية وتسجيلها في معجم، وابن دريد لغوي أيضا لأنه ألف معجمه جمهرة اللغة. والأزهري لغوي لأنه ألف معجمه تهذيب اللغة، وظل استخدام كلمة اللغة بمعنى بحث المفردات وتصنيفها في معاجم وكتب موضوعية سائدًا في الدوائر العلمية عدة قرون.

وهناك مصطلح ظهر في القرن الرابع الهجري عند اللغوي العربي ابن فارس، ت 395هـ، وأخذه عنه الثعالبي، ت 429هـ. لقد أطلق ابن فارس على أحد

1 مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص 41.

كتبه "الصاحبي في فقه اللغة"، وبذلك ظهر مصطلح فقه اللغة لأول مرة في التراث العربي عنواناً لكتاب، وتسمية لفرع من فروع المعرفة. ولم ينتشر هذا المصطلح إلا بقدر محدود، وأشهر من استخدمه بعد ابن فارس - لغوي أديب هو الثعالبي، فقد سمي كتابه "فقه اللغة وسر العربية". يتفق كتابا ابن فارس والثعالبي، في معالجهما لقضايا الألفاظ العربية، فموضوع فقه اللغة عندهما هو معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها وتصنيف هذه الألفاظ في موضوعات وما يتعلق بذلك من دراسات¹. يضم كتاب ابن فارس إلى جانب هذا مجموعة من القضايا النظرية حول اللغة، من أبرزها قضية نشأة اللغة، فإذا كان العلماء قد اختلفوا في ذلك فرآها البعض "اصطلاحاً" أي عرفاً اجتماعياً فإن ابن فارس رفض هذا الرأي واعتبرها توقيفاً أي بمنزلة الوحي المنزل من السماء². ولا يدخل موضوع اللغة ولا موضوع ارتباط اللغة بالوحي في إطار قضايا علم اللغة الحديث، لأنه ليس من الممكن بحث الموضوعين بمعايير علمية دقيقة.

كما تضمن كتاب الثعالبي قسماً ثانياً هو سر العربية، وقد تناول الثعالبي في القسم الثاني عدداً من الموضوعات الخاصة ببناء الجملة العربية. ولكن المؤلفين

1 تناول القسم الخاص بفقه اللغة في كتاب: فقه اللغة وسر العربية المفردات في مجموعات دلالية: النبات والشجر، أنواع الحيوان، الطعام، الثياب، الإبل، الآلات، والأدوات أوائل الأشياء وأواخرها، الطول والقصر، اليبس واللين، القلة والكثرة، الملء والصفورة والخلاء، الأصول والرءوس والأعضاء والأطراف، الأمراض والدواء، الأصوات وحكايتها، الحجارة..... إلخ.

2 انظر: الصاحبي في فقه اللغة. وأيضاً المزهري للسيوطي 8/1 وما بعدها يتضح رأي ابن فارس في أصل اللغة من الفقرة التالية: وقف الله عز وجل آدم عليه السلام ما شاء الله أن يعلمه إياه مما احتاج إليه علمه في زمانه..... ثم علم بعد آدم من الأنبياء صلى الله عليه وسلم ما شاء أن يعلمه حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- فأتاه الله من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة، ثم قر الأمر قراره، فلا نعلم لغة من بعده حدثت، فإن تعمل لذلك متعملاً وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده، وقد وافق ابن حزم على القول بالأصل التوقيفي للغة الإنسانية

ورفض خلط اللغات وعدم التمييز بينها ونسبة اللغات إلى الأنبياء دون دليل علمي،
انظر: الإحكام في أصول الأحكام ص 30-31.

(66/1)

متفقان على جعل فقه اللغة هو دراسة دلالات الألفاظ وتصنيفها في موضوعات.
أما مصطلح "علم اللغة" فقد استخدم عند بعض اللغويين المتأخرين وكان المقصود منه
دراسة الألفاظ مصنفة في موضوعات مع بحث دلالاتها. فالرضي الاستراباذي يفرق بين
علم اللغة وعلم التصريف، موضوع الأول: دراسة الألفاظ، والثاني: معرفة القوانين
الخاصة ببنية هذه الألفاظ¹، أما أبو حيان فقد ذكر مصطلح علم اللغة في عدة كتب
له، وموضوع علم اللغة عنده هو دراسة مدلول مفردات الكلم². ولا يختلف استخدام
مصطلح علم اللغة عند ابن خلدون عن هذا المعنى، فعلم اللغة عنده هو بيان
الموضوعات اللغوية والمقصود بذلك الدلالات التي وضعت لها الألفاظ³. وقد ذكر ابن
خلدون في إطار كلامه عن علماء اللغة الخليل بن أحمد وغيره من أصحاب المعاجم
العربية. ويوضح كل هذا أن مصطلح علم اللغة يعني عند الرضي الاستراباذي وأبي
حيان وابن خلدون وغيرهم⁴ دراسة المفردات وتصنيفها في معاجم وكتب.
وهناك اصطلاحاً آخر أطلقه بعض المؤلفين على دراسة دلالات المفردات اللغوية وهو
اصطلاح "علم متن اللغة"⁵ وقد حاول المرصفي⁶ وحمزة

1 شرح الكافية "المقدمة".

2 انظر: الإدراك للسان الأتراك ص 66، البحر المحيط لأبي حيان 1/ 5 - 6، أبو
حيان النحوي لخديجة الحديثي ص 213، وكذلك ص 176، 1838.

3 مقدمة ابن خلدون 1258.

4 قارن: المواهب الفتحية لحمزة فتح الله 1/ 21-22، ودراسات في علم اللغة
لكمال بشر 2/ 47-48.

5 ذكر ابن يعقوب المغربي في شرح التلخيص 1/ 146: علم متن اللغة، أي معرفة
أوضاع المفردات اللغوية، ويسمى هذا العلم علم المتن، لأن هذا المتن هو ظهر الشيء
ووسطه وقوته وهذا العلم تعلق بذات اللفظ ومعناه. وانظر كذلك: المواهب الفتحية 1/
20-22.

6 انظر الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية للشيخ حسن المرصفي، "ط 2 سنة 1924" ج 1 ص 20.

(67/1)

فتح الله استخدام هذا المصطلح بهذا المعنى، كما أطلق أحمد رضا أيضا على معجمه متن اللغة.

وهكذا استخدم المؤلفون العرب قبل العصر الحديث، وتابعهم المؤلفون السلفيون في أوائل القرن العشرين بصفة خاصة مصطلحات اللغة وفقه اللغة وعلم اللغة و متن اللغة في عناوين مؤلفاتهم أو وصفاً لجهود مؤلفي المعاجم وكتب المفردات اللغوية.

(68/1)

3- علم اللسان وعلوم الأدب والعلوم العربية:

ترجع أول محاولة جادة¹ لترتيب علوم اللغة في نسق واحد إلى الفارابي، وقد أطلق الفارابي على كل العلوم اللغوية اسماً شاملاً لها هو "علم اللسان"، يتألف علم اللسان عنده من عدة مجالات. يقابل "علم الألفاظ المفردة" في تصنيف الفارابي "علم الدلالة" في التصنيف الحديث. ويتناول "قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة وعندما تتركب" البحث في الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة على التوالي. ولكن الفارابي أدخل في علم اللسان بعض الموضوعات التي لا تدخل في علم اللغة بالمعنى الحديث، من ذلك علم الألفاظ المركبة التي صنعها خطباؤهم وشعراؤهم أي دراسة الشعر والنثر. ومن ذلك أيضا قوانين تصحيح الكتابة وقوانين تصحيح القراءة وقوانين الأشعار². وهكذا ضم علم اللسان عند الفارابي علوم اللغة إلى جانب غيرها من العلوم والمهارات. ويدل مصطلح علوم الأدب عند ابن الأنباري على علوم اللغة: النحو

1 ابن فارس الصحابي ص 9-20 ميز بين "علم العرب أصلاً وفرعاً". وهو تمييز

القضايا اللغوية من جانب ومعرفة الألفاظ ودلالاتها من الجانب الآخر.

2 انظر: إحصاء العلوم للفارابي، تحقيق عثمان أمين 1948. ص 47 - 50.

واللغة والتصريف وعلم الجدل في النحو وعلم أصول النحو بالإضافة إلى العروض والقوافي وصناعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم¹. أي أن علوم الأدب تشمل عند ابن الأنباري مجموعة العلوم اللغوية والأدبية وما يتعلق بها من معارف.

وكان ابن الأنباري أول من اعتبر علم أصول النحو أي مناهج البحث النحوي علماً قائماً بذاته، وقد ألف فيه مختصراً حذو المؤلفين في علم أصول الفقه يقول ابن الأنباري أصول النحو هي أدلة النحو التي تفرعت عنها فروعها وفصوله كما أن معنى أصول الفقه أدلة الفقه التي تفرعت عنها جملته وتفصيله.

والأديب عند ابن الأنباري وعند ياقوت الحموي هو المشتغل بهذه العلوم اللغوية الأدبية وما يرتبط بها من معارف، وبهذا المعنى ألف ابن الأنباري كتابه نزهة الألباء في طبقات الأدباء، وألف ياقوت الحموي إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.

أما تصنيف السكاكي لعلوم اللغة فيقوم على أساس "مثرات الخطأ"، فالخطأ اللغوي يمكن أن يكون في بنية الكلمة وهذا موضوع علم الصرف وقد يكون في تأليف المفردات داخل الجملة وهذا موضوع علم النحو وقد يكون في مطابقة العبارة للمعنى وهذا موضوع علمي المعاني والبيان. واعتبر السكاكي علوم الصرف والنحو والمعاني والبيان بالإضافة إلى علم اللغة مجموعة علوم متكاملة انتظمت عنده في نسق واحد². وكان أبو حيان النحوي أول من أطلق مصطلح علوم اللسان العربي على علوم اللغة. وقد تابعه ابن خلدون في استخدام هذا المصطلح. تضم علوم اللسان

- 1 انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري تحقيق: عطية عامر. ص 53، انظر: لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق: عطية عامر، ص 227.
- 2 انظر: مفتاح العلوم للسكاكي المؤلف سنة 716 هـ تقريباً ص 3، والبلاغة عند السكاكي لأحمد مطلوب ص 65.

العربي عند أبي حيان علم اللغة وعلم التصريف وعلم النحو. يتناول علم اللغة "مدلول مفردات الكلم" ويتناول علم التصريف "أحكام مفردات الكلم قبل التركيب" أما علم

النحو فيتناول أحكام مفردات الكلم "حالة التركيب" وبذلك كان مصطلح "علوم اللسان العربي" عند أبي حيان شاملاً لعلوم اللغة عند العرب دون غيرها من العلوم¹. ولا يقتصر مجال علوم اللسان العربي عند ابن خلدون على النحو واللغة بل ضم إليهما علم البيان وعلم الأدب، وبذلك لم يفصل ابن خلدون بين علوم اللغة بمعناها المحدد والدراسة الأدبية².

ويقوم تصنيف طاشكيري زاده للعلوم اللغوية وما يتعلق بها من دراسات على أساس التمييز بين ما يتناول "المفردات" من جانب وما يتناول "المركبات" من الجانب الآخر³. ذكر طاشكيري زاده أن دراسة المفردات تتناول مجالات خمساً، أولها: علم مخارج الحروف. ويعد هذا المصطلح أول تسمية محددة شاملة لما يطلق عليه في العصر الحديث علم الأصوات، فإذا كانت الدراسة الصوتية قديمة في التراث العربي فإن سيبويه والخليل ومن جاء بعدهما لم يضعوا لها تسمية خاصة وشاملة إلى أن جاء طاشكيري زاده وحاول في تصنيفه للعلوم أن يخصص هذه الدراسة. فأطلق عليها علم مخارج الحروف، وجعل هذا العلم أول مجالات البحث اللغوي، وبهذا اتفق طاشكيري زاده مع ما تعارف عليه اللغويون المحدثون بعده بقرون. يتناول علم مخارج الحروف معرفة تصحيح مخارج الحروف - كيفية وكمية - وصفاتها العارضة لها بحسب ما تقتضيه طباع العرب ... ويستمد من العلم الطبيعي وعلم التشريح ويتضح من تحديد

1 انظر: الإدراك للسان الأتراك ص 66.

2 مقدمة ابن خلدون 1254، وقد أطلق عليها ابن خلدون في موضع آخر ص 1263 "العلوم اللسانية".

3 مفتاح السعادة ص 99.

طاشكيري زاده لمكان علم مخارج الحروف في أول مجالات البحث اللغوي إدراكه العميق لأهمية علم الأصوات، بل ويعد فهمه لعلاقة البحث الصوتي بالعلم الطبيعي وبعلم التشريح سابقاً لعصره ولكتيرين ممن جاءوا بعده. وإلى جانب علم مخارج الحروف تضم دراسة المفردات عند طاشكيري زاده: "علم اللغة" ويبحث "جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الوضع للدلالة على المعاني الجزئية" كما

يضم "علم الوضع"، ويبحث في "تفسير الوضع وتقسيمه إلى الشخصي والنوعي والعام والخاص"، والمقصود بذلك دراسة الدلالات التي وضعت لها الألفاظ، ويضم أيضا "علم الاشتقاق" وموضوعه كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض. وآخر مجالات دراسة المفردات: علم الصرف¹ وعلى هذا تتناول دراسة المفردات عند طاشكبري زاده ما يقابل علم الأصوات وعلم بنية الكلمة وعلم الدلالة في مجالات علم اللغة الحديث. أما بنية الجملة فقد جعلها طاشكبري زاده الموضوع الأول للبحث في المركبات، وتضم دراسة المركبات عنده النحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي ... إلخ².... وبذلك ضم طاشكبري زاده ... هذه الدراسات الأدبية مع علم النحو في إطار واحد. ويتفق التهانوي في تصنيفه لما أطلق عليه العلوم العربية مع تصنيف هذه العلوم عند طاشكبري زاده اتفاقاً بعيداً، ولكن التهانوي لم يخصص لعلم الأصوات قسماً مستقلاً كما فعل طاشكبري زاده. بل بدأ التهانوي حصره للعلوم العربية بعلم اللغة، ثم جاء علم الصرف، وعلم الاشتقاق، وعلم النحو، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم العروض، وعلم القافية.... إلخ³ وقد

1 مفتاح السعادة ص100.

2 مفتاح السعادة ص144

3 كشف اصطلاحات الفنون 1/ 18-19.

(71/1)

ظل مصطلح العلوم العربية مستخدماً عند أصحاب الثقافة السلفية في العالم العربي الحديث. فقد صنف الشيخ المرصفي العلوم العربية إلى علم "متن اللغة" و"فقه اللغة" و"علم الصرف" و"علم النحو"، والفرق بين علم متن اللغة وفقه اللغة عند المرصفي أن الأول يبحث في "أوضاع الألفاظ لمعانيها" والثاني يبحث الألفاظ "باعتبار تخالفها في المعاني التي وضعت لها"¹ أي أنه يعتبر علم متن اللغة هو معرفة المعاني الحقيقية للألفاظ وفقه اللغة هو دراسة الفروق في المعاني.

وهكذا تنوعت التسميات التي أطلقت في مراحل تاريخية مختلفة على مجال البحث في اللغة، ولذا تعتبر هذه المصطلحات جزءاً من تاريخ البحث اللغوي. وينبغي أن نترك هذه المصطلحات للحديث في تاريخ العلم على أن تكون المصطلحات الحديثة قائمة

على أساس النظرية الحديثة لعلم اللغة.

1 الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية 1/ 20.

(72/1)

الفصل الرابع: كتب طبقات النحويين واللغويين

مدخل

...

الفصل الرابع: كتب طبقات النحويين واللغويين

هناك عدة مصادر عربية وغير عربية ترجمت للنحويين واللغويين وحدهم أو مع غيرهم من المشتغلين بالعلوم الأخرى. وتضم هذه الكتب أخبار النحويين واللغويين مع ذكر مكوناتهم الثقافية ومؤلفاتهم في علوم اللغة وفي غيرها، لذا تعد هذه المصادر مدخلا طبيعيا للتعرف على الحياة الثقافية والعلمية للمساهمين في التراث اللغوي العربي.

(73/1)

1- كتب الطبقات

لقد اهتم النحاة ولما تمض مائة عام على وفاة سيويه بتصنيف النحاة إلى طبقات على غرار تصنيف ابن سعد في كتابه "الطبقات الكبرى" لأعلام علمي الحديث والتفسير. ويبدو أن أول كتاب في هذا الموضوع هو كتاب "طبقات النحويين البصريين وأخبارهم" للمبرد، ت 285 هـ، لم يصل إلينا هذا الكتاب، غير أننا نتعرف على طبيعة مادته من النقول التي أخذها السيرافي عنه. كان السيرافي، ت 368 هـ، يورد في كتابه "أخبار النحويين البصريين" مادته

(73/1)

بطريقتين متميزتين، فهو يقدم لبعض أخباره بسلسلة إسناد تسبق كل خبر وتشير إلى أخذه له عن طريق الرواية الشفوية¹، ولكن السيرافي لا يقدم للأخبار التي أخذها عن

المبرد بأية سلسلة إسناد ويكتفي بعبارة: قال المبرد²، وإذا كان السيرافي قد ولد سنة 280هـ ووفاته المبرد كانت 285هـ، فلا بد أن أخذ السيرافي للمادة المنسوبة للمبرد إنما قام على أساس اعتماد السيرافي على كتاب المبرد المؤلف في نفس الموضوع. وترجع أقدم كتب الطبقات الموجودة والتي ترجمت للنحويين واللغويين إلى القرن الرابع الهجري. ويعد كتاب مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، ت 351هـ، أقدم كتاب وصل إلينا في الترجمة للنحويين، وله أهميته أيضا لأن المؤلف لغوي عرف الكثيرين ممن ترجم لهم من المشتغلين بعلوم اللغة حتى ذلك الوقت. أما كتاب أبي سعيد السيرافي، ت 368هـ، فقد وصل إلينا بعنوان "أخبار النحويين البصريين" وقد اعتمد السيرافي في كتابه هذا على كتاب المبرد، وأضاف إلى ذلك أخبار كثيرة وصلت مشافهة. موضوع كتاب السيرافي: ذكر مشاهير النحويين وطرف من أخبارهم وذكر أخذ بعضهم عن بعض والسابق منهم إلى علم النحو³. ذكر السيرافي في النحاة البصريين

1 مثال الإسناد:

حدثنا أبو مزاحم موسى بن عبيد الله قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد الوراق، قال: حدثني مسعود بن عمرو، قال: حدثنا علي بن حميد الزارع، قال: سمعت حماد بن سلمة يقول: "من لحن في حديثي كذب علي" أخبار النحويين البصريين 33-34. 2 أمثلة الأخذ المباشر عن المبرد: قال أبو العباس: كان الأخفش أكبر سنًا من سيبويه "أخبار النحويين البصريين 38" ذكر أبو العباس محمد بن يزيد عن المازني عن الأخفش عن الكسائي قال ... "أخبار النحويين البصريين 40" قال أبو العباس محمد بن يزيد: أبو زيد سعيد بن فارس الأنصاري صليبة من الخروج "أخبار النحويين البصريين 41" ذكر أبو العباس قال: حدثني أبو بكر القرشي..... "أخبار النحويين البصريين 42" وكذلك المواضع في 44، 44، 45، 49، 49، 50، 50، 54، 58. 3 أخبار النحويين البصريين ص 10.

(74/1)

فقط. ولم يذكر شيئًا عن النحاة الكوفيين وكأنه لا يعترف بهم ولا يهتم بأخبارهم. لم يترجم السيرافي في كتابه لكل النحويين البصريين حتى عصره بل قصر كلامه على نحاة البصرة حتى أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وتلاميذه، وكأنه تخرج من الترجمة لمعاصريه

فلم يترجم لهم. لم يهتم السيرافي إلا بذكر الأخبار الخاصة بمؤلاء النحاة فكتابه كتاب أخبار، ولذا فهو لا يذكر عن مؤلفات هؤلاء النحاة أية معلومات ولا يشير إلى أسماء هذه المؤلفات إلا نادراً.

أما كتاب طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي، ت 379هـ، فهو كتاب أندلسي، مؤلفه لغوي ونحوي من أهم من أنجبتهم الأندلس في علوم اللغة. وترجع أهمية هذا الكتاب إلى كونه أندلسياً، فالكتب التي ذكرناها -من قبل- كانت كلها من العراق، وتقدم لنا صورة للحياة الثقافية والعلمية لنحاة المشرق، ولكن كتاب الزبيدي اهتم إلى جانب ترجمته لنحاة المشرق بالترجمة أيضاً لعلماء المغرب والأندلس في النحو واللغة، فأتى بمادة جديدة لها أهميتها في دراسة النحويين واللغويين المغاربة والأندلسيين¹.

1 أطلق الزبيدي على نخاة القبروان وما حولها "القرويين".

(75/1)

2- كتاب الفهرست:

ويعد **كتاب الفهرست** لابن النديم المؤلف سنة 377هـ المصدر الأول للتعرف على مؤلفات النحويين واللغويين حتى تاريخ تأليفه، وقد خصص ابن النديم المقالة الثانية أي الباب الثاني، من كتابه لأخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبهم. وقد اعتمد ابن النديم على المصادر التي أتاحت له حول أخبار النحويين مثل كتاب أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي، ولكنه يمتاز عن الكتب السابقة عليه بأنه يذكر المصنفات التي ألفها كل نحوي ولغوي حتى عصره، وهو بذلك أقدم وثيقة تضم أسماء الكتب العربية في علوم

(75/1)

اللغة وفي غيرها. قسم ابن النديم هذه المقالة إلى قسم خاص بالبصريين وقسم آخر للكوفيين وقسم ثالث لمن خلط المذهبين. وقد تابع ابن النديم حركة التأليف في النحو واللغة منذ بدايتها حتى عصره. وبذلك يختلف ابن النديم عن كثير من علماء عصره

والذين كانوا يتجنبون الترجمة لمن عاصرهم، فابن النديم يحترم الناهجين من أبناء عصره وترجم لهم في حياتهم، فقد ذكر ابن النديم في ترجمة الرمانى النحوي أنه كان على قيد الحياة وقت تأليف الكتاب¹.

1 الفهرست لابن النديم "فلوجل" ص 63:

"أبو الحسن الرمانى..... ويجيا إلى الوقت الذي بيض هذا الكتاب فيه".

(76/1)

3- كتب التراجم:

هناك مجموعة كثيرة من الكتب التي ترجمت للنحويين واللغويين وحدهم أو مع غيرهم من أصحاب العلوم، ولكنها رتبهم ترتيبا مخالفا لكتب الطبقات. كانت كتب الطبقات ترتيبهم ترتيبا زمنيا، فكل طبقة تمثل مجموعة متعاصرة من العلماء، ولكن **كتب التراجم** لم تتبع هذا المنهج في الترتيب بل كانت ترتب الرجال وفق الأسماء الحقيقية لكل منهم، فالمرء لا يذكر بهذا الاسم، بل ينبغي البحث تحت اسمه الحقيقي: محمد بن يزيد وسيبويه يذكر في هذه الكتب تحت اسمه الحقيقي: عمرو بن عثمان، وبغض النظر عن بعض السمات الخاصة ببعض هذه الكتب فإن أكثرها يرتب أسماء النحاة واللغويين الحقيقية ترتيبا هجائيا.

وصل إلينا من القرنين الخامس والسادس الهجريين كتابان مهمان ترجما للنحاة واللغويين، هما كتاب "تاريخ بغداد" لابن الأنباري، ت 577هـ، كتاب تاريخ بغداد من كتب التاريخ العام بل هو كتاب في تاريخ الرجال

(76/1)

الذين كانت لهم ببغداد صلة مولد أو دراسة أو إقامة¹، ولذا يضم الكتاب تراجم لعدد كبير من أعلام الحضارة الإسلامية حتى عصره؛ فما أكثر من كانت لهم صلة ببغداد حتى القرن الخامس الهجري. ويلاحظ في ترجمة الخطيب البغدادي للنحويين واللغويين أنه اعتمد على مصادر شفوية بجانب أخذه عن المؤلفات السابقة عليه في هذا المجال، وقد اهتم في المقام الأول بذكر الأخبار الخاصة بكل نحوي أو لغوي أتى بترجمته، وقد

جاءت هذه الأخبار مزودة بأسانيدھا المفصلة، فكتابه في الأخبار وليس في حصر المؤلفات وتصنيفھا. ومن هذا الجانب يختلف كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي عن كتاب "الفهرست" لابن النديم.

أما كتاب "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" لابن الأنباري فهو كتاب موجز لخص المادة التي وجدها في الكتب السابقة عليه مثل الفهرست لابن النديم وتاريخ بغداد، ولكن ابن الأنباري حذف كثيراً من أسانيد الأخبار التي وجدها في تاريخ بغداد.

ولا يكاد كتاب نزهة الألباء يقدم مادة جديدة بخصوص النحويين واللغويين الذين جاءت ترجمتهم في المصادر التي ألفت قبل ابن الأنباري. ولكنه أضاف

1 يقول الخطيب البغدادي "..... بدأنا بذكر الصحابة مفرداً عمن سواهم، أما التابعون ومن بعدهم فإننا سنورد أسماءهم في جملة البغداديين عند وصولنا إلى ذكر كل واحد منهم إن شاء الله تعالى، وهذه تسمية الخلفاء والأشراف والكبراء والقضاة والفقهاء والحدثين والقراء والزهاد والصلحاء والمتأدبين والشعراء من أهل مدينة السلام الذين ولدوا بها أو بسواها من البلدان ونزلوها، وذكر من انتقل عنها ومات ببلدة غيرها، ومن كان بالنواحي القريبة منها ومن قدمها من غير أهلها..... ألفته أبواباً مرتبة على نسق حروف المعجم من أوائل أسمائهم وبدأت منهم بذكر من اسمه محمد تبركاً..... ولم أذكر من محدثي الغرباء الذين قدموا مدينة السلام ولم يستوطنوها، سوى من صح عندي أنه روى العلم بها..... غير نفر يسير عددهم عظيم عند أهل العلم محلهم ثبت عندي ورودهم مدينتنا ولم أتحقق تحديثهم بها، فرأيت أن لا أخلي كتابي من ذكرهم لرفعة أخطارهم وعلو أقدارهم" تاريخ بغداد 1/ 212-213.

(77/1)

مجموعة تراجم للغويين ونحويين ترد ترجماتهم لأول مرة في كتابه، وله أهميته من هذا الجانب.

وهناك ثلاثة كتب من القرن السابع الهجري تضمنت تراجم النحويين واللغويين وهي "إنباه الرواة" للقفطي، ت 634 هـ، و"إرشاد الأريب" لياقوت، ت 626 هـ، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان، ت 681 هـ،

تناول القفطي وهو مؤلف مصري في كتابه "إنباه الرواة على أنباه النحاة" اللغويين

والنحويين وحدهم. ولا يقتصر كتابه على ذكر النحويين واللغويين المصريين بل هو كتاب شامل لعلماء اللغة والنحو ومن ألف في علوم اللغة أو درس علوم اللغة في أرض الحجاز واليمن والبحرين وعمان واليمامة والعراق وأرض فارس والجبال وخرسان..... والشام والساحل ومصر..... وأفريقية ووسط المغرب وأقصاه وجزيرة الأندلس وجزيرة صقلية¹ يتسم كتاب إنباه الرواة بالشمول والإحاطة؛ فقد ترجم للمشتغلين بعلوم اللغة في كل أنحاء الدول الإسلامية حتى عصره، إلا أنه لا يكاد يأتي بجديد حول النحويين الذي ترجم لهم مؤلفو القرن الرابع مثل السيرافي وابن النديم، وأهميته ترجع إلى ترجمته للنحاة الذين جاءوا بعد ذلك.

ويضم كتاب "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" لياقوت الحموي تراجم كثيرة للمشتغلين بالعلوم المختلفة حتى عصره، فالأديب عنده هو المشتغل بالعلوم أيضا، ولذا عرف كتابه باسم "معجم الأدباء"² خصص ياقوت تراجم مستفيضة للنحويين واللغويين واستقى مادته من كتب الطبقات السابقة عليه ومن كتاب الفهرست لابن النديم، كما أضاف إلى ذلك مادة كثيرة

1 إنباه الرواة 1 / 2

2 إرشاد الأريب، ط فريد رفاعي القاهرة، ويتناول هذا الكتاب: من عرف بالتصنيف واشتهر بالتأليف وصحت روايته وشاعت درايته وقل شعره وكثر نثره 1 / 50.

(78/1)

أخذها من كتب أخرى، فقد اعتمد في ترجمته لأبي سعيد السيرافي، الحسن بن عبد الله، على كتب الطبقات وكتاب الفهرست، واقتبس نصوصا كثيرة حول السيرافي من كتب تليمذه أبي حيان التوحيدي مثل كتاب محاضرات العلماء وكتاب مثالب الوزيرين وكتاب الإمتاع والمؤانسة، أيضا من كتاب تقريظ الجاحظ، وقد ضاع الكتاب الأخير ولم يعد له أثر إلا ما نقل عنه ياقوت الحمودي وغيره¹. ويعد ياقوت في كتابه "إرشاد الأريب" من أكثر العلماء العرب دقة في استخدام المصادر، يظهر هذا من عبارات كثيرة له تحفظ فيها تجاه النصوص التي ذكرها.

فقد علق على خبر ذكره بقوله: أو كما قال أبو حيان فإني لم أنقل ألفاظ الخبر لقدم الأصل الذي قرأت منه². وكان ياقوت يقارن عدة نسخ من الكتاب الواحد ليصل إلى

حقيقة ما عناه مؤلفه دون تصحيف الوراقين والكتاب، نجد هذا واضحا في تعليقاته على بعض العبارات مثل: "وكانت النسخة غير مرضية فتركناها إلى أن يقع لي ما أرتضيه". وأكثر النسخ ... لا توجد هذه الرقعة فيها³.
فياقوت كان يتحرى الدقة في النقل عن مصادره ويقارن النسخ بعضها ببعض تحقيقاً لمبدأ الأمانة العلمية في صحة النقل. ولذا يعتبر كتاب إرشاد الأريب على الرغم من تأخره زمنياً - من أهم الكتب التي ترجمت للنحويين واللغويين وغيرهم.

-
- 1 انظر ترجمة أبي سعيد السيرافي "الحسن بن عبد الله، ت 368" في إرشاد الأريب 8/ 14-233، وقد أشار ياقوت كثيراً إلى مصادره: قرأت بخط أبي حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقييد عمرو بن بحر 8/ 150 "مفقود"، "وقال أبو حيان في كتاب محاضرات العلماء 8/ 152"، "قال في كتاب الإمتاع ... 8/ 178" ونص مناظرة أبي سعيد السيرافي مع متى بن يونس 8/ 190-233 " مأخوذ من الإمتاع والمؤانسة.
 - 2 إرشاد الأريب 7/ 147.
 - 3 إرشاد الأريب 7/ 260.

(79/1)

وقد اتبع ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" الترتيب الهجائي للأعلام المترجم لهم، اعتمد ابن خلكان على الكتب السابقة عليه، وأضاف إليها ما أخذه من أفواه الأئمة المتقنين وما أن فكر المؤلف في تحرير كتابه في صيغته الأخيرة سنة 654هـ حتى وجد أن ترتيب أسماء الأعلام ترتيباً هجائياً أفضل من ترتيبهم وفق المعيار الزمني. ويفيد كتاب "وفيات الأعيان" في الترجمة للعلماء الذين لا نجد لهم تراجم في الكتب السابقة عليهم، ولكنه في كثير من التراجم لا يكاد يضيف إلى مصادره المعروفة لنا شيئاً.
ويعد كتاب "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" للسيوطي، ت 911هـ، أحد الكتب الموسوعية التي ظهرت في مصر قبيل الفتح العثماني، ألف السيوطي في كل فروع المعرفة التي اعترف بها عصره، وهو فيها جميعاً ناقل جامع لا يضيف إلى العلم جديداً، تتركز قيمة كتبه في احتفاظها بنقول أخذها السيوطي من مصادر لم تعد متاحة للباحث الحديث. اعتمد السيوطي في بغية الوعاة على كتب الطبقات السابقة عليه، وأفاد أيضاً من معرفته الواسعة للتراث العربي الأندلسي، ففصل القول في ذكر النحويين واللغويين

والأندلسيين، وله أهميته من هذا الجانب، ويفيد كتاب بغية الوعاة في معرفة أعلام النحاة واللغة حتى عصره، وتتسم تراجم النحاة واللغويين عند السيوطي بالتركيز على ثقافة النحوي ومؤلفاته. وقد لاحظ السيوطي صعوبة البحث عن النحوي تحت اسمه الحقيقي، فأعد في آخر كتابه ثبناً بالنحويين واللغويين وفق ألقابهم وكناهم، وبذلك يستطيع الباحث إذا عرف لقب النحوي أو كنيته أو اسمه الذي اشتهر أن ينظر في هذا الثبت ليجد الاسم الحقيقي للنحوي أو اللغوي¹

1 يتناول الباب الأخير من بغية الوعاة الكنى والألقاب والنسب والإضافات، وهو باب مهم تشتد إليه الحاجة يذكر فيه من اشتهر بشيء من ذلك لينظر اسمه ويسهل الكشف عليه من بابه 2/ 367-395.

(80/1)

4- المراجع العامة الحديثة في التراث:

خصص المستشرق الألماني كارل بروكلمان C. Brokelman عدة فصول للمشتغلين بعلوم اللغة في كتابه عن التراث العربي¹ وقد اهتم بروكلمان ببيان المساهمين في التأليف اللغوي العربي واحداً واحداً، وقد رتبهم ترتيباً زمنياً ثم مكانياً. وترجع أهمية كتابه إلى اهتمامه بذكر الكتب التي ألفها كل واحد منهم. وبين أماكن وجود مخطوطاتها وأرقام هذه المخطوطات، وذكر طبعاتها إن كانت قد طبعت. وقد ظل كتاب بروكلمان أفضل دليل مصنف بالمخطوطات العربية عدة سنوات.

ثم اتضح القصور في عمل العالم الكبير، ولم يعد الكتاب شاملاً للتراث العربي المخطوط. فقد ظهرت آلاف المخطوطات التي لم تكن معروفة لبروكلمان وصنفت مجموعات كاملة لم يكن أحد قد سمع بها قبل اكتشافها. وهنا شرع عالم تركي هو فؤاد سزكين في إكمال كتاب بروكلمان، ولكن عمله تجاوز حدود الإكمال والتذييل فأصبح عملاً مستقلاً متكاملًا. وقد أطلق سزكين على كتابه في الأصل الألماني اسم **Geschichte des arabischen Schrifttums** أي: تاريخ التراث العربي². ويمتاز هذا العمل الكبير عن كتاب بروكلمان بمميزات أساسية، فقد عرف سزكين مخطوطات أكثر، وعرف عن المخطوطات

1ترجع كلمة **Litteratur** في الألمانية إلى الكلمة اللاتينية **Litteratura** وتعني الكتابة بالحروف والكتابات عمومًا. وتستخدم الكلمة الألمانية بمعنى التراث المدون في كل فروع المعرفة، وبهذا المعنى استخدم بروكلمان الكلمة عنوانًا لكتابه الذي لا يتناول الأدب الفني فحسب، بل يضم أيضا كل فروع المعرفة العربية ومنها، علوم اللغة، ولذا فكتاب بروكلمان ليس في تاريخ الأدب العربي، بل في تاريخ التراث العربي.

2 يضم كتاب سزكين في الجزء الأول قائمة تكاد تكون كاملة بمكتبات المخطوطات العربية في العالم وبفهارسها ويتناول الجزء الرابع والجزء الخامس من الترجمة العربية التراث اللغوي العربي، يصدر الجزء الرابع من: تاريخ التراث العربي في 1974.

(81/1)

التي عرفها بروكلمان معلومات أكثر. يمتاز كتاب سزكين عن كتاب بروكلمان بأنه يذكر عند كل مخطوط معلومات مهمة عن حالته وعدد أوراقه وتاريخ نسخه. وهو بهذا أفضل عمل بيبليوجرافي حديث للتراث العربي.

وينبغي عند دراسة النحويين واللغويين والأخبار الواردة عنهم وعند التعرف على صحة نسبة مؤلفاتهم لهم أن يراعي الباحث الترتيب التاريخي المذكور لكتب الطبقات والتراجم فقد أثبتت الدراسة المقارنة لهذه الكتب أن اللاحق منها ينقل عن السابق نقلا، ولا يضيف جديداً، والكتب المتأخرة لا تعنى بالأسانيد مما يجعل من الصعب دراسة مصدر النص ورواته، وإذا افترضنا صحة النقل في أكثر الكتب المتأخرة فلا جدوى من استخدامها إذا كانت المصادر الأقدم متاحة للباحث الحديث. والواجب العلمي يقتضي أن نستخدم أقدم المصادر، فلا فائدة من النقل عن نقل عن المصدر الأصلي.

(82/1)

الفصل الخامس: المكتبة النحوية

مدخل

...

الفصل الخامس: المكتبة النحوية

ذكر السيرافي في أخبار النحويين البصريين قصة كتابين نسبهما البعض لعيسى بن عمر،

ت 149هـ، وهما كتاب "الجامع" و"المكمل" ثم قال السيرافي بعد ذلك وهذان الكتابان ما وقعا إلينا ولا رأيت أحدا يذكر أنه رآهما¹. وأكد ابن النديم هذا بقوله وقد فقد الناس هذين الكتابين منذ المدة الطويلة ولم تقع إلى أحد علمناه، ولا خبرنا أحد أنه رآهما².

فإذا افترضنا صحة ما نسب إلى عيسى بن عمر فإن البحث العلمي لا يستطيع القول بشيء في كتابين لم يبق منهما أثر. وقد اهتم مؤلفو كتب الطبقات بقصة وضع النحو عن أبي الأسود وحاول ابن النديم بحث هذه القصة قال: "ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته. وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين. ترجمتها هذه: فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود ... ثم لما

1 انظر: أخبار النحويين للبصريين ص 25.

2 الفهرست لابن النديم ط فلوجل ص 42

(83/1)

مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً¹. والمقصود بذلك الرجل أحد أصحاب خزائن الكتبة ولا يستطيع الباحث أن يخرج بشيء من هذا الخبر عن جهود أبي الأسود الدؤلي في النحو إن كانت له فيه جهود على الإطلاق.

1 الفهرست لابن النديم ص 41.

(84/1)

1- كتاب سيبويه والنحاة البصريون:

يعد "الكتاب" أو كتاب سيبويه أقدم ما وصل إلينا في النحو العربي. يضم كتاب سيبويه إلى جانب آراء مؤلفه أبي بشر، عمرو بن عثمان جهود نحويين آخرين تقدموا سيبويه، وعرف آراءهم فذكرها في كتابه وهؤلاء النحويين هم:

1- عبد الله بن إسحق الحضرمي، ت 117هـ.

2- عيسى بن عمر الثقفي، ت 149هـ.

3 أبو عمرو بن العلاء، ت 154هـ.

4- الخليل بن أحمد، ت 174هـ.

5- يونس بن حبيب، ت 183هـ.

وأقدم هؤلاء النحاة عبد الله بن إسحق الحضرمي الذي عده ابن سلام صاحب طبقات الشعراء أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل¹ ولا شك أن أهم هؤلاء الخليل بن أحمد، أستاذ سيبويه وأكثرهم تأثيراً في فكره العلمي. وقد حدد كتاب سيبويه لأجيال النحويين على مدى القرون معالم البحث

1 طبقات فحول الشعراء لابن سلام.

وقارن أخبار النحويين للبصريين للسيرافي ص20

(84/1)

النحوي ومنهج معالجة قضايا النحو، وظل فكرهم في إطاره بغض النظر عن اختلافات جزئية بسيطة قامت عليها المدارس النحوية وقد كان كتاب سيبويه منذ تأليفه في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري أساس دراسة النحو في كل أنحاء العالم الإسلامي، قال السيرافي وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله، علماً عند النحويين. فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب. فيعلم أنه كتاب سيبويه وقرأ نصف الكتاب، ولا يشك أنه كتاب سيبويه¹ والمتتبع لتاريخ النحويين العرب يلاحظ أن الكتاب كان عمدة الدراسة النحوية حتى القرن الثامن الهجري. وكان طلاب العلم يقرءون كتاب سيبويه على نحويين تخصصوا فيه، وعرفوا بإجادتهم له وحسن تدريسهم له.

كان الأخفش سعيد بن مسعدة، ت 221هـ، أول من قام بتدريس كتاب سيبويه، يقول السيرافي، الطريق إلى كتاب سيبويه الأخفش، وذلك أن كتاب سيبويه لا نعلم أحداً قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه ولكن لما مات سيبويه قرأ الكتاب على أبي الحسن الأخفش، وكان ممن قرأه، أبو عمر الجرمي صالح بن إسحق. وأبو عثمان المازني بكر بن محمد، وغيرهما². وبذلك كان تلاميذ الأخفش أول مجموعة من النحاة تتلمذت على كتاب سيبويه، وكان لكل واحد منهم اهتمام خاص بالكتاب. اهتم أبو عمر الجرمي، ت 225هـ، بدراسة الأبنية الصرفية التي وردت في كتاب سيبويه، وصنف في ذلك كتاباً كثيرة لا نعرف إلا أسماءها، كما ألف أيضاً في "تفسير غريب سيبويه" وكتاباً آخر بعنوان

"الفرخ"، أي فرخ كتاب سيبويه، لم يبق أي كتاب من كتب الجرمي، ولكنها كانت من أهم المصادر التي اعتمدت عليها شروح سيبويه التالية. أما أبو إسحق الزيادي، ت 249هـ، فهو أول من ألف

1 طبقات النحويين للسيرافي ص 39.

2 طبقات النحويين للسيرافي ص 39.

(85/1)

كتابًا بعنوان "شرح كتاب سيبويه" ولم يبق من هذا الكتاب إلا بعض النقول في الكتب التي نقلت عنه.

ويعد كتاب التصريف للمازني الكتاب الثاني الذي وصل إلينا في النحو العربي بعد كتاب سيبويه. لقد تتلمذ أبو عثمان المازني، ت 248هـ، على الأخفش، وقرأ عليه كتاب سيبويه، واهتم أيضًا بالأبنية الصرفية كما فعل زميله الجرمي وقد وصل كتاب التصريف للمازني مشروحًا بقلم أبي الفتح عثمان بن جني، ت 392هـ، وكتاب التصريف أقدم كتاب مستقل وصل إلينا حول الأبنية الصرفية.

يتفق مؤلفو كتب الطبقات على أن أبا العباس محمد بن يزيد المبرد، ت 285هـ، أهم نخبة المدرسة البصرية في القرن الثالث الهجري، لقد ألف المبرد مجموعة كبيرة من الكتب اللغوية بالمعنى الشامل، ولكن أهمها هو كتاب "المقتضب" وهو كتاب شامل يضم كل الجوانب النحوية والصرفية والصوتية التي تناولها كتاب سيبويه وهذا الكتاب هو الكتاب الثاني بعد كتاب سيبويه في تناوله لكل هذه الجوانب، وهناك قضايا نحوية ولغوية كثيرة تناولها المبرد في كتبه الأخرى وخصوصًا في كتابه الكامل وفضلا عن الكتب التي وصلت إلينا للمبرد فله كتاب آخر مفقود ذكرته كتب الطبقات والتراجم باسم "الرد على سيبويه" ويعني تأليف المبرد لكتاب بهذا العنوان عدم اتفاقه -وهو البصري- مع كبير نخبة البصرة سيبويه. أي أن وحدة المدرسة البصرية أمر نسبي، وقد أدى اختلاف وجهات نظر المبرد عن سيبويه في بعض المسائل إلى ظهور كتاب في الدفاع عن سيبويه والرد على المبرد، وهو كتاب "الانتصار لسيبويه من المبرد" للنحوي المصري ابن ولاد، ت 332هـ.

وقد درس على المبرد عدد كبير من النحويين المبرزين الذين كان لهم أثر

1 كتاب الانتصار لسيبويه من المبرد لابن ولاد، يوجد مخطوطاً في: دار الكتب بالقاهرة، مخطوط 705 نحو تيمور.

(86/1)

كبير في حمل التراث النحوي ودراسته والتعليق عليه. وأهم تلاميذ المبرد أبو بكر بن السراج، ت 316 هـ، وأبو إسحق الزجاج، ت 311 هـ، وابن درستويه، ت بعد 330 هـ.

(87/1)

النحاة الكوفيون في القرنين الثاني والثالث

...

2- النحاة الكوفيون في القرن الثاني والثالث:

هناك أسماء كثيرة تذكرها كتب الطبقات وكتاب الفهرست لنحويين ولغويين كوفيين، وقد خصص لهم ابن النديم فصلاً مستقلاً يحتوي على "أخبار النحويين واللغويين الكوفيين" ويعد الكسائي والفراء وثلث أكثر أسماء الكوفيين شيوعاً في كتب النحو العربي. لم يصل إلينا أي كتاب كامل يوضح منهج الكوفيين في التحليل النحوي¹، فلا نعرف لهم كتاباً يضارع كتاب سيبويه أو كتاب المقتضب للمبرد ولكن نتعرف على آرائهم اللغوية من كتبهم التي ضمنت موضوعات مختلفة من بينها قضايا النحو واللغة.

فالكسائي، ت 197 هـ، نحوي كوفي مشهور عاصر سيبويه وكانت بينهما اختلافات ومشاحنات، ولم يبق من مؤلفات الكسائي إلا رسالة صغيرة في لحن العامة، وقد ضاعت باقي كتبه ولا نستطيع التعرف على آرائه إلا من خلال الكتب النحوية التي نقلت هذه الآراء وحفظتها بذلك من الضياع.

وقد ذكر ابن النديم للفراء، ت 207 هـ، كتباً كثيرة في علوم اللغة منها كتاب الحدود في النحو، وقد ضاع هذا الكتاب، ولم يبق منه إلا فهرس موضوعاته، فقد نقله ابن النديم في كتاب الفهرست² وأهم مصدر نتعرف

- 1 كتاب "الموفي في النحو الكوفي" تأليف صدر الدين الكنغراوي الإستانبولي ليس من تأليف أحد نحاة الكوفيين المعروفين، بل هو بحث علمي لنحوي متأخر حول مذهب الكوفيين في النحو وقد طبع ضمن مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.
- 2 نقل ابن النديم فهرست كتاب "أسماء الحدود" في الفهرست ص 67.

(87/1)

منه على آراء الفراء النحوية واللغوية هو كتابه "معاني القرآن" وهو أهم كتبه التي وصلت إلينا. وليس كتاب "معاني القرآن" في التفسير بالمعنى المباشر بل هو كتاب في اللغة اتخذ القرآن الكريم موضوعاً له، وقد وصلت إلينا ثلاثة كتب أخرى للفراء تناولت موضوعات لغوية، وهي "المذكر المؤنث" و"المنقوص والممدود" و"الأيام والليالي والشهور".

وثالث النحويين الكوفيين المبرزين هو ثعلب، ت 291 هـ، وكثيراً ما كان أبو العباس ثعلب بين معاصريه موضع مقارنة مع أبي العباس المبرد، كان المبرد كبير نحاة البصرة بينما كان ثعلب أكبر نحوي كوفي في نفس الفترة وقد وصلت إلينا عدة كتب لثعلب أهمها كتاب "الفصيح"، وهو كتاب في المفردات، ولكن آراءه النحوية واللغوية موجودة أيضاً في كتاب مجالس ثعلب.

وهناك علماء كثيرون تذكرهم كتب الطبقات، وكان جهدهم في علوم اللغة مقصوراً على جمع المفردات، وتحديد أبنيتها الصرفية، وتصنيفها وتدوين الملاحظات عليها، ومن هؤلاء أبو عمرو الشيباني صاحب كتاب "الجيـم"، وهو معجم لغوي، وأبو عبيد القاسم بن سلام مؤلف "الغريب المصنف" وهو كتاب في المفردات، وابن السكيت مؤلف "إصلاح المنطق" وهو كتاب في التثقيف اللغوي، وكل هذا يشير إلى أن جهد العلماء الكوفيين كاد ينصرف إلى بحث المفردات وتصنيفها، ولم يكن اهتمامهم ببنية اللغة إلا اهتماماً ثانوياً لا يرقى إلى مستوى المدرسة البصرية، ولذا فقد سادت آراء البصريين في النحو العربي وحدها دون غيرها في القرون التالية، وأصبح المنهج النحوي وتعليم النحو يقوم - في المقام الأول - على آراء البصريين.

(88/1)

3- نخاة القرن الرابع:

عرف القرن الرابع مجموعة من النخاة أكثرهم في بغداد، وأهمهم

(88/1)

ابن السراج، ت 316 هـ، والزجاج، ت 311 هـ، وابن درستويه توفي بعد 330 هـ وأبو سعيد السيرافي ت 368 هـ وأبو علي الفارسي ت 377 هـ والرماني ت 385 هـ وابن جني 391 هـ. وقد وصلت إلينا كتب كثيرة من مؤلفات هؤلاء النخاة.

اهتم ابن السراج، ت 316 هـ، بكتاب سيبويه اهتمامًا كبيرًا، فقد كان يقوم بتدريس كتاب سيبويه وقد لاحظ ابن السراج تعدد نسخ كتاب سيبويه فقارن النسخ المتداولة في عصره وأثبت مجموعة الفروق والاختلافات بين هذه النسخ. كان كتاب سيبويه حتى ذلك الوقت أساس تدريس النحو، ولذا كثرت نسخه وكثرت معها التصحيقات والاختلافات وأحس ابن السراج الذي ولد بعد وفاة سيبويه بأقل من مائة عام بضرورة المقابلة بين نسخ الكتاب المختلفة للتوصل إلى النص الصحيح، فقام بذلك وسجل ملاحظاته حول اختلاف نسخ كتاب سيبويه في كتاب أصول النحو¹ ويعد كتاب أصول النحو لابن السراج الكتاب النحوي الثالث بعد كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد، فإذا كان ابن السراج هو صاحب أول محاولة لتحقيق كتاب سيبويه فهو إلى جانب هذا مؤلف "أصول النحو".

وقد وصل إلينا من كتب أبي إسحق الزجاج، ت 311 هـ، أكثر من كتاب وأهم مؤلفاته التي بقيت لنا كتاب "سر النحو" ويتناول هذا الكتاب موضوع الممنوع من المصرف. وقد اتضح من مقارنة هذا الكتاب أنه ألف تيسيرًا لفهم كتاب سيبويه. وكان الزجاج أراد أن يشرح كتاب سيبويه فألف كتابه "سر النحو" يدل على ذلك أن ترتيب موضوعات "سر النحو" هو

1 وصل إلينا كتاب "أصول النحو" لابن السراج -بعد أن كان في حكم المفقود- في عدة قطع متكاملة، وجدت في المتحف البريطاني والمغرب وتركيا وهناك مواضع كثيرة نقل بعضها السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه تشهد بجهد ابن السراج في تحقيق نص كتاب سيبويه.

(89/1)

نفس ترتيب أبواب كتاب سيبويه في موضوع الممنوع من الصرف فالترتيب الداخلي واحد في الكتابين.

وفي منتصف القرن الرابع الهجري عرفت بغداد ثلاث شخصيات مرموقة من اللغويين والنحويين. لقد عُرف أبو سعيد السيرافي، ت 368هـ، بشرحه الكبير لكتاب سيبويه، كما اشتهر الرماني، ت 385هـ، بشرحه لكتاب سيبويه أيضا يتفق السيرافي والرماني في إعجابهما بسيبويه والتزامهما بمنهج نخاة البصرة ولكن شرحيهما يختلفان، فقد ذكر السيرافي كثيرا من الشواهد والآراء النحوية وعرض في كتابه لمعارفه النحوية واللغوية العميقة. أما شرح الرماني فلا يعكس أي اهتمام بالشواهد وآراء النحاة الذين عاشوا بعد سيبويه وكأنه اكتفى بشرح مضمون كتاب سيبويه بطريقة منطقية. ويمتاز شرح السيرافي باهتمامه بموضوعات لم تنل عند معاصريه نفس الاهتمام، فقد خصص السيرافي في آخر شرحه لسيبويه بابا خاصا لآراء الكوفيين في الدراسات الصوتية، وهذا الباب هو مصدرنا الوحيد للتعرف على آراء الكوفيين في الأصوات. أما ثالث الثلاثة فهو أبو علي الفارسي، ت 377هـ، وقد وصلت إلينا كتب كثيرة له منها المسائل الشيرازيات إلى جانب كتابه في علم القراءات "الحجة في القراءات".

لقد تتلمذ أبو الفتح عثمان بن جني، ت 392هـ، على هؤلاء النحاة الأعلام فأصبح أهم نخاة بغداد في عصره. ألف ابن جني كتبا كثيرة في علوم اللغة منها كتاب "الخصائص" الذي يضم حشدا من القضايا الصرفية والدلالية والنحوية، وكتاب "سر صناعة الإعراب" لابن جني ليس في الإعراب النحوي بل هو أول كتاب عربي مستقل في الدراسات الصوتية فالإعراب عنده هو الإبانة نطقا.

بدأت علوم اللغة في مصر والأندلس في القرن الرابع الهجري امتداد لجهود علماء بغداد. لقد درس ابن ولاد، ت 332هـ، وأبو جعفر النحاس، ت 338هـ، النحو في بغداد على الزجاج وأسس علم النحو في مصر فابن ولاد أول نحوي

(90/1)

مصري، وقد وصلت إلينا بعض كتبه، مثل: المقصور والممدود، والانتصار لسيبويه من المبرد، أما أبو جعفر النحاس فقد اهتم بالقراءات وبكتاب سيبويه وألف فيهما. وبدأت علوم اللغة في الأندلس تأخذ شكلها الواضح بحجرة أبي علي القالي، ت 356

هـ، بعد أن درس علوم اللغة في بغداد. وبذلك نقل أبو علي القالي دراسة كتاب سيبويه وتدرّيس اللغة والأدب إلى الأندلس، وبه بدأت المدرسة الأندلسية في علوم اللغة.

(91/1)

4- الكتب النحوية التعليمية والمنظومات:

عرف القرن الرابع الهجري اتجاهاً جديداً لتأليف كتب تعليمية في النحو، وأول كتاب في هذه المجموعة هو كتاب الجمل للزجاجي، ت 337هـ، وقد ضم الزجاجي في كتابه "الجمل" كل أبواب النحو والصرف بأسلوب سهل موجز وألف ابن السراج، ت 316هـ، كتاباً تعليمياً بعنوان "الموجز في النحو". ثم ألف أبو علي الفارسي، ت 377هـ، كتابين تعليميين هما "الإيضاح في النحو" و"التكملة في الصرف" وألف ابن جني، ت 391هـ، كتاباً تعليمياً هو "اللمع" وتختلف هذه الكتب مجتمعة عن الكتب النحوية السابقة عليها فالكتب التعليمية كتب موجزة واضحة الشواهد شاملة لكل الأبواب في عرض سهل وعبرة واضحة، ولذا دارت حولها دروس تعليم النحو عدة قرون، فكثرت شروحها بتعدد مدرسي هذه الكتب وقد اهتم الأندلسيون بكتاب "الجمل" للزجاجي فألفوا عليه أكثر من عشرين شرحاً. وزادت الكتب النحوية التعليمية في القرن الخامس الهجري والقرون التالية زيادة ملحوظة وظهرت محاولات أخرى لوضع منظومات تعليمية تلخص

(91/1)

النحو في منظومة أعدت لكي يحفظها التلاميذ. وأشهر هذه المحاولات ألفية ابن مالك، ت 672هـ، حاول ابن مالك أن ينظم كل قواعد النحو نظماً لتكون في قصيدة ألفية يسهل حفظها، يتركز جهد ابن مالك في الصياغة وترجيح رأي نحوي على آخر، فلقد كان ابن مالك وأبناء عصره أبعد الناس عن ملاحظة التغير اللغوي وتسجيل مادة جديدة أو النظر إلى مادة قديمة بمنهج جديد لقد أعجب معاصروه كما أعجبت القرون التالية ببراعة ابن مالك في صياغة ألفيته التي فاقت غيرها من الألفيات، فاهتم مدرسو النحو بشرحها وتعليق الحواشي على شروحها، واستمرت حركة تأليف الشروح على الألفية دون انقطاع أكثر من خمسة قرون، ومن أشهر هذه الشروح شرح ابن عقيل، ت

769هـ، والأشْمُونِي، ت 929هـ، وقد وضع الصبان، ت 1206هـ، حاشية على شرح الأشْمُونِي، ولا تزال هذه المنظومات والشروح والخواشي تشغل ساعات دراسة النحو في أكثر المعاهد العلمية المهمة بذلك.

(92/1)

5- الموسوعات النحوية والشروح:

كانت ظاهرة تأليف الموسوعات النحوية موازية لاتجاه تأليف الكتب التعليمية والمنظومات. تتسم الموسوعات النحوية التي بدأت بالمفصل للزمخشري، ت 538هـ، بالتركيز الشديد ومحاولة حشد آراء النحاة والاهتمام بالتقسيمات الداخلية للموضوعات. وقد أدت الصياغة المركزة لهذه الكتب إلى ضرورة شرحها كي نفهم، وكأنها ألفت موجزة لكي تحفظ حفظاً، فكتاب "المفصل" للزمخشري كتاب مركز يضم بين دفتيه كل أبواب النحو العربي، وقد شرح "المفصل" عشرات المرات لم يطبع منها إلا شرح ابن يعيش، ت 643هـ.

وبعد أن ألف ابن الحاجب، ت 646هـ، متنيه التعليميين: "الكافية" في النحو و"الشفافية" في الصرف بدأ الشراح في تناول الكتابين بالتفصيل والتعليق فألفت على كل منهما عشرات الشروح العربية والتركية. وأشهر شروح

(92/1)

الكافية والشفافية شرح الرضي الإستراباذي، ت 688هـ، عليها. وهناك محاولات كثيرة للتعليق على شرح الإستراباذي على الكافية وإيضاح شواهد، أشهرها كتاب "خزانة الأدب" لعبد القادر البغدادي، ت 1093هـ. ولا شك أن أفضل جهد موسوعي في هذه الفترة هو كتاب "مغني اللبيب" لابن هشام، ت 762هـ، لقد شارك ابن هشام أبناء عصره في الاهتمام بتأليف المتون التعليمية وشرحها، فألف متن "شذور الذهب" ومتن "قطر الندى" وشرحهما وكتاب ابن هشام "أوضح المسالك في شرح ألفية ابن مالك" ولكن كتابه الأكثر أهمية هو كتاب "مغني اللبيب"، فهو أفضل كتاب حول الجملة العربية وتحليلها النحوي. وشارك السيوطي، ت 911هـ، في التأليف الموسوعي في النحو بعدة مؤلفات ضخمة

ضم فيها آراء السابقين عليه. فالسيوطي في كل كتبه عالم على طريقة الجمع والتأليف، كان يجمع ما أمامه في الكتب المختلفة حول موضوع واحد، فيؤلف فيه كتابًا ضخمًا. ومن أشهر جهوده في النحو كتاب: "مع الهوامع"، وقد ألف السيوطي متناً صغيراً هو جمع الجوامع، ثم شرحه بكتاب موسوعي هو "مع الهوامع". وترجع أهمية مع الهوامع إلى تسجيله لكثير من الآراء والخلافات النحوية وإلى اهتمامه بالنحاة الأندلسيين الذين أتاحت كتبهم له، نجد في "مع الهوامع" في مئات المواضع أسماء النحاة الأندلسيين والمغاربة المتأخرين مثل: ابن عصفور وابن خروف وابن الطراوة والشَّلَوَّين ولا نعرف اليوم آراء هؤلاء بقدر ما نعرفها خلال اقتباسات السيوطي من كتبهم. ويضم كتاب "الأشباه والنظائر" للسيوطي نقولات كثيرة من الكتب النحوية المشرقية والمغربية التي أتاحت للسيوطي.

ظلت حركة التأليف في النحو العربي في العصر العثماني في إطار وضع الشروح على المتن والمنظومات التعليمية. وكانت قيمة أي مؤلف في النحو تتركز في إحاطته إن كان يؤلف شرحاً موسوعياً، أو في حسن صياغته إن كان

(93/1)

يشرح متناً تعليمياً. ويعد عبد القادر البغدادي نموذجاً لشرح الشواهد، وله كتابان الأول "خزانة الأدب" في شرح شواهد الكافية والثاني في شرح شواهد "مغني اللبيب"، وكلا الكتابين موسوعة ضخمة تضم كثيراً من المعلومات اللغوية والنحوية والأدبية. وهناك شروح تعليمية كثيرة ألفها مدرسو النحو في الأزهر مثل الشيخ حسن العطار. وتناول بعض هؤلاء شواهد الكتب التعليمية فشرحوها مثل: "شرح شواهد شرح ابن عقيل" للجرجاوي، و"شرح شواهد شرح شذور الذهب" للفيومي. وظل اهتمام مدرسي النحو في الأزهر محصوراً داخل إطار هذه الشروح العقيمة التي لم تأت بجديد. وليس مصادفة أن أول من اهتم بكتاب سيبويه في العصر الحديث وحققه تحقيقاً علمياً هو المستشرق الفرنسي درنبر. وارتبطت حركة التجديد في عرض النحو العربي في شكل حديث بكتاب "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية". وقد ألف رفاة الطهطاوي هذا الكتاب على نخط مؤلفات الفرنسيين في عرض النحو. لقد أعجب رفاة الطهطاوي في أثناء إقامته في فرنسا بمنهج الفرنسيين في عرض النحو، فخرج عن طريقة معاصريه في الشروح والهوامش والتعليقات والتقارير. وألف كتاباً بسيط العبارة

سهل العرض ليس له متن أو شرح، بل له نص واحد يقرأ فيفهم، وكان الطهطاوي أول من استخدم الجداول الإيضاحية في كتب النحو العربي¹ وبذلك بدأت الكتب التعليمية الحديثة في النحو العربي، ثم ظهرت بعد ذلك حركة تحقيق التراث النحوية وأخذت الكتب النحوية الأساسية المبكرة تظهر بتحقيق العلماء العرب

1 حول الطهطاوي، انظر محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، عالم الفكر، أبريل 1973.

(94/1)

الفصل السادس: المكتبة اللغوية

1- جمع اللغة وتأليف المعاجم:

قامت حركة التأليف في المعاجم العربية على أساس المادة التي جمعها اللغويون في البداية في القرن الثاني الهجري. لقد خرج عدد كبير من اللغويين إلى البداية. وأخذ كل منهم يجمع اللغة من أبناء القبائل العربية، وبذلك تم إنجاز أول عمل لغوي ميداني في الجزيرة العربية. ولاحظ كثير من البدو اهتمام اللغويين بتلقي اللغة عنهم، فهاجروا إلى جنوب العراق حيث ازدهرت علوم اللغة في البصرة والكوفة، وأخذوا يبيعون المادة اللغوية التي عندهم لكل من ينشدها من اللغويين. ولم تكن عملية جمع اللغة شاملة لتسجيل كل الألفاظ التي عرفت القبائل العربية، بل كان اللغويون يصدرون في اختيارهم للقبائل واختيارهم للرواة عن مبدأ أساسي هو تسجيل اللغة الفصحى والابتعاد عن الصيغ والألفاظ غير الفصحى. وبهذا المعيار ركز اللغويون عملهم على لغة تلك القبائل التي تقترب كل الاقتراب من العربية الفصحى، ورفضوا لهجات القبائل البعيدة عن الفحصى، وبين هذا وذلك صنفت لهجات القبائل المختلفة.

(95/1)

وظل هذا الأساس سائداً في عملية جمع اللغة في القرن الثاني الهجري. وبذلك حفظت لنا كتب اللغة الاستخدام اللغوي عند مجموعة من القبائل العربية الشمالية. لقد اهتم اللغويون بقبائل قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض بطون قبيلة كنانة وبعض

بطون طيء¹. وقد تجنب اللغويون أخذ اللغة عن الحضرم، أي عن العرب المستقرين وعن القبائل العربية التي عاشت بالقرب من جماعات لغوية غير عربية، فلم يؤخذ من قبيلة لخم ولا من قبيلة جذام، لجاورتهم أهل مصر والقبط، وبالمثل تجنب اللغويون أخذ اللغة عن قضاة وغسان وإياد لجاورتهم أهل الشام². وأعرض جامعو اللغة عن قبائل تغلب لاختلاط هذه القبائل بالجماعات اللغوية غير العربية في الشام والعراق ومصر. أما قبائل العرب في اليمن وشرق الجزيرة العربية ومدن الحجاز فقد خرجت أيضا عن اهتمام اللغويين، وقد فسروا عدم أخذ اللغة عن أهل اليمن أن لغتهم تغيرت لمخالطتهم للهند والحبشة ورفضوا أخذ اللغة عن قبائل شرق الجزيرة العربية ومدن الحجاز باعتبار أن لغتهم اختلطت بلغة غير العرب. والواقع أن اللغويين لم يهتموا في القرن الثاني الهجري بالتنوع اللغوي في الجزيرة العربية، وقصروا اهتمامهم على تقرير فصاحة لغة القبيلة أو عدم فصاحتها، فشغلتهم قضية الفصاحة عن باقي القضايا الكثيرة التي يمكن طرحها في العمل اللغوي الميداني. فسر اللغويون التغير الذي لاحظوه في لهجات بعض القبائل

1 نص الفارابي المقتبس في المزهر للسيوطي 1/ 211.

2 هناك خطأ وقع فيه الفارابي هنا إذ ذكر أن أكثرهم "نصارى يقرءون بالعبرانية" فمعرفة العربية في القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي كانت مقصورة على رجال الدين اليهود وقلة من المهتمين بالتراث اليهودي. والصحيح أن أهل الشام كانوا في فجر الإسلام من أبناء الآرامية بلهجاتها المختلفة.

(96/1)

التي رفضوها بأنه ثمرة الاختلاط بأبناء الجماعات اللغوية غير العربية في مصر والشام والعراق وبأبناء الجماعات اللغوية الهندية والحبشية الذين اختلط بهم نفر من العرب. ولكن جامعي اللغة في القرن الثاني الهجري لم يهتموا بالعربية الجنوبية التي كانت دون شك منتشرة في مناطق من الجنوب العربي آنذاك، بل عدوا ما وجدوه عند قبائل اليمن من ظواهر لغوية مخالفة ضربًا من الاختلاط الذي أصاب اللغة وجعلها غير نقية وغير سليمة. وبذلك لم يكن العمل اللغوي في القرن الثاني الهجري محاولة لتسجيل جوانب الحياة اللغوية عند أبناء اللغة العربية أو محاولة لبحث جوانب التنوع اللغوي في الجزيرة

العربية، بل كان محاولة للبحث عن الصيغ الفصيحة والكلمات الفصيحة عند القبائل العربية التي يقترب استخدامها للغة من المستوى اللغوي المنشود.

وقد أثمرت حركة جمع اللغة مجموعة من الكتب والرسائل اللغوية، لقد جمع تجنب اللغويون ما عرفته القبائل الفصيحة من ألفاظ، وصنفوها في مجموعات دلالية وألفوا في هذا مجموعة كبيرة من الكتب. ألف الأصمعي، ت 216هـ، في خلق الإنسان والإبل والخيول والوحش والنبات والشجر، وألف أبو زيد الأنصاري في اللبن والمطر والنبات والشجر، وظلت الرسائل هي الشكل الوحيد الذي اتخذته دراسة الألفاظ العربية من الناحية الدلالية وقتنا طويلاً، إلى أن برزت إلى الدوائر العلمية حركة تأليف المعاجم. وقد كان لما ألفه الأصمعي وأبو زيد الأنصاري ومن عاصروهما من اللغويين أكبر الأثر في المعاجم العربية وفي نظرية اللغة عند العرب بشكل عام.

لقد أخذ مؤلفوا المعاجم المادة التي دونها علماء القرن الثاني واحتفلوا بكل ما سجله الأصمعي وأبو زيد ومعاصروهما كل الاحتفال، ولذا تتكرر أسماء هؤلاء اللغويين في المعاجم اللغوية الكثيرة التي ظهرت في القرون التالية. وإذا كان هؤلاء اللغويون في القرن الثاني قد قصروا جهدهم على جمع الصيغ والدلالات الفصيحة أو القريبة كل القرب من الفصيحة فإن الأكثرية المطلقة من

(97/1)

علماء اللغة في القرون التالية قد لاحظت تغير الاستخدام اللغوي بعد القرن الثاني ولذا توقفت حركة العمل اللغوي الميداني توقفاً تاماً. ولم يكن العمل اللغوي الميداني في القرن الثاني الهجري هادفاً إلى دراسة التنوع اللغوي والتغير اللغوي في الجزيرة العربية أو في البيئات العربية الأخرى، بل اقتصروا على ما اتفقوا على القول بفصاحته. وظل اللغويون في القرون التالية يقصرون عملهم على المادة اللغوية التي اعترف علماء القرن الثاني بفصاحتها. وبذلك حددت حركة جمع اللغة في القرن الثاني الهجري إطار النظرية العامة للعمل اللغوي في القرون التالية. وظلت التعبيرات الشائعة في كتب اللغة مثل لغة الحجاز أو لغة أهل الحجاز أو لغة تميم أول لغة هذيل لا تعني الاستخدام اللغوي عند هذه القبائل عموماً. بل تعني الاستخدام اللغوي عند هذه القبائل في القرن الثاني الهجري، وبذلك لم تختلف الظواهر التي عالجها السيرافي في القرن الرابع الهجري عن الظواهر التي ناقشها السيوطي في القرن التاسع الهجري، فهما يناقشان مثل باقي النحاة

العرب ما سجله الباحثون في القرن الثاني الهجري. وعندما يذكر ابن منظور، ت 711هـ، والزبيدي، ت 1205هـ، في لسان العرب وتاج العروس مجموعة من الملاحظات حول دلالات الألفاظ، فإنهما لم يسجلا هذه الملاحظات عن الاستخدام اللغوي في القرن السابع الهجري أو القرن الثاني عشر للهجرة، بل نقلها عن كتب تعود بدورها إلى كتب قام أكثرها على أساس ما جمعه اللغويون في القرن الثاني الهجري. وبذلك تعد حركة جمع اللغة في القرن الثاني الهجري أساس المادة اللغوية ونظرية اللغة عند أصحاب المعاجم العربية التالية.

يعد نشاط العلماء العرب في عصر الحضارة الإسلامية لتأليف المعاجم من أبرز مظاهر جهدهم العملي، وهم بهذا أهم من ألف المعاجم قبل العصر الحديث على الإطلاق. لقد بدأت حركة تأليف المعاجم العربية موازية لتدوين الرسائل اللغوية في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة.

وفي هذه الفترة أيضا ألف كتاب سيبويه. وبذلك عرف النصف الثاني من

(98/1)

القرن الثاني للهجرة جمع اللغة وتدوين الرسائل اللغوية وبداية العمل المعجمي وبداية التأليف النحوي. وإذا كان القرن الرابع الهجري قد عرف مجموعة كبيرة من أعلام النحاة فإن نفس الفترة الزمنية أخرجت لنا عدداً كبيراً من المعاجم اللغوية التي تمثل اتجاهات مختلفة في التأليف المعجمي، وكانت حركة تأليف الموسوعات النحوية موازية لتأليف المعاجم الموسوعية مثل لسان العرب، كما كانت حركة تأليف الحواشي والشروح النحوية مصحوبة بتأليف حواش على المعاجم وشروح لها، وكان عبد القادر البغدادي، ت 1093هـ، بكتابه خزانة الأدب وشرح شواهد مغني اللبيب ظاهرة موازية لتأليف مرتضى الزبيدي لتاج العروس شرحاً للقاموس المحيط، وإذا كانت كتب النحو تختلف اختلافاً بسيطاً في تبويبها الداخلي وترتيبها للموضوعات فإن المعاجم العربية تقسم من ناحية ترتيبها للألفاظ الواردة فيها إلى مدارس مختلفة، لكل منها منهجها الخاص.

(99/1)

2- معاجم الترتيب الصوتي:

يعد كتاب "العين" أقدم المعاجم العربية على الإطلاق ورائد أقدم مدرسة في التأليف المعجمي، يختلف كتاب العين عن الجهود الأخرى المبكرة في التأليف اللغوي في أنه أول محاولة لحصر ألفاظ اللغة العربية على نحو شامل وفي إطار نظام منهجي واضح، يتفق الباحثون على أن خطة كتاب العين من عمل الخليل بن أحمد، ولكن مدى إسهامه وإسهام تلميذه الليث بن المظفر في تنفيذ المعجم ظل موضع خلاف بين الباحثين. فمنهم من ينسب العمل كله للخليل ومنهم من ينكر نسبته للخليل وينسبه لليث بن المظفر¹ وأغلب الظن أن جهد الخليل

1 انظر الفهرست لابن النديم 420 والمعجم العربي لحسين نصار 1/ 254 وما بعدها. المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد، تأليف عبد الله درويش القاهرة 1956.

(99/1)

في كتاب العين هو المقدمة المنهجية¹ وهي أهم ما في الكتاب، مع محاولة تطبيقها في الأبواب. أما الليث فهو رواية ما أعده الخليل ومؤلف باقي الكتاب. يقوم منهج الخليل في ترتيب ألفاظ اللغة العربية على مجموعة أسس عامة.

1- ترتب الكلمات باعتبار حروفها الأصول فقط، ومعنى هذا أن الخليل بنى معجمه على أساس التمييز بين الحروف الأصول والحروف الزوائد في الكلمة الواحدة، وهو أساس صرفي لم يكن من الممكن تصوره قبل اتضاح ملامح البحث في بنية الكلمة العربية، من هذا الجانب يختلف كتاب العين عن الرسائل الكثيرة التي ألفت في القرن الثاني الهجري والتي صنفت فيها الألفاظ تصنيفاً موضوعياً، وقد ظل المبدأ الذي وضعه الخليل في كتاب العين باعتبار الحروف الأصول دون الحروف الزوائد في ترتيب الكلمات أساساً متعارفاً عليه في كل المعاجم العربية العامة حتى العصر الحديث، لم تخرج عنه إلا قلة من المعاجم الخاصة وبعض المعاجم التعليمية الحديثة.

2- ترتب الكلمات المندرجة في مادة لغوية واحدة ترتيباً داخلياً على أساس الأبنية الثنائي، الثلاثي - الصحيح والمعتل واللفيف - الرباعي الخماسي.

والثنائي مثل: قد، لم، هل، والثلاثي مثل: ضرب، خرج، والرباعي مثل: دحرج، قرطس،

والحماسي مثل: اقشعر. وقد اتبع هذا الأساس في الترتيب الداخلي لعدد من المعاجم العربية التالية التي التزمت بمنهج الخليل، وهي "البارع" للقالبي، ت 356هـ، و"تهذيب

1 يقول الأزهري: "ولم أر خلافا بين اللغويين أن التأسيس المحمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه" تهذيب اللغة 1/ 41، وانظر مقدمة النسخة المطبوعة من الكتاب رواية الليث عن الخليل، ومعجم مقاييس اللغة 1/ 3-4.

(100/1)

اللغة" للأزهري، ت 370هـ، و"المحيط" للصاحب بن عباد، ت 385هـ، و"الحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده ت 458هـ.

3- توضع الكلمة ومقلوباتها في مادة واحدة وبذلك ترد الكلمة وقد جردت من حروفها الزوائد في أول موضع ممكن، فالحروف "ك ت ب" يمكن أن تأخذ الترتيبات التالية: 1- كتب، 2- كبت، 3- تكب، 4- تبك، 5- بكت، 6- بتك، وتعد كل هذه المواد مجموعة واحدة.

ولا شك أن هذه الفروض الرياضية لا تجد لها في اللغة شواهد على كل صيغة من الصيغ السابقة، وقد أطلق الخليل على الصيغ الموجودة فعلا مصطلح المستعمل وعلى الصيغ غير الموجودة والممكنة نظرياً المهمل، وبغض النظر عن نسبة المستعمل والمهمل من كل مجموعة من الحروف فإن هذه المجموعة تناقش كوحدة واحدة. وتأتي المجموعة كاملة وفق أحد حروفها، قد يكون الأول أو الثاني أو الأخير، يتحدد ذلك بجدول المخارج، فكلما كان الحرف سابقاً في جدول المخارج جاء بمجموعته كاملة إلى مكانه. وبذلك تأتي أي كلمة بما حرف العين في القسم الخاص بالعين وهو أول أقسام كتاب العين، وبالمثل لا تأتي كلمة بكت تحت الباء لأن الباء تأتي متأخرة في ترتيب المخارج ولكنها تأتي تحت الكاف لأن الكاف أسبق من الباء والتاء في الترتيب المخارجي.

4- رتب الخليل الحروف العربية وفق المخارج، وبدأ بأصوات الحلق ثم ذكر باقي الحروف منتهياً بالحروف الشفوية، وختم ترتيبه بأصوات العلة والهمزة، لم يبدأ الخليل بالهمزة أو بالألف لما لاحظته من تغير صوتي يؤدي بها، ولكنه بدأ بمعجمه بكتاب العين باعتبارها الصوت الحلقى الأول الذي لا يتغير في الأبنية الصرفية، وقد سمي المعجم

باسم أول قسم فيه كتاب العين.

وقد احتفظت مجموعة من المعاجم العربية العامة بمنهج الخليل وطبقته من

(101/1)

الجوانب المذكورة، ولكنها اختلفت في ترتيبها للحروف عن ترتيب الخليل اختلافاً يسيراً، وهذه المعاجم هي "البارع" للقالبي، ت 356هـ، و"تهذيب اللغة" للأزهري، ت 370هـ، و"الحيط" للصاحب بن عباد، ت 385هـ، و"المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده، ت 458هـ، وقد ألفت هذه المعاجم في القرنين الرابع والخامس للهجرة في مناطق متباعدة من العالم الإسلامي، فقد ألف القالي معجمه "البارع" في الأندلس وألف ابن سيده معجمه "المحكم والمحيط الأعظم" في الأندلس أيضاً ولكن "تهذيب اللغة" للأزهري و"الحيط" للصاحب بن عباد معجمان مشرقيان ألفا في خراسان والري.

وقد اعتمدت كل هذه المعاجم على المادة اللغوية المتاحة في كتاب العين وفي الكتب اللغوية الأخرى وتختلف قيمتها باختلاف مصادرها ومدى اعتماده عليها فقد اعتمد ابن سيده في "المحكم" على مجموعة مصادر منها الكتب اللغوية النحوية وكتب التفسير والحديث، وبهذا اختلف "المحكم" من هذا الجانب عن المعاجم المشابهة، ولكن أهم معاجم الترتيب الصوتي التي وصلت إلينا هو تهذيب اللغة للأزهري فقد وصل إلينا هذا المعجم كاملاً بينما لم يصل إلينا من المعاجم التي التزمت بمنهج الخليل إلا قطع منها. ولكن أهم سمة تميز تهذيب اللغة للأزهري عن المعاجم المماثلة أن الأزهري جمع مادة جديدة عن البدو الذين عاش بينهم فترة من الزمن، وقد ذكر الأزهري في مقدمته أنه وقع أسيراً في أثناء ثورة القرامطة وعاش بين مجموعة من العرب أكثرهم هوازن بعضهم من تميم وأسد، ولا يكاد يقع في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش فبقيت في إسهامهم دهرًا طويلاً واستفدت من مخاطبتهم ومحاوره بعضهم بعضاً ألفاظاً جمّة ونوادير كثيرة أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب¹، وبهذا يعتبر الأزهري اللغوي الوحيد الذي اهتم في القرن الرابع الهجري بالعمل اللغوي الميداني وكانت حركة جمع اللغة قد توقفت منذ أكثر من قرن.

1 تهذيب اللغة للأزهري 1 / 7

(102/1)

3- معاجم الترتيب الهجائي:

تنظم المعاجم العربية ذات الترتيب الهجائي في مجموعتين. فالجموعة الأولى بدأت بكتاب "الحروف" أو كتاب "الجيم" للشيباني، ت 206هـ، وترتب فيها الكلمات وفق الحرف الأول من حروفها الأصول. أما المجموعة الثانية فبدأت بـ"ديوان الأدب" للفارابي، ت 305هـ، و"الصحاح" للجوهري، ت 393هـ، وترتب فيها الكلمات وفق الحرف الأخير من حروفها الأصول. لقد أفادت **معاجم الترتيب الهجائي** من منهج الخليل بن أحمد، فكل هذه المعاجم حذت حذوه في ذكر الكلمات باعتبار حروفها الأصول، وقد ظل هذا المبدأ سائداً في كل المعاجم العربية العامة قبل العصر الحديث، التزمت به معاجم الترتيب الصوتي كما التزمت به معاجم الترتيب الهجائي. ولكن معاجم الترتيب الهجائي اتخذت ترتيب الحروف المتعارف عليه عند جمهور المثقفين أساساً لها، ويرجع هذا الترتيب إلى نصر بن عاصم الذي طوره عن النظم السامي الشمالي المعروف باسم الأبجدية. كان ترتيب الحروف عند الأبريتين والفينيقيين والعبريين والآراميين يتخذ النظام التالي، أب ج د هـ ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت 1. وعندما استخدم هذا الترتيب الأبجدي عند العرب وضعوا الحروف العربية التي لم ترد فيه في آخر الترتيب وهي ث خ ذ ض ظ غ. ولكن نصر بن عاصم، ت 89هـ، أعاد ترتيب الحروف على أساس شكلي فوضع إلى جانب الباء التاء والتاء، ووضع إلى جانب الجيم الحاء والحاء وهكذا.. وبذلك ظهر الترتيب الهجائي للحروف العربية وهو الترتيب الذي قامت عليه

1 انظر: Mayer. hebraische grammatik, berlin 1966, 1/36-38.

والأصفهاني، حمزة: التنبيه على حدوث التصحيف، ص 15-16.

(103/1)

معاجم الترتيب الهجائي 1

يعد "كتاب الجيم"، كتاب "الحروف" للشيباني، ت 206 هـ، أقدم المعاجم ذات الترتيب الهجائي. لقد رتب الشيباني الكلمات الواردة في إطار الجذر الواحد ترتيباً

للجوهرى فهو معجم عام اتبع نظام الباب والفصل والمقصود بهذا أن الكلمات ترتب بمراعاة حروفها الأصول وفق الحرف الأول وقد ظل هذا النظام سائداً في المعاجم العربية التي ألفت في القرون التالية، أهمها "العباب" للصاغاني، ت 577هـ، و"لسان العرب" لابن منظور، ت 711هـ، و"القاموس المحيط" للفيروزآبادي، ت 817هـ، و"تاج العروس" للزبيدي، ت 1025هـ، والمعاجم الثلاثة الأخيرة هي أكثر المعاجم العربية شهرة وانتشاراً.

1 انظر: البحث اللغوي عند العرب لأحمد مختار عمر، القاهرة 1971، ص 191 وما بعدها.

(105/1)

4- مصادر المعاجم الموسوعية العامة:

يعد لسان العرب لابن منظور، ت 711هـ، أول معجم موسوعي ضخم. كان مؤلفو المعاجم قبل لسان العرب ينزعون إلى الاختيار والانتقاء من المادة اللغوية المتاحة لهم في مصادرهم، ومن ثم سميت المعاجم بأسماء تعبر

(105/1)

عن هذا الاتجاه الانتقائي. وعبر مؤلفو "جمهرة اللغة" و"تهذيب اللغة" و"صحاح اللغة" في مقدمات معاجمهم عن هذا. أما ابن منظور فقد أراد تأليف معجم موسوعي كبير ولكنه لم يلجأ إلى جمع المادة جمعاً مباشراً كما فعل اللغويون في القرن الثاني وكما فعل الأزهرى في القرن الرابع، بل اعتمد على خمسة معاجم اعتماداً كاملاً فأخذ مادتها وحشدها في كتابه. يقول ابن منظور: وأنا مع ذلك لا أدعي فيه بدعوى فأقول شافهت أو سمعت أو فعلت أو صنعت أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ... فكل هذه الدعاوى لم يترك الأزهرى وابن سيده لقائل مقالاً ولم يخلها فيه لأحد مجالاً¹. وقد صرح ابن منظور بعد ذلك بمصادره التي اعتمد عليها وهي:

1- تهذيب اللغة للأزهرى، ت 370هـ.

2- المحكم لابن سيده، ت 458هـ.

3- الصحاح للجوهري، ت 393هـ.

4- حواشي ابن بري، ت 583هـ على الصحاح.

5- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري، ت 606هـ.

أخذ ابن منظور ما وجدته في هذه المعاجم ونقله نقلاً، قال ابن منظور: ليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم... ونقلت من كل أصل مضمونه، ولم أبدل منه شيئاً... بل أدبت الأمانة في نقل الأصول بالنص، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص². وبذلك اعتمد ابن منظور على مصادر تعود بدورها إلى المادة التي جمع أكثرها في القرن الثاني الهجري بالإضافة إلى نقله المواد الموجودة في معجم متخصص هو "النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير.

1 مقدمة لسان العرب، المقدمة 1/ 3.

2 لسان العرب 1/ 4.

(106/1)

ولكن ضخامة حجم لسان العرب أتاح للقاموس المحيط للفيروزآبادي، ت 816هـ، أن ينتشر ويصبح عنوانه بعد ذلك علماً على كل معجم عربي حديث، وتقابل كلمة قاموس التي فسرها الفيروزآبادي بأنها البحر الأعظم إلى الكلمة اليونانية **Oceanos** واللاتينية **Oceanus** وتعني المحيط، وكان الفيروزآبادي قد عرف كلمة القاموس بهذا المعنى في البيئة اللغوية والفارسية التي نشأ فيها¹. اعتمد الفيروزآبادي على معجمين موسوعيين هما "المحكم" لابن سيده و"العباب" للصاغاني ويعتمد كل منهما على معاجم أخرى سبقتها فالحكم يضم ما جاء في كتاب "العين" و"جمهرة اللغة" و"البارع". أما العباب فيضم مادة معجم مقاييس اللغة والصحاح والمعاجم المؤلفة حول الصحاح. وبذلك يقوم عمل الفيروزآبادي على كل هذه الجهود ولكنه لم ينسخ ما أخذه من مصادره، بل كان يأخذ خلاصة ما فيها، ويحذف الشواهد، ويضيف إلى هذه المادة معلومات جديدة خاصة بالأعلام والنباتات وبذلك ضم القاموس المحيط مادة لغوية متنوعة، وقد شرحت شرحاً بسيطاً، محذوف الشواهد مطروح الزوائد. ويعد "تاج العروس" للزبيدي، ت 1025هـ، أكبر المعاجم العربية على الإطلاق. لقد

ألف الزبيدي تاج العروس شرحًا للقاموس المحيط ولكن عمله تجاوز حدود الشرح اللغوي البسيط، فأصبح تاج العروس أضخم المعاجم

1 هناك عدة معاجم عربية اتخذت أسماء البحر أو صفاته، منها:

المحيط للصاحب بن عباد.

الحكم والمحيط الأعظم لابن سيده. العباب للصاغاني.

انظر: المعجم العربي لعدنان الخطيب ص48.

وقد وردت كلمة القاموس بمعنى ماء البحر -قبل الفيرزآبادي- عند المقدسي ت 375

في: أحسن التقاسيم ص124.

(107/1)

العربية وأكثرها مادة وشرحًا، واعتمد الزبيدي على المعاجم العربية الكثيرة التي أتاحت له؛ منها الصحاح للجوهري وتهذيب اللغة للأزهري والحكم لابن سيده ولسان العرب لابن منظور وأساس البلاغة للزمخشري والمجمل لابن فارس والمعاجم الكثيرة التي ألفت إكمالاً لهذه المعاجم أو تلخيصاً لها.

ولكن الزبيدي لم يكتف بهذه المعاجم -كما فعل كثير ممن سبقوه في التأليف المعجمي- بل اعتمد على المعاجم القرآنية والحديثة، والكتب اللغوية وكتب الطبقات، وشروح اللغويين على النصوص الأدبية. اعتمد الزبيدي على مجموعة من معاجم ألفاظ القرآن والحديث مثل: كتاب "الغريبين" لأبي عبيد الهروي و"النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير الجزري و"المفردات" للراغب الأصفهاني و"مشكل القرآن" لابن قتيبة إلى جانب كتب القراءات. مثل: الحجة في قراءات الأئمة السبعة لابن خالويه، واعتمد الزبيدي على مجموعة كبيرة من كتب الدراسات اللغوية والتثقيف اللغوي، مثل فصيح ثعلب، وإصلاح المنطق لابن السكيت، والخصائص لابن جني، وسر صناعة الإعراب لابن جني، والمقصود والممدود للقيلي، والأضداد لأبي الطيب اللغوي، وتهذيب الأبنية والأفعال لابن القطاع، واعتمد الزبيدي أيضاً على كتب كثيرة في الطبقات والأعلام والتراجم مثل جمهرة الأنساب لابن حزم، وطبقات الشافعية للسبكي، والوفاء بالوفيات للصفدي الخ..... واعتمد الزبيدي أيضاً على شروح الدواوين والجموعات الشعرية. مثل: شرح ديوان الهدلين للسكري، وشرح المعلقات السبع لابن الأنباري.....

إلخ1.

ولكن الزبيدي أخذ ما أخذه من هذه المصادر المتنوعة دون تعليل أو تعليق أو إضافة.. وكان شرحه لما جاء في القاموس المحيط نقولا من هذه المصادر التي اعتمد عليها، وفي هذا يقول الزبيدي "عن كل كتاب نقلت

1 صرح الزبيدي بأسماء الكتب التي اعتمد عليها في مقدمة تاج العروس 1/ 5-9.

(108/1)

مضمونه، فلم أبدل شيئاً، فيقال: فإنما إثمه على الذين يبدلونه، بل أدت الأمانة في شرح العبارة بالنص، وأوردت ما زدت على المؤلف بالنص". وإذا كان الزبيدي قد شرح القاموس بالنقل من الكتب فإن مقدمته أيضاً تكاد في بعض فقراتها أن تكون منقولة من مقدمة لسان العرب1.

الجديد عند الزبيدي أنه عاد إلى الكتب المبكرة وأخذ عنها أخذاً مباشراً في عصر عزت فيه معرفة التراث العربي القديم، كان معاصرو الزبيدي ومن سبقوه بقرون يعتمدون على الكتب التي نقلت بدورها ما جاء في التراث الأقدم، ولكن الزبيدي عاد إلى هذه الكتب الأقدم، وقال: نقلت بالباشرة لا بالوسائط عنها2. ولذا يعد معجم تاج العروس جامعاً لجهود مؤلفي المعاجم واللغويين والشرح في أكبر موسوعة معجمية باللغة العربية.

1 قارن عبارة اللسان 1/ 3: "وأنا مع ذلك ... لا أجد مجالا"، وقد نقلها الزبيدي "1/ 10 عمود أ"، كذلك عبارة اللسان 1/ 3-4: "وليس لي في هذا الكتاب ... ما فيها من النص" نقلها تاج العروس "1/ 10 عمود ب".

2 تاج العروس 1/ 4.

(109/1)

5- المعاجم الدلالية الخاصة ذات الترتيب الهجائي:

هناك عدد كبير من الكتب رتبت فيها الألفاظ وفق الحروف الأصول، أو حروف الكلمة كاملة أو وفق الموضوعات أو وفق الأبنية، وقد تناولت المعاجم الدلالية الخاصة

مستوى بعينه من مستويات اللغة، فهناك معاجم لألفاظ القرآن الكريم ومعاجم لألفاظ الحديث. ومعاجم للمصطلحات العلمية العربية. وإلى جانب هذا فهناك معاجم تبحث الألفاظ الدخيلة في العربية من الناحيتين الاشتقاقية والدلالية وهذه المعاجم الدلالية الخاصة تختلف عن المعاجم

(109/1)

العامة السابقة في أنها لم تهدف إلى ألفاظ اللغة عموماً أو إلى جمهرة هذه الألفاظ، بل كانت تتناول مجموعة محدودة من الألفاظ وتبحثها من النواحي الدلالية وتصنفها هجائياً.

ومن أهم المعاجم الدلالية المؤلفة لألفاظ القرآن الكريم، "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني، ت 502 هـ، يختلف كتاب المفردات عن الجهود السابقة عليه في نفس الموضوع من ناحية الترتيب، فكتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ت 209 هـ أو 213 هـ، يضم بعد مقدمة عامة عن قضايا المجاز تفسيراً للألفاظ القرآنية من الجوانب الدلالية والصرفية مستشهداً على ذلك بشواهد من الشعر والأحاديث والأمثال. ولكن "مجاز القرآن" لم يرتب موضوعاته أو ألفاظه ترتيباً معجمياً بل جاء بها وفق السور، وشرح أبو عبيدة في إطار كل سورة ما ورد بها من قضايا. وقد ظل هذا المنهج سائداً عند كثير من المؤلفين الذين بحثوا القضايا الدلالية لألفاظ القرآن الكريم في إطار تفسيرهم للسور، ولذا لا يعتبر جهدهم معجمياً. نجد هذا أيضاً في كتاب "تفسير غريب القرآن" لابن قتيبة، ت 276 هـ، لقد ذكر ابن قتيبة في أول كتابه أسماء الله الحسنى، ثم الألفاظ الشائعة في القرآن الكريم، وأخذ يشرح بعد ذلك الكلمات الغريبة مرتبة وفق السور، كان يذكر الآية القرآنية ويشرح ما بها من غريب شرحاً مختصراً دون إفاضة في تفصيلات صرفية أو نحوية أو دلالية. لا يعد مجاز القرآن لأبي عبيدة ولا تفسير غريب القرآن لابن قتيبة من معاجم مفردات القرآن الكريم، فإنهما وإن تضمنتا قضايا دلالية كثيرة إلا أن الكتابين لم يتخذا منهجاً معجمياً في ترتيب الألفاظ التي شرحت فيهما وبذلك يختلف هذان الكتابان وغيرهما من الكتب عن كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، وقد رتب الراغب الأصفهاني مفردات القرآن باعتبار حروفها الأصول ترتيباً هجائياً، واتبع بذلك ما جرت عليه المعاجم العربية العامة من ترتيب الكلمات وفق حروفها الأصول.

ويعد كتاب "النهاية" في غريب الحديث لابن الأثير الجزري، ت 606هـ، ثمرة كتب كثيرة تناولت موضوع غريب الحديث وقد أشار ابن الأثير إلى هذه الجهود في مقدمة كتابه، ويرجع الاهتمام باللفاظ الحديث إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة، ولكن هؤلاء لم يرتبوا الألفاظ التي شرحوها ترتيباً معجمياً بل كانت تشرح وفق الأحاديث، وقد اعتمد ابن الأثير الجزري في معجمه "النهاية" في غريب الحديث" على معجمين ألفا قبله في هذا الموضوع. ففي القرن الرابع الهجري ألف أبو عبيد الهروي أول معجم لألفاظ الحديث. ثم ألف أبو موسى الأصفهاني معجماً مكملًا لمعجم الهروي. وقام ابن الأثير الجزري بالجمع بين معجمي الهروي والأصفهاني في معجم واحد خاص باللفاظ الحديث وحدها. وقد رتب ابن الأثير معجمه مثل ترتيب الهروي والأصفهاني وفق الحروف الأوائل. ولكن منهج ابن الأثير اختلف عن معجمي الهروي والأصفهاني والمعاجم العربية العامة من ناحية أساسية. فقد وجد أنه من الصعب الالتزام بفكرة ترتيب الكلمات وفق حروفها الأصول فقط، وعدم مراعاة باقي حروف الكلمة، وإذا كانت المعاجم العربية من كتاب العين إلى تاج العروس قد رتبت الكلمات وفق حروفها الأصول فقط، فإن ابن الأثير كان قد وجد في هذا صعوبة عملية، فرتب الكلمات بمراعاة كل حروفها دون تمييز بين الأصول والزوائد، وفي هذا يقول ابن الأثير: وجدت في الحديث كلمات كثيرة في أوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها.... فرأيت أن أثبتها في باب الحرف الذي هو في أولها وإن لم يكن أصلياً ونبهت عند ذكره على زيادته لئلا يراها أحد في غير بابها فيظن أي وضعها فيه للجهل بها¹. ومن هذا الجانب أيضاً يختلف كتاب النهاية في غريب الحديث عن المعاجم العربية العامة.

1 النهاية في غريب الحديث 1 / 11.

وأهم المعاجم العربية الخاصة بالألفاظ الدخيلة هو كتاب "المعرب من الكلام الأعجمي" للجواليقي، ت 540هـ، وقد حدد الجواليقي موضوع كتابه بالبحث في الألفاظ الدخيلة

من اللغات الأجنبية المختلفة والتي استخدمت في القرآن المجيد وأخبار الرسول والصحابة وفي أشعار العرب وأخبارها. وقد أثبت الجواليقي أن هذه الألفاظ الدخيلة من لغات مختلفة، مثل: الفارسية والآرامية التي تسمى عنده بالنبطية. ولذا لم يكن ترتيب هذه الألفاظ باعتبار حروفها الأصول أمراً مقبولا، فإجراء الألفاظ غير العربية وغير السامية على النمط الصرفي للغة العربية نوع من التعسف غير المقبول علمياً. ولذا رتب الجواليقي الألفاظ التي ناقشها في كتابه من الجانبين الدلالي والاشتقاقي ترتيباً معجمياً يراعي كل حروف الكلمة، وبذلك خرج الجواليقي على المبدأ السائد في المعاجم العربية العامة.

وهناك عدد من المعاجم الخاصة بالمصطلحات العلمية، منها التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، ت 816هـ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي المؤلف 1158هـ، ويعد كتاب التهانوي أكبر معجم عربي للمصطلحات العلمية، والتهانوي مؤلف هندي وجد المصطلحات المتداولة في التراث العربي في العلوم المختلفة بحاجة إلى معجم دلالي يوضح معانيها. فإذا كانت المعاجم العربية العامة قد اعتمدت على حركة جمع اللغة والشعر القديم في القرن الثاني الهجري فإن المصطلحات العلمية لم تنشأ في البداية عند القبائل التي اعتمد عليها اللغويون، لقد كثرت المصطلحات العملية العربية مع تنوع جوانب المعرفة العربية واتساع الأفق العلمي في القرن الثالث والقرون التالية، ولذا كانت المصطلحات خارج إطار اهتمام المعاجم العربية، وليس مصادفة أن يكون الاهتمام بهذه المصطلحات واضحاً عند عدد من العلماء غير العرب، فهؤلاء وجدوا صعوبة في فهم هذه المصطلحات، فأثارت اهتمامهم. وكانت ثمرة هذا الاهتمام معجماً كبيراً، مثل كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، وفي هذا يقول التهانوي "ولم أجد كتاباً حاوياً لاصطلاحات جميع العلوم

(112/1)

المتداولة بين الناس وغيرها، وقد كان يختلج في صدري أوان التحصيل أن أولف كتاباً وافياً لاصطلاحات جميع العلوم، كافياً للمتعلم من الرجوع إلى الأساتذة العالمين بها"1. قدم التهانوي لكتابه بعرض عام حول العلوم وتصنيفها، أما المصطلحات العلمية فقد جاءت عنده مرتبة ترتيباً معجمياً وفق الحرف الأول من حروفها الأصول، وبهذا نهج التهانوي نهج بعض المعاجم العربية مثل أساس البلاغة للزمخشري.

(113/1)

6- المعاجم الموضوعية:

توجد عدة أنواع من **المعاجم الموضوعية** في التراث العربي، فهناك معاجم اهتمت بالألفاظ الغريبة، مثل: الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت 224هـ، وهناك مجموعة كبيرة من الكتب التعليمية التي كانت تهدف إلى تقريب الألفاظ لمن أراد حصيلة لغوية تعينه على الكتابة العربية الفصيحة، وتصنف هذه الكتب ألفاظها في موضوعات وتذكر الألفاظ الخاصة بكل موضوع بغض النظر عن حروفها الأصول أو الزوائد. وأهم هذه الكتب التعليمية الدلالية ذات التصنيف الموضوعي كتاب "الألفاظ" لابن السكيت، ت 244هـ، وكتاب "جواهر الألفاظ" لقدامة بن جعفر، ت 337هـ، و"متخير الألفاظ" لأحمد بن فارس، ت 395هـ، و"الألفاظ الكتابية" لعبد الرحمن الهمداني، ت 327هـ، و"فقه اللغة" للثعالبي، ت 429هـ. وهذه الكتب التعليمية لا تهتم بالألفاظ الغريبة بل تهتم بالألفاظ التي ارتضتها الدوائر الثقافية التي كانت تنفر من التقعر كما تنفر من العامية. ولكن أكبر معجم موضوعي باللغة العربية هو "المخصص" لابن سيده

(113/1)

ت 458هـ، تناول ابن سيده - بعد مقدمة عامة في قضايا اللغة- المفردات العربية وصنفها تصنيفاً موضوعياً. فعندما ذكر الألفاظ الخاصة بخلق الإنسان أورد ما يتعلق بجسم الإنسان وحياته الاجتماعية، ثم جاءت بعد ذلك الأقسام الخاصة بالأبنية والسلاح والخيول والإبل والغنم.... إلخ والأنواء..... والماء..... والمشاورة..... والاستعداد..... والغناء والرقص واللعب..... إلخ وأفرد ابن سيده قسماً كبيراً في آخر كتابه لمجموعة من القضايا الصرفية شغلت السدس الأخير من كتاب المخصص.

(114/1)

7- كتب الأبنية الصرفية:

هناك مجموعات من الكتب في موضوعات صرفية تناولت الكلمات في إطار الوزن الصرفي أو الظاهرة الصرفية وأهم هذه الكتب مجموعة من الكتب الخاصة بأبنية الأفعال ومجموعة أخرى خاصة بالمقصود والممدود ومجموعة ثالثة خاصة بالمذكر والمؤنث. تناولت كتب الأفعال موضوعًا خاصًا بصيغتي فعل وأفعَل. وألف عدد من اللغويين كتبًا بعنوان: فعلت وأفعلت، وأهم هؤلاء أبو حاتم السجستاني، ت 255هـ، والزجاج، ت 311هـ، وضمت مجموعة أخرى -من كتب الأبنية- الأفعال في اللغة العربية وقد رتبت بمراعاة بنيتها وحروفها الأصول ومن هذه الكتب كتاب الأفعال لابن القوطية، ت 367هـ، وكتاب الأفعال للسرقسطي، ت بعد 400 هـ، وكتاب الأفعال لابن القطاع، ت 515هـ. واهتمت الكتب الخاصة بأبنية الأسماء بموضوع المقصور والممدود ويبدو أن الفراء، ت 207هـ، كان أول من ألف في هذا الموضوع، وفي القرن الرابع الهجري ألف كتابان مهمان في هذا الموضوع هما كتاب القالي، ت 356هـ، وابن ولاد، ت 332هـ.

(114/1)

وهناك مجموعة أخرى من كتب الأبنية الخاصة بالأسماء تناولت موضوع التذكير والتأنيث، وأهم من ألف كتبًا بعنوان المذكر والمؤنث: الفراء، ت 207هـ، وأبو حاتم السجستاني، ت 255هـ، والمبرد، ت 285هـ، والمفضل بن سلمة، ت بعد 290هـ، والأنباري، ت 328هـ، والتستري، ت بعد 360هـ، وابن جني، ت 292هـ، وابن فارس، ت 395هـ، وابن الأنباري ت 577هـ. وقد خصصت كتب التشقيف اللغوي ولحن العامة فصولًا للأبنية الصرفية للأفعال والأسماء واهتمت ببيان الأبنية في الفصحى ومدى اختلاف اللهجات العربية عن الفصحى من هذا الجانب.

(115/1)

8- كتب التثقيف اللغوي وحن العامة:

بدأ الاهتمام بتأليف الكتب اللغوية الهادفة إلى تعليم الفصحى والابتعاد عن التأثيرات العامية في الاستخدام اللغوي في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة¹. كان اللغويون قد اعتبروا اللهجات صوراً فاسدة من الاستخدام اللغوي، فسجلوا بعض ظواهر اللهجات لبيان خطئها وأشاروا إلى ما ينبغي أن يقال بدلاً منها في الفصحى، ولكن البحث اللغوي الحديث يتناول تراث لحن العامة والتثقيف اللغوي باعتباره من مصادر التاريخ اللغوي.

وهناك مجموعة من الكتب التي ألفت في العراق من القرن الثاني إلى القرن السادس الهجري وتدخل في هذا الإطار. وأهم هذه الكتب: ما تلحن فيه

1 حول التطور الدلالي لكلمة لحن، انظر:

العربية ليوهان فك، ترجمة: عبد الحليم النجار 235 - 246 القاهرة 1951.
حن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لعبد العزيز مطر.
حن العامة والتطور اللغوي لرمضان عبد التواب 9-33، القاهرة 1967.

(115/1)

العامة" للكسائي، ت 189هـ، و"إصلاح المنطق" لابن السكيت، ت 244هـ، و"أدب الكاتب" لابن قتيبة، ت 276هـ، ودرة الغواص للحريري، ت 516هـ، والتكملة للجواليقي، ت 539هـ، و"تقويم اللسان" لابن الجوزي، ت 579هـ. ويرجع قسم كبير من المادة المسجلة في كل كتاب من هذه الكتب إلى مؤلف كل كتاب منها، ولذا يمكن التعرف منها على جوانب الاستخدام اللغوي في جنوب العراق من القرن الثاني حتى القرن السادس الهجري.

وقد وصلت إلينا من المغرب والأندلس وصقلية مجموعة كتب في لحن العامة والتثقيف وأقدم هذه الكتب "لحن العوام" لأبي بكر الزبيدي، ت 379هـ، وهو كتاب أندلسي ولكن أكبر هذه الكتب هو كتاب "تثقيف اللسان" لابن مكي الصقلي، ت 501هـ، الذي يصور لهجة صقلية العربية آنذاك وقد وصل من تونس كتاب بعنوان "الجمانة في إزالة الرطانة" منسوباً لابن الإمام، ت بعد 827هـ،

وأما مصر والشام فلا نعرف عنهما كتباً في لحن العامة والتثقيف اللغوي إلا من القرنين

التاسع والعاشر للهجرة، فكتب ابن الحنبلي، ت 971هـ، قد تكون المصدر الوحيد للتعرف على لهجة الشام في العصر الإسلامي ولا تزال أكثر هذه الكتب مخطوطة¹. والأثر المصري الوحيد الذي وصل إلينا في لحن العامة هو كتاب "دفع الأصر عن كلام أهل مصر" ليوسف المغربي، ت 1019هـ، وقد حاول ابن الحنبلي والمغربي أن يبحثا جوانب من لهجة الشام ومصر بهدف إثبات عروبتها والدفاع عنها، وبذلك تختلف هذه الكتب عن مجموعة كتب لحن العامة المؤلفة في العراق والأندلس.

1 المرجع السابق ص 293 وما بعدها.

(116/1)

9- كتب الموضوعات الصوتية:

اهتم اللغويون العرب بتأليف الكتب والرسائل في القلب والإبدال من جانب، وفي الضاد والطاء من الجانب الآخر، ويرجع التركيز على كلا الموضوعين إلى كون اللهجات العربية كانت تمد اللغويين بمادة ثرية فيهما. فهناك عدة مئات من الكلمات العربية، عرفت اللهجات العربية القديمة كل كلمة منها في عدة صيغ. كل صيغة منها في صوت بعينه. وذلك مثل: هتن، هتل، وقد ألفت عدة كتب تتناول هذه الصيغ، وأهم هذه الكتب "القلب والإبدال" لابن السكيت، ت 244هـ، و"الإبدال والمعاقبة والنظائر" للزجاجي، ت 377. كتاب "الإبدال" لأبي الطيب اللغوي، ت 351.

وقد أدى الخلط بين الضاد والطاء في اللهجات العربية الوسيطة إلى اهتمام كثير من اللغويين بتأليف رسائل لغوية تضم الألفاظ التي يرد فيها أحد الصوتين ومن أهم من ألفت في الفرق بين الضاء والطاء، أبو عمر الزاهد، ت 345هـ، والصاحب بن عباد، ت 385هـ، وأبو الحسن الصقلي، ق 5هـ، وأبو القاسم الزنجاني ق 5هـ. والحريري، ت 516هـ وغيرهم.

(117/1)

الفصل السابع: المنهج المقارن وتصنيف اللغات

1- تصنيف اللغات

قسم اللغويون الأوروبيون في القرن التاسع عشر اللغات المختلفة إلى مجموعات؛ فهناك أسرة اللغات الهندية -الأوروبية التي تضم عددًا كبيرًا من اللغات المنتشرة في منطقة شاسعة من الهند وإيران إلى أوروبا، وهناك أسرة اللغات السامية التي تنتمي إليها اللغة العربية. وإلى جانب هاتين الأسرتين الكبيرتين هناك أسرات لغوية كثيرة أخرى، ويقوم تصنيف اللغات إلى أسرات على أساس أوجه الشبه بين هذه اللغات من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية¹. قد يحدث تغير في المكونات الصوتية يجعل لغة من اللغات تختلف في مرحلة من

1 حول المنهج المقارن وتصنيف اللغات، انظر:

R.H Robins. A short History of linguistics. london
1967.

وقد خصص المؤلف روبنز الفصل السابع من الكتاب المذكور لبيان تطور المنهج
المقارن:

Comparative and historical linguistics in the
nineteenth Century

S. potter, language in the modern world. pelican
1960. 10, p. 144-162 B.E. vidos, Handbuch der
romanischen sprachwissenschaft. Munchen 1968. s.
37-56

(119/1)

من مراحل تطورها عن اللغة الأم التي انحدرت عنها، وهنا يحاول اللغويون تسجيل هذا التغير في قوانين تفسر التغير الصوتي ويطلق عليها اسم القوانين الصوتية، وقد تنمو الصيغ الصرفية وتتغير أشكالها وتنشأ من العناصر القديمة كلمات جديدة، وهنا يبحث اللغويون مدى الاتفاق والتشابه في الصيغ الصرفية بين اللغات المندرجة في أسرة لغوية واحدة، بهدف إثبات اتجاهات التغير الصرفي. ومثل هذا يقال بالنسبة للتغير الدلالي فإن

دلالة الكلمات تتغير وتختلف بشكل ما في اللغات المختلفة التي خرجت عن أصل واحد مشترك وهنا تكون مقارنة الكلمات المشتركة بدلالاتها المتغيرة في لغات الأسرة الواحدة موضوعاً من موضوعات البحث المقارن.

إن تصنيف اللغات إلى أسرَات يعني أن اللغات المندرجة في أسرة لغوية واحدة ترجع إلى لغة واحدة هي الأصل الذي تفرعت عنه لغات الأسرة كلها، فعندما يقال بأن العربية والآرامية لغتان ساميتان فالمقصود أن اللغتين من أصل واحد، وأنهما تطورتا عن لغة واحدة هي اللغة السامية الأولى، وقد افترض العلماء وجود هذه اللغة في عصور مغرقة في القدم لتفسير انتماء اللغات العربية والآرامية والحبشية إلخ.. إلى أسرة لغوية واحدة، وعندما يذكر الباحثون أن اللغتين العربية والفارسية من أصلين مختلفين؛ العربية سامية والفارسية هندية أوروبية، فالمقصود أن كليهما تطورت عن أصل مستقل وأنهما بذلك من أسرَتين لغويتين مختلفتين. وتكون الفارسية مع عدد من اللغات في الهند وأوروبا أسرة لغوية كبيرة، وهي الأسرة الهندية - الأوروبية. لقد أدت الدراسة اللغوية المقارنة في القرن التاسع عشر إلى تصنيف اللغات على أساس أوجه الشبه بينها وكلما زادت أوجه الشبه بين لغتين أو أكثر عدت هذه اللغات الأكثر تشابهاً فرعاً لغوياً في إطار الأسرة اللغوية الواحدة. وبهذا المعنى يذكر الباحثون العربية الشمالية والعربية الجنوبية واللغات السامية في الحبشة باعتبارها تكون الفرع الجنوبي من أسرة اللغات السامية لأن هذه اللغات

(120/1)

أكثر تشابهاً، وتشارك في صفات أكثر من الصفات التي تشارك فيها مع باقي اللغات السامية. وتنقسم الأسرة الهندية - الأوروبية بدورها إلى عدة أفرع، فإذا قارن أحد الباحثين اللغة الأردنية باللغة الفرنسية مثلاً لم يستطع أن يتبين أوجه شبه تذكر، ولكن أوجه الشبه تتضح بمقارنة اللغات الفرنسية والإيطالية والإسبانية والرومانية. ترجع هذه اللغات إلى أصل واحد هو اللاتينية ولذا تكون هذه اللغات فرعاً واحداً من أفرع الأسرة الهندية - الأوروبية وهو الفرع الروماني. وهناك أوجه شبه كبيرة بين الإنجليزية والألمانية وغيرهما من لغات الفرع الجرمانى من الأسرة الهندية - الأوروبية. تتضح أوجه الشبه بصورة متزايدة كلما كانت النصوص موضع البحث قديمة. ولذا فقد أمكن عن طريق مقارنة اللغات الأقدم في كل فرع من أفرع الأسرة الهندية - الأوروبية إثبات أن هذه اللغات من أصل واحد هو اللغة الهندية الأوروبية الأولى، وكانت مهمة البحث بعد

ذلك بيان أوجه الاختلاف بين هذه اللغات وتفسير ذلك بقوانين تاريخية¹. يقوم علم اللغة المقارن على دراسة مجموعة من اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة وليس المقصود بذلك القدرة على التحدث بهذه اللغات القديمة والحديثة أو القدرة على الكتابة بهذه اللغات، بل المقصود بحث هذه اللغات، فعلى الرغم من ضرورة معرفة الباحث المقارن بكل اللغات موضع المقارنة فعليه أن يبحث بنية ومعجم هذه اللغات بهدف إيضاح العلاقة التاريخية التي تربط لغات الأسرة الواحدة وأن يفسر هذه العلاقات بقوانين ثابتة مطردة، لقد أثبت تاريخ الحضارة في الشرق والغرب أن مجرد المعرفة باللغات المتشابهة والمختلفة لا يعني بالضرورة قيام بحث مقارن فيها، فلم يؤد معرفة كثير من العلماء على مدى القرون بعدة لغات إلى قيام دراسات مقارنة بالمعنى الذي حدث في القرن التاسع عشر، ففي العصور الوسطى كان كثير من العلماء يؤلفون بلغات ويتحدثون في حياتهم اليومية بلغات أخرى.

1 حول ملامح واتجاهات التغير اللغوي:

H. paul, prinzipien der Sprachgeschichte. 1886,
.tubingen 1960

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية:

.principals of the history of language. london 1890

(121/1)

2- العرب واللغات الأجنبية:

ففي إطار الحضارة العربية الإسلامية كان كثير من النحويين واللغويين يؤلفون بالعربية ويعرفون الفارسية أو التركية، فسيبويه صاحب أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي كان يعرف الفارسية¹، والسيرافي مؤلف أقدم شرح وصل إلينا على كتاب سيبويه نشأ أيضا في بيئة لغوية فارسية² أما أبو الفرج بن العبري المتوفي 1289م فكان يعرف العربية وألف بالسريانية والعربية، كان ابن العبري مؤرخاً ولغوياً اهتم بجهود النحاة العرب ودرس "المفصل" للزمخشري وألف في النحو السرياني على غرار "المفصل"³ أما النحاة اليهود في الأندلس الإسلامية فقد درسوا النحو العربي وألفوا نحواً للعربية على أساس معرفتهم بمنهج التحليل النحوي عند العرب⁴. وإلى جانب هؤلاء جميعاً كان النحوي

1 حول سيبويه ومعرفته بالفارسية، الكتاب 2/ 342.

2 نشأ السيرافي في منطقة جنوب غرب إيران المواجهة لدولة عمان الحالية، وكانت المنطقة التي نشأ بها تستخدم الفارسية كما تتعامل مع باقي أنحاء الدولة الإسلامية بالعربية، ولم يكن السيرافي من العرب الذين هاجروا إلى هذه المنطقة بل كان أبوه فارسيًا مجوسيًا أسلم وتغير اسمه. وتدلل القرائن ونصوص الرحالة الجغرافيين على أن سكان هذه المنطقة كانوا يعيشون في بيئة ثنائية اللغة حول سيراف انظر: كتاب المسالك للإصطرخي "ليدن 1870" ص 148، أحسن التقاسيم للمقدسي "ليدن 1900" ص 138، 139، 422.

3 حول الجهود النحوية لأبي الفرج بن العربي، انظر:

Oeuvres grammaticales d'abou 'l. faradj dit bar
.Hebraeus editees par m. l'abbe martin. paris 1872
.barhebraeus buch der strahlen

ويضم هذا الكتاب ترجمة لكتاب اللمع إلى اللغة الألمانية أعدها A. moberg
وآخر تحقيق للنص السرياني لهذا الكتاب.

le livre des splendeurs la grande grammaire de
gregorie barhebraeus, texte syriaque ed. et notes par
.axel moberg, lund 1922

4 حول النحاة العبريين في العصور الوسطى، انظر:

H. Hirschfeld, literary history of hebrew
.grammarians and lexicographers. london 19626, 7
p. wechter, ibn barun,s arabic arabic works on
Hebrew grammar and lexicograhpy, philadelphia,
.1964

النحو التركي، وربما كان أيضا أول مؤلف في النحو الحبشي¹.
وفوق هذا فقد عرف ابن حزم القرابة اللغوية بين العربية والعبرية والسريانية، وشبه هذه
القرابة بقرابة لهجات اللغة الواحدة. قال ابن حزم: "الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن
السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيع لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت
مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نعمة أهل
القيروان. ومن القيرواني إذا رام نعمة الأندلسي. ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص
البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول إنما لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة،
وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى
على من تأمله وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول: مهمدا، إذا أراد
أن يقول: محمدا، ومثل هذا كثير فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن
اختلافهما

1 حول أبي حيان النحوي ومؤلفاته:

أبو حيان النحوي خديجة الحديثي بغداد 1966.

ومنهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك تحقيق سدي جليزور
وقد ألف أبو حيان في نحو عدد من اللغات غير العربية:

أ- الأفعال في لسان الترك "ذكره في الإدراك".

ب- الإدراك للسان الأتراك "موجود في مخطوط بالقاهرة، وطبع بتركيا 1309.

ج- زهو الملك في نحو الترك "مفقود".

د- منطق الخرس في لسان الفرس "مفقود".

هـ- نور الغبش في لسان الحبش = جلاء الغبش عن لسان الحبش "مفقود" قارن المهجر
الحيط 4 / 163-164.

و المخبور في لسان البشموور = المخبور في لسان الياحمور "مفقود". ولم نستطع التعرف
على تلك اللغة التي أشار إليها أبو حيان بكتابه هذا، انظر: خديجة الحديثي 176-
187 وانظر كذلك النصر الهام: "وقد اطلعت على جملة من الألسن كلسان الترك
ولسان الفرس ولسان الحبش وغيرهم وصنفت فيها كتبًا في لغتها ونحوها وتصريفها"
منهج السالك 230.

إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل¹ وهكذا أتيح لبعض النحاة والمفكرين في الدولة الإسلامية أن يعرفوا لغات متشابهة ومن أصل واحد مثل العربية والعبرية والسريانية وأن يعرف بعضهم إلى جانب العربية لغات تختلف بنيتها عن بنية اللغات السامية مثل اللغة الفارسية وهي لغة هندية أوروبية، واللغة التركية وهي لغة تنتمي إلى مجموعة لغوية أخرى.

1 الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ط القاهرة د. ت راجعه: أحمد شاکر 1/ 30.

(124/1)

الأوروبيون والمقارنات

...

3- الأوروبيون والمقارنات

وفي إطار العصور الوسطى اللاتينية كان النحو أحد الفنون السبعة أي العلوم التي تناولها التدريس والشرح والتعليق في كل أنحاء غرب أوروبا¹، وكان كثير من أبناء المنطقة الحضارية اللاتينية منتمين أيضا إلى بيئات لغوية تختلف لغاتها عن اللاتينية اختلافا بعيدا، ولا تمت إليها إلا بصلة قرابة بعيدة. اهتم عدد من المؤلفين المنتمين للبيئات اللغوية الإنجليزية والأيسلندية والألمانية ابتداء من القرنين السابع والثامن للميلاد بتأليف المعاجم البسيطة للغة اللاتينية مع الألفاظ المقابلة بلغة أخرى مثل الإنجليزية القديمة، كما اهتموا بالتأليف في النحو اللاتيني²

1 الفنون السبعة "seven liberal arts" هي النحو والجدل والبلاغة من جانب والموسيقى والحساب والهندسة والفلك من الجانب الآخر. وقد أطلق علماء العصور الوسطى اللاتينية على العلوم الثلاثة الأولى trivium وعلى العلوم الأربعة الأخيرة quadrivium، ويرجع المصطلحان كما يرجع التصنيف إلى العالم السياسي الروماني boethius في أواخر القرن الخامس الميلادي انظر أيضا: R.H. robins, A short history of linguistics. p. 69 J. koch ed. , artes liberales, leiden 1956

2 من أقدم الجهود في النحو اللاتيني في أواخر القرن العاشر للميلاد:

Aelfric's, latin grammar and colloquium

وقد كان المؤلف أحد رجال الدين الذين اهتموا بتعليم اللاتينية للتلاميذ الإنجليز من أبناء اللغة الإنجليزية القديمة "الأنجلو-سكسونية"، انظر المرجع المذكور ص70. وكذلك تحقيق هذا الكتاب مع المعجم:

J. zupitza ed. aelfrics Grammar and glosser, berlin

.1880 sammlung englischer denkmaler I

وقد ذكر روبنز في كتابه المذكور كتابًا لنحوي أيسلندي غير معروف، انظر ص72 وما

كتبه حول **First grammatical treatise**

(124/1)

كان هؤلاء المؤلفون يتعاملون في حياتهم اليومية بلغات تختلف عن اللاتينية اختلافا بعيدا ولكنها تمت إليها بصلة قرابة بعيدة وعلى الرغم من هذا فلم تؤد معرفتهم بهذه اللغات إلى بحث بنيتها وبيان أوجه الشبه والخلاف أو العلاقات التاريخية بينها وكل ما عرفه أولئك العلماء مجموعة ملاحظات عابرة للتعرف على علاقات القرابة بين اللغات في القرن الرابع عشر الميلادي، فقد أدرك دانتي 1265-1321 ببحث عدد من المفردات في اللغات الإسبانية والبرفسالية والفرنسية والإيطالية أن هذه اللغات ترجع إلى أصل واحد، ولكن دانتي لم يجعل هذه اللغات متفرعة عن اللاتينية، لأنها في رأيه لغة مصنوعة صنعها العلماء ليتعاملوا بها وأنها لم تكن لغة حية طبيعية في وقت من الأوقات، وإذا كان البحث العلمي قد أثبت خطأ هذا الرأي وأوضح أن اللغات الرومانية المختلفة إنما تطورت عن أصل واحد هو اللاتينية الشعبية، أي اللاتينية في صورتها المنطوقة، فإن أهمية رأي دانتي ترجع إلى تصنيفه لهذه اللغات في إطار واحد¹. وهناك محاولات كثيرة تالية لتصنيف اللغات الأوربية المختلفة في مجموعات ولكن قصور هذه المحاولات يرجع إلى كونها قامت على دراسة المفردات ولم تقم على دراسة البنية الصرفية والنحوية، وقد صنف سكاليجر 1540-1609 Scaliger اللغات الأوربية إلى أربع مجموعات رئيسية، وهي

1 جاء هذا في بحث دانتي:

.dante de bulgari eloquentia I 8
B.E. bidos, handbuch der romanischen
.munchen 1968 وكذلك sprachwissenschaft, s. 23-24

(125/1)

المجموعة الرومانية والمجموعة اليونانية والمجموعة الجرمانية والمجموعة السلافية، وأضاف إلى هذه المجموعات سبع مجموعات فرعية تدخل فيها باقي لغات القارة الأوروبية. وتدخل الفنلندية والجرية وهما من غير اللغات الهندية-الأوروبية في هذه المجموعات الفرعية¹. ولكن نجاح سكاليجر ومؤلفي المعاجم المتعددة اللغات في القرن السابع عشر لم يتجاوز مجرد التصنيف، فلم يتجاوز هؤلاء تصنيف المفردات ولم يبحثوا المراحل الأقدم لهذه اللغات من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية، ولذا كان عملهم مجرد ملاحظات جزئية كثيرة لم يخرجوا منها بقواعد عامة أو بقوانين توضح الفروق بين اللغات الأقدم واللغات الأحدث وتفسر مسار التغير اللغوي. وظل هؤلاء المؤلفون أسرى الفكر الموروثة عن العهد القديم القائلة بأن العبرية هي أصل لغات الأرض. وهكذا كان الاطمئنان إلى صحة هذه الفكرة معوقاً أمام جهد هؤلاء العلماء في النظر إلى المراحل الموعلة في القدم في تاريخ اللغات.

1 انظر روبنز: R.h. robins, p. 167

وقد أطلق سكاليجر على كل مجموعة من هذه المجموعات مصطلح:

Mutteesprache

اللغة الأم باعتبار أنها اللغة التي خرجت منها لغات أخرى.

(126/1)

4- نشوء علم اللغة المقارن:

لقد بدأ التقدم الحقيقي في علم اللغة المقارن في القرن التاسع عشر بعد أن اكتشف الأوروبيون اللغة السنسكريتية¹ وهي لغة تراث الهند القديم إن السنسكريتية لم تمت ولا يزال بعض العلماء الهنود يقرءون نصوصها ويألفون بها، لاحظ اللغويون الأوروبيون الشبه

الواضح للسنسكريتية باللغات الأوربية القديمة. ولا تقتصر أوجه الشبه على طائفة من المفردات المتشابهة فالألفاظ

1 يطلق الباحثون الأوروبيون على معرفة الغرب لأول مرة للغة السنسكريتية إعادة اكتشاف اللغة السنسكريتية رغم أنها كانت معروفة بصورة مطردة عند عدد من العلماء الهنود، وأول أوربي ذكر في العصر الحديث السنسكريتية هو Sir William Jones "1746-94" وكان قاضيًا إنجليزيًا في البنغال

(126/1)

تنتقل في يسر من لغة إلى أخرى. ولكن الباحثين ركزوا جهدهم على إيضاح جوانب الشبه في بنية اللغة السنسكريتية واللغات الأوربية القديمة من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية، ومر البحث اللغوي المقارن بعد بدايته الموفقة مع اكتشاف السنسكريتية بعدة مراحل، مضى فيها شيئًا فشيئًا نحو استخراج القوانين التاريخية للتغير اللغوي، كان شليجل F. Schlegel أول من طالب بدراسة البنية اللغوية للغة السنسكريتية باعتبارها منطلقًا للمقارنات اللغوية¹. لقد درس شليجل اللغة السنسكريتية، وكان إعجابه بها على نحو إعجاب الرومانتيكيين الألمان بكل شيء قديم وغريب، ورأى اللغات الأوربية القديمة مثل الإغريقية واللاتينية والجرمانية من أصل سنسكريتي. كان شليجل سعيد كل السعادة باللغة السنسكريتية وكأنه قد توصل بها إلى طفولة البشرية وإلى اللغة القديمة النقية والأصلية وقد أحرز علم اللغة المقارن في الأجيال التالية لشليجل تقدماً مطرداً حقق للبحث اللغوي درجة من الدقة العلمية، وخفت نشوة الولع بالهند وبالسنسكريتية ووهم أنها هي الأصل النقي القديم، كان فرانتس بوب F. Bopp أول من ألف كتاباً جاداً في علم اللغة المقارن، فصدر كتابه النحو المقارن 1833-1851 كان فرانتس بوب يرى الهدف من النحو المقارن إعادة تكوين اللغة الهندية - الأوربية الأولى، ولم يكن يرى رأي شليجل أن السنسكريتية أصل كل اللغات الهندية - الأوربية، فحاول بوب أن يستخرج ملامح اللغة الهندية - الأوربية الأولى اعتماداً على مقارنة اللغات الأوربية المختلفة والمضى من المراحل القديمة إلى المراحل الأقدم في محاولة للتعرف على اللغة الأقدم التي خرجت

عنها كل هذه اللغات 2 وفي النصف

1 انظر كتاب فردريخ شليجل

F. Schlegel, *Über die Sprache und Weisheit der Indier*. Heidelberg 1808

2 من مؤلفات فرانتس بوب المبكرة:

F. Bopp, *Über das Conjugationssystem der Sanskritsprache in Vergleichung mit jenem der griechischen, lateinischen, persischen und germanischen Sprachen*. Frankfurt 1816

(127/1)

الأول من القرن التاسع عشر كان هدف البحث المقارن التوصل إلى اللغة الأقدم ولذا كان البحث مرتبطاً بالنصوص المدونة، حاولوا بحث النصوص المختلفة التي وصلت إليهم باللغات الهندية الأوروبية عبر التاريخ محاولين الوصول عبر أقدم هذه النصوص إلى اللغة الهندية الأوروبية الأولى، ولم يكن هناك اهتمام جاد بدراسة اللهجات الحية -أول الأمر- ولكن الباحثين تبينوا بعد ذلك أهمية بحث اللهجات الحديثة في إطار علم اللغة المقارن، أي أنهم بحثوا اللهجات لا باعتبارها هدفاً في ذاتها أو موضوعاً متكاملًا في ذاته، بل باعتبارها أداة توضح جوانب من التاريخ اللغوي القديم أي أنها كانت وسيلة لفهم الماضي 1.

ودخل علم اللغة المقارن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مرحلة جديدة خبت فيها الروح الرومانتيكية، ونزع فيها البحث اللغوي إلى العلمية وتطوير المناهج الدقيقة في التصنيف والتفسير واستخراج القوانين الدقيقة على نحو ما فعل الباحثون في العلوم الطبيعية. تأثر علم اللغة في هذه المرحلة بالداروينية تأثراً بعيداً. كان اللغوي شلايشر متخصصاً أيضاً في العلوم البيولوجية، أعجب بآراء دارون في تطور الكائنات، وألف في محاولة نقل فكرة التفسير التطوري التاريخي في علم اللغة كتاباً بعنوان نظرية دارون وعلم اللغة 2 وقد عد شلايشر نفسه عالماً طبيعياً ببحث اللغة لا بوصف مظهرها الخارجي، بل بتأريخ جزئيات ظواهرها وتعليل نشوء هذه الجزئيات بقوانين ثابتة. وإذا كان علماء

النبات قد نجحوا في تصنيف النباتات إلى أسرات اعتمادا على بنيتها ومكوناتها ووضعوا بذلك مجموعة من قوانين التغير التاريخي - فإن شلايشر حاول أن يتوصل بهذا المنهج في بحث اللغات. وبعد كتاب شلايشر في النحو المقارن للغات الهندية -

1 انظر: B.E. vidos, hanbbuch, s. 26

وكذلك ص 30 وبها إشارة إلى جهود الباحث الإيطالي G..ascoli 1873

2 أهم كتب شلايشر:

A. schleicher. dic darwinische theoric und die
sprachwissenschaft. weimar 1863

(128/1)

الأوروبية 1 من أهم الكتب التي جعلت من علم اللغة علما دقيقا يحاول تفسير التغير بقوانين واضحة، وكان لهذا الكتاب أثر مباشر في قيام مدرسة النحاة الشبان 2 Junggrammariker وينتمي إلى هذه المدرسة أهم اللغويين الألمان في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. وأعلام هذه المدرسة لسكين A.Leskien وأستهوف H. Osthoff وبروجمان K. Brugmann في مجال علم اللغة الهندية - الأوروبية وتبعهم نولدكه 3 The Noldeke وبروكلمان 4 C. Brockelman في مجال علم اللغات السامية. إن مدرسة النحويين الشبان أفادت من التقدم المنهجي في العلوم الطبيعية وحاولت استخراج القوانين المفسرة للتغير اللغوي، وعرفت بالتزامها الصارم بفكرة القوانين الصوتية، وأفادت مدرسة النحويين الشبان في مجال اللغات الشرقية أيضا من الكشف الأثرية التي تمت في القرن التاسع عشر وأماطت اللثام عن لغات قديمة بائدة، ويكفي أن نذكر اللغات المصرية القديمة والآكادية والفينيقية والعربية الجنوبية باعتبارها أوضح الأمثلة في الشرق، وبالإضافة إلى هذا وذلك فقد كانت حركة تحقيق النصوص القديمة ذات نتائج مباشرة.

1 عنوان هذا الكتاب:

compendium der vergleichenden grammatik der

indogermanischen sprachen, kurzer abriss einer
laut-und formenlehre der indogermanischen
ursprache weimar 1861

2 أطلقت هذه التسمية على هؤلاء النحاة عندما كانوا في فجر شبابهم تَحكما عليهم ثم أعجب بها هؤلاء الشبان فأطلقوها على أنفسهم، وأكثر هؤلاء النحاة ولدوا في منتصف القرن التاسع عشر مثل "ولد اوستهوف 1847، وبرجمان 1849".

3 انظر: J. fuck, die arabischen studien in europa, .leiapzig 1955, s. 217-220

4 انظر: محمود فهمي حجازي في مقاله المنشور في مجلة الكتاب العربي - القاهرة، أبريل 1969 بعنوان: كارل بروكلمان بين التراث العربي وعلم اللغة المقارن.

(129/1)

فأتاحت للغويين نصوصًا كثيرة اعتمدوا عليها وعلى غيرها في بحث اللغات وتوصلوا في هذا البحث بمنهج دقيق يهدف عن طريق القوانين التاريخية إلى تفسير العلاقات بين اللغات والمستويات اللغوية المختلفة القديمة والحديثة في إطار الأسرة اللغوية الواحدة، وفي ظل هذه الظروف نشأ علم اللغة المقارن في اللغات الهندية الأوروبية ثم في باقي الأسرات اللغوية.

(130/1)

الفصل الثامن: اللغات السامية بين اللغات الأفروآسيوية

1- اللغات الأفروآسيوية

يطلق مصطلح الأفروآسيوية على مجموعة كبيرة من اللغات في غرب آسيا وشمال وشرق إفريقيا ومنها اللغات السامية¹. ويعني تصنيف مجموعة من اللغات في أسرة لغوية واحدة اشتراك هذه اللغات في عدد من الخصائص البنوية باعتبار هذه اللغات ترجع إلى أصل واحد تفرعت عنه، ثم تباعدت خصائصها بعد ذلك على مدى التاريخ. ومعنى هذا أن اللغات العربية والأكادية

1 انظر حول العلاقات بين اللغات الأفروآسيوية في مفهوم جرينبرج:

J.H. Greenberg, languages of africa. indiana
.university 1966, PP

وحول توزيع اللغات السامية وخصائصها المشتركة، انظر:

E.renan, historie gengerale des langues semitiques,
.paris 1855

TH. noldede, die semitischen sprachen, eine skitzze
.1887

ترجمة: رمضان عبد التواب بعنوان: اللغات السامية، القاهرة 62 وقد اعتمد على
كتاب ريتان المذكور على عبد الواحد وافي في كتابه: فقه اللغة، انظر مثلاً الطبعة
الخامسة 1962.

.hanbduch der orientalistik, band III, semitistik

وكتب مواد هذا الكتاب نخبة من المستشرقين منهم كارل بروكلمان واينو ليتمان E.
Littmaan

(131/1)

والكنعانية والآرامية والحبشية فرعاً من أفرع أسرة لغوية كبيرة، تضم أيضاً اللغات
المصرية القديمة والبربرية والتشادية والكوشية. ويقوم تصنيف اللغات في أسرة لغوية
واحدة على أساس الخصائص المشتركة، وكلما تقاربت هذه الخصائص بين لغتين أو أكثر
كونت اللغتان فرعاً لغوياً داخل الأسرة اللغوية، وتقل الخصائص المشتركة بالضرورة كلما
بحثنا العلاقات بين فرع لغوي وآخر، ولكن وجود قدر مشترك من الخصائص بين هذه
اللغات جعل الباحثين المعاصرين يميلون إلى اعتبار اللغات السامية جزءاً من الأسرة
اللغوية الأفروآسيوية.

(132/1)

2- اللغات السامية

كان كثير من الباحثين الأوروبيين قد لاحظوا منذ قرون أوجه الشبه بين العربية والعبرية،

وكان العارفون بهما وبالسريانية في عصر الحضارة الإسلامية قد أدركوا أن هذه اللغات متقاربة، بل وعرف ابن حزم أنها من أصل لغوي واحد. وعندما بدأ بحث اللغة العربية في أوروبا في القرن السادس عشر بهدف قراءة العهد القديم في نصه العبري أفاد علماء اللاهوت من اللغة العربية لفهم بعض الجوانب الغامضة في النص العبري للعهد القديم. وهكذا ارتبطت بداية الاهتمام الأوربي باللغة العبرية القديمة بحركة الإصلاح الديني التي نادت في هذا الصدد بضرورة بحث العهد القديم في نصه العبري لا في ترجماته اللاتينية. إن العهد القديم نص عبري، ولكن به سفرين بالآرامية، ولذا كان الاهتمام المبكر بالآرامية متواضعاً بقدر هذه الصفحات الآرامية القليلة في العهد القديم. وبذلك تركز البحث في اللغات السامية القديمة في أوروبا على لغتي الأسفار الدينية وهما العبرية والآرامية. وتوسلوا في فهمها باللغة العربية التي كانت معروفة عند بعض الباحثين الأوربيين بصورة مستمرة. واتسعت دائرة الاهتمام باللغات السامية في القرن السابع عشر عندما بدأ البحث اللغوي في لغة الجعر، أي الحبشية القديمة، بينما استمر بالعبرية والآرامية والعربية.

(132/1)

ولا شك أن العارفين بهذه اللغات قد لاحظوا أوجه شبه كثيرة بينها. فحاول شلوتسر 1798 Schlozer تسمية هذه اللغات: العبرية والعربية والآرامية والحبشية - باسم عام يجمعها، ووجد في العهد القديم تقسيماً للشعوب إلى أبناء حام وأبناء سام وأبناء يافث. لاحظ شلوتسر أن أسماء هذه اللغات ينطبق إلى حد كبير على أسماء أولاد سام، فسمى هذه اللغات باسم اللغات السامية¹. ولكن إدراك العلاقات التاريخية بين هذه اللغات لم ينتظم على أساس منهجي واضح وفي إطار نظرية شاملة إلا بعد تصنيف اللغات الهندية الأوروبية. ففي القرن التاسع عشر نجح العلماء في تصنيف اللغات الهندية - الأوروبية بمنهج علمي واضح. وكان لهذا المنهج أثره المباشر عند الباحثين في اللغات السامية، فحاولوا التوصل بنفس المنهج لتصنيف اللغات السامية. وفي نفس الفترة زاد الاهتمام بالأبحاث التاريخية والأثرية واكتشفت آلاف النقوش في أنحاء مختلفة من الشرق،

1 انظر رأي شلوتسر في:

.aug. ludwig schlozer, von jen chaldern

وقد ظهر هذا البحث سنة 1781 في:

J.G. eichhorn, repetouium fur biblische und
morgenlandische litteratur VIII leipzig 1781, 161

والواقع أن لغات الأرض لا يمكن أن تقسم على نحو ما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التكوين هذا التقسيم البسيط إلى ثلاث أسر لغوية فقط، فهناك أسر لغوية متعددة، وليس هناك ثمة دليل على قرابة هذه الأسر الكثيرة. لقد وجد شلوتسر مصطلح اللغات السامية مناسباً، واستقر هذا المصطلح بعد ذلك على الرغم من اختلاف دلالة مصطلح اللغات السامية في البحث اللغوي عما جاء حول أبناء سام في سفر التكوين. فكاتب سفر التكوين كان يقسم الشعوب لاعتبارات سياسية، فمن صادقهم اليهود جعلهم من أبناء سام ومن عاداهم اليهود جعلهم من غير الساميين، ولذا ذكر سفر التكوين كنعان من غير أبناء سام في حين أن البحث الحديث يثبت أن الكنعانية فرع من أفرع اللغات السامية. وذكر التكوين أن عيلام من أبناء سام، وأثبت البحث الحديث أن اللغة العيلامية ليست من اللغات السامية. انظر عن العيلاميين ولغتهم:

.w. hinz, des rejch elam. stuttgart 1964

(133/1)

وكشفت هذه النقوش عن لغات قديمة بائدة منها العربية الجنوبية والأكدية والفينيقية وثبت في أثناء بحث هذه اللغات القديمة أنها تتشابه أيضاً مع اللغات السامية المعروفة حتى ذلك الوقت. ويتضح اللقاء بين البحث في اللغات السامية المختلفة في عدة شخصيات فاللغوي الألماني جيزينيس 1776-1842 Gesenius ألف للعبرية نحوًا ومعجمًا، واهتم أيضاً بالآرامية وكان جيزينيس أول من نجح في فك أكثر رموز خط المسند أي الخط الذي كتبت به النقوش اليمنية القديمة. وقد أفاد الباحثون في القرن التاسع عشر من معرفتهم باللغات العربية والعبرية والآرامية والحبشية في فهم اللغات المكتشفة في النقوش. ولم تقتصر الأبحاث على لغات الكتب الدينية ولغات النقوش القديمة، بل اهتم عدد من الأوربيين ولأسباب علمية غالباً - بدراسة عدد من اللهجات

العربية الحديثة ويتدوين عدد من اللهجات الآرامية الحديثة واللغات السامية الحديثة في الحبشة وبكل هذه الأدوات أتيح لعلماء القرن التاسع عشر ما لم يتح لمن سبقهم؛ ففي منتصف القرن التاسع عشر كانت اللغات العربية والعبرية والآرامية والحبشية والعربية الجنوبية والفينيقية والآكادية معروفة للباحثين الأوربيين وكان المنهج المقارن الذي صقلته أبحاث اللغات الهندية الأوربية معروفا لهم أيضا، ومعنى هذا أن البحث المقارن في اللغات السامية بدأ بعد أن اتضحت لهم ملامح هذه اللغات وبعد أن اتضح لهم أيضا منهج علمي لتصنيفها ولمقارنتها.

(134/1)

3- اللغات السامية واللغة المصرية القديمة:

كانت القرابة اللغوية بين اللغات السامية واللغات الأخرى القديمة والحديثة أحد موضوعات البحث المقارن، ولم يهتم بهذا الموضوع لصعوبته إلا عدد قليل من العلماء، ورغم هذا فقد طرحت فيه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر عدة فروض تتفق في جعل اللغات السامية -بالمعنى الضيق للكلمة- ليست مختلفة كل الاختلاف عن لغة مصر القديمة، وقد افترض 1 بروجش 1867.

1 انظر:

Brugsch, Hieroglyph- demot. Worterbuch I, 1867.

.IX

(134/1)

أن اللغة المصرية القديمة لغة سامية وفسر إرمان أوجه الشبه بين اللغات السامية واللغة المصرية القديمة بأن هذه اللغة قد انفصلت في وقت مبكر عن الأسرة السامية وشقت طريقها وحدها عدة آلاف من السنين 1 وشبيه بهذا أمر العلاقة بين اللغات السامية وتلك اللغات المسماة بالحامية. كان البعض يجعل: لغات البربر، والنوبة ولغة الهوسا والفولبا، واللغات الكوشية مثل: لغات البشارية، والبعجة، والماهو، والجالا، والصومالية وغيرها ضمن أسرة لغوية واحدة، أطلقوا عليها اسم الأسرة الحامية، وقد أدت دراسة

أوجه الشبه بين هذه اللغات واللغات السامية إلى افتراض أنها جميعًا تكون أسرة لغوية كبرى وأن اللغات الحامية قد انفصلت عن اللغات السامية² في وقت مغرق في القدم، فشق كل فرع لغوي طريقه المستقل في التغيير اللغوي، ويقول هذا الرأي أيضًا بأن اللغة المصرية القديمة قد انفصلت عن الأسرة الكبرى في مرحلة تالية، واحتفظت لذلك بقدر أكبر من الملامح المشتركة مع اللغات السامية.

1 انظر بحث إرمان **erman** المنشور في: ZDMG 46, 125 ff.

2 انظر الدراسات التالية:

**pratorius. UPer die hamitischen sprachen
ostafrikas, beitrage zur assyriologie, II 312–41
A. meillet, m. cohen, les langues du monde. paris
1928.**

وفي هذا الكتاب عرض مفصل للغات الحامية السامية:

**m. clhen, essai copatatif du chamitosemitique paris
1947.**

(135/1)

4- اللغات السامية واللغة الليبية القديمة

وفي السنوات الأخيرة اهتم اللغوي الألماني روسلر ببحث لغة النقوش الليبية القديمة المسماة بالنقوش النوميديّة¹. وأثبت روسلر بما لا يقبل الشك أن اللغة النوميديّة لغة سامية انفصلت عن اللغات السامية في الشرق في مرحلة مغرقة في القدم، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه خاص جعلها تختلف إلى حد كبير عن باقي

1 حول خصائص اللغة النوميديّة: انظر:

**o. rossler, die sprache numidiens. festschrift hans
krahe**

(135/1)

اللغات السامية¹ واستطاع روسلر أن يفسر كثيراً من الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية في اللغة النوميديّة القديمة باعتبارها تغيرات حدثت فيها بعد انفصالها عن الأصل القديم المشترك. لاحظ روسلر عدم وجود أصوات حلق في اللغة النوميديّة. لكنه فسر هذا باعتبار أن النوميديّة عرفت أصوات الحلق قديماً بدليل وجودها في اللغة الصومالية التي تمت بصلة القرابة مباشرة للغة الليبية القديمة. فوجود أصوات الحلق في الصومالية دليل على أنها كانت موجودة في اللغة النوميديّة في أقدم مراحلها. وقد أوضح روسلر اشتقاق كثير من الكلمات النوميديّة على أساس المقارنة باللغات السامية في المشرق، فكلمة "بُنْ" بكسر الباء أو ضمها تعني في النوميديّة واللغات البربرية التي تطورت عنها ما يعبر عنه في اللغات السامية بالمشرقية بكلمة "بيت" ومعنى هذا أن اللغة النوميديّة اشتقت من المادة اللغوية الخاصة بالبناء كلمة تدل على البيت، بينما اشتقت اللغات السامية المشرقية من نفس المادة اللغوية كلمات تدل على الاتصال الجنسي بالمرأة والإنجاب منها، ونجد كلا المعنيين في المادة العربية "بنى": بنى البيت، بنى بالمرأة، فكأن الفعل العربي "بنى" ضم المعنيين: بناء البيت، والبناء بالمرأة أي الدخول بها والإنجاب، أما الكلمة العربية "بيت" فتربط بالفعل "بات" أي قضى الليل، أي أنها من مادة لغوية مخالفة، وتثبت المواد اللغوية النوميديّة التي بحثها روسلر أن اللغة النوميديّة لغة سامية قديمة، ولكنها خضعت لمؤثرات إفريقية جعلتها تتخذ طابعها الخاص المتميز. وهكذا أوضحت الأبحاث حول اللغات السامية بالمعنى الضيق، واللغة المصرية القديمة، واللغة النوميديّة أو الليبية القديمة أوجه الشبه بين كل هذه

1 انظر كذلك بحث روسلر Rossleer عن الطابع السامي للغة الليبية:

.Der Semitische Charakter der Iibyschen sprache

المنشور في: **Zeitschrift fur Assyriologie** العدد 50.

كذلك البحث التالي: **Libysh- Hamitisch - Semitich**

المنشور في: **Oriens Vol 17, 1964, S. 199-216**.

(136/1)

اللغات. وترجع صعوبة البحث في هذا الموضوع إلى طبيعة المادة المدونة المتاحة، فالمادة المتاحة باللغة المصرية القديمة مدونة في أكثر الأحوال بخط صوري لا يعكس الخصائص

الصوتية، والنقوش النوميديّة قليلة جدًّا وتزيد هذه الصعوبة إذا أدخلنا في مجال المقارنة اللغات الأخرى، في الأسرة الأفروآسيوية ومنها اللغات الكوشية واللغات التشادية¹ ومشكلة هذه المقارنات أنّها لا يمكن أن تقارن بالمنهج التاريخي المقارن المتعارف عليه في بحث اللغات القديمة، فكثير من هذه اللغات لم يدون إلا منذ سنوات معدودة، ومن الطبيعي ألا يجد الباحث أوجه شبه كثيرة بين هذه اللغات القديمة البائدة والحديثة التي لم تكد تدون. شأن هذا البحث شأن من يقارن اللغة الفرنسية واللغة الروسية المعاصرة باللغة السنسكريتية وهذه مشكلة عامة في تصنيف اللغات الإفريقية وغيرها من اللغات التي ليست لها نصوص قديمة مدونة، وقد أثبت اللغوي الأمريكي جرينبرج وجود سمات بنوية مشتركة في كل أفراد الأسرة الأفروآسيوية: السامية، والبربرية، والمصرية القديمة، والكوشية، والتشادية، وأهم هذه السمات: التمييز بين المذكر والمؤنث باستخدام التاء للتأنيث، واستخدام النون للربط بين وحدتين صرفيتين، مثل نون الوقاية في العربية، ووجود الضمائر المتصلة، واستخدام الواو كصوت علة يسقط كثيرًا، وتكوين عدد من المشتقات بأبنية تبدأ بالميم مثل اسم المكان واسم المفعول في العربية². وكل هذه الدراسات الصعبة توضح أن اللغات السامية ليست أسرة لغوية مستقلة كل

1 انظر

J.H. Greenberg Languages of Africa. Indiana

.University 1966 p. 42-65

2 المرجع المذكور ص 46-48.

(137/1)

الاستقلال، وأغلب الظن أنّها تشكل فرعًا من الأفرع الخمسة للأسرة الأفروآسيوية¹.

1 لا يدل مصطلح الأفروآسيوية عند جرينبرج على ما كان غيره يصفه بمصطلح الحامية السامية فهناك اختلافات بين رأيه في تصنيف اللغات ورأي الباحثين السابقين عليه، فاللغة القولانية لا تدخل في تصنيف جرينبرج ضمن اللغات الأفروآسيوية بينما جعلها باحثون آخرون من اللغات الحامية. ولم يكن ثمة يقين حول انتماء لغة الهوسا إلى

السامية- الحامية وقد أثبت جرينبرج أن لغة الهوسا وباقي اللغات التشادية تكون فرعاً من أفرع المجموعة اللغوية الكبرى "الأفروآسيوية". انظر المرجع السابق ص 45.

(138/1)

الفصل التاسع: الخصائص المشتركة بين اللغات السامية

1- الأصوات

اهتمت كتب النحو المقارن في اللغات السامية - وكلها كتب أوروبية ببيان الخصائص التي تتسم بها اللغات السامية. ومن الطبيعي أن تتناول هذه الدراسات الجوانب الصوتية- والصرفية والنحوية والمعجمية¹. هناك أصوات لا تكاد تخلو منها أية لغة، مثل: الأصوات الشفوية كالباء والميم، والأصوات الأسنانية: كالتاء والذال، إلى جانب أصوات أخرى توجد في لغات ولا توجد في لغات أخرى. وقد لاحظ الباحثون الأوروبيون أن اللغات السامية تضم مجموعة من أصوات لا توجد في اللغات الأوروبية، ولذا أبرزوا وجود هذه الأصوات في حديثهم عن الخصائص العامة للغات السامية، والمقصود بهذه الأصوات مجموعة أصوات الحلق

c. brockelmann, grundriss. 1/ 5 1

R. meyer, hebraische grammatik, I, s. 17 ff. berlin
.1966

B. spuler, der sem. sprachtypus, in; handbuch der
،orientalistik, band III
s. 3-25 von soden grundriss der akkadischen ،1
grammatik. roma 1969 s. 1-2 G. Bergstrasser,
.einführung, s 3-19

(139/1)

ومجموعة أصوات الإطباق.

أصوات الحلق مثل الغين والحاء والعين والحاء والهاء والهمزة في اللغة العربية، وهي تلك

الأصوات التي تخرج من الحلق، وأصوات الإطباق مثل القاف والصاد والطاء وهي أصوات تشترك في سمة واحدة تتلخص في اتخاذ اللسان شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى ويرجع إلى الوراء قليلاً¹، والواقع أن هاتين المجموعتين موجودتان بدرجات متفاوتة في اللغات السامية المختلفة، فليست كل لغة سامية تضم كل الأصوات الحلقية والمطبقة الموجودة في العربية، فالعربية مثلاً تضم عددًا أكثر من أصوات الحلق والإطباق بالمقارنة مع باقي اللغات السامية، وليست هناك لغة سامية واحدة تخلو من عدد من أصوات الحلق والإطباق. والمقصود هنا بوجود أصوات الحلق وأصوات الإطباق كونهما في اللغات السامية تكون وحدات صوتية متميزة، وتظهر هذه الحقيقة إذا قارنا ولو بصورة شكلية مباشرة أية لغة سامية، ولتكن العربية مثلاً بأية لغة أوربية. فنلاحظ عدم وجود هذه الأصوات الحلقية والمطبقة في اللغات الأوربية كرموز صوتية متميزة، ولكن بعضها مثل الهمزة قد يسمع بصورة ما في بعض اللغات الأوربية؛ ففي اللغة الألمانية نسمع نوعاً من الهمز قد يسمع بصورة ما في بعض اللغات الأوربية، ففي اللغة الألمانية نسمع نوعاً من الهمز قبل نطق صوتي "a" في كلمة **Abart**، ورغم هذا فلا تشكل الهمزة هنا وحدة صوتية متميزة، بل هي مجرد وسيلة نطقية لإبراز نطق الحركة. ولكن اللغات السامية تعرف الهمزة باعتبارها وحدة صوتية متميزة، ففي العربية مثلاً هناك فرق دلالي بين "سأل" و"سال"، وشبيه بهذا أمر أصوات الإطباق التي ربما تسمع في كلمات معينة في اللغات الأوربية ولكنها تشكل فيها أصواتاً متميزة وظيفياً. ويميل أكثر الباحثين إلى اعتبار أصوات الحلق في اللغات السامية موروثاً من اللغة السامية الأولى، واللغة العربية تعد بصفة عامة أصدق تعبيراً عن اللغة السامية الأولى، وتضم كل من العربية الشمالية والعربية الجنوبية ستة أصوات.

1 إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص51.

(140/1)

حلقية وتضم اللغات السامية الأخرى أصواتاً حلقية بعدد أقل. فاللغة السامية الوحيدة التي تضم كل أصوات الحلق المعروفة في العربية الشمالية هي اللغة العربية الجنوبية القديمة أي لغة النقوش اليمنية، ففي العربية الشمالية والعربية الجنوبية نجد نفس أصوات الحلق كاملة غير منقوصة، أما في المهرية، وهي امتداد حديث للعربية الجنوبية القديمة،

فإننا نجد هذه الأصوات عدا صوتاً واحداً لأن المهريّة تخلو من العين كصوت متميز. ويقل عدد أصوات الحلق في اللغات السامية التي عرفت منطقة الشام قبل الإسلام، فأصبحت الحاء في العبرية مثلاً تمثل الحاء العربية والحاء العربية معاً، وبذلك أصبح الصوتان المتميزان الحاء والحاء في اللغة السامية الأولى صوتاً واحداً هو الحاء في اللغة العربية. وهكذا قلت أصوات الحلق في اللغات السامية في الشام قبل الإسلام، وهناك لغة سامية فقدت أكثر أصوات الحلق وهي اللغة الأكادية في العراق القديم، ولذا لم يبق في اللغة الأكادية من أصوات الحلق إلا صوتان حلقيان، هما: الهمزة والحاء فقد حدثت في هذه اللغات تغيرات قللت عدد أصوات الحلق، أما اللغة العربية فقد احتفظت بالمجموعة كاملة، ولذا تعد العربية من هذا الجانب امتداداً مباشراً للغة السامية الأم. أما أصوات الإطباق وهي في العربية: القاف، والصاد، والطاء والضاد، والظاء، فقد قل عددها أيضاً في بعض اللغات السامية الأخرى، وتوجد هذه المجموعة كاملة غير منقوصة في اللغة العربية الجنوبية القديمة وتضم كل اللغات السامية الأخرى عدداً أقل من أصوات الإطباق، وأكثر هذه الأصوات ثباتاً الصاد والقاف والطاء، فهذه الأصوات الثلاثة موجودة في كل اللغات السامية القديمة، ولكن الطاء والضاد قد تعرضتا للتغير الصوتي في عدد من اللغات السامية، فكل ضاد وكل طاء وكل صاد عربية يقابلها مثلاً صاد في العبرية، وبذلك حل صوت واحد في العبرية محل ثلاثة أصوات في العربية. ويلاحظ نفس الشيء في الأكادية فالصاد الأكادية تقابل ثلاثة أصوات عربية هي الصاد والضاد والظاء، أما اللغة الآرامية فقد كان موقفها من الضاد

(141/1)

جديراً بالملاحظة، فقد تحولت الضاد الموروثة عن اللغة السامية الأولى في اللغة الآرامية مرة إلى قاف ثم إلى عين. ويعد هذا التحول من أصعب التحولات الصوتية تفسيراً. ولكن مقارنة أصوات الإطباق الموجودة في اللغات السامية المختلفة أثبت أن أصوات الإطباق الموجودة في العربية تعد امتداداً مباشراً لأصوات الإطباق الموجودة في اللغة السامية الأولى. ويطلق على تلك التحولات القياسية التي طرأت على بعض الأصوات في اللغات السامية مصطلح القوانين الصوتية، والمقصود بهذا المصطلح أن هذه التغيرات قياسية مطردة تسري على كل الكلمات دون استثناء. وتعني كلمة "قانون" إطار علم اللغة نفس معناها في العلوم الطبيعية، فالقانون تفسير للظاهرة، وليس وسيلة

للتحكم فيها، فالقوانين الصوتية تفسر التغيرات الصوتية التي حدثت فعلاً، فليس هناك قوانين تفرض على اللغات. بل هناك قوانين تفسر ظواهرها.

(142/1)

2- بناء الكلمة

ويقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساس الصوامت ويرتبط معنى المادة اللغوية في اللغات السامية بمجموع الصوامت التي تكون كل مادة، وأكثر الكلمات في اللغات السامية تتكون من مادة ثلاثية. وقد عبر النحاة العرب عن هذه الصوامت بالفاء والعين واللام، وتقوم فكرة الميزان الصرفي على أساس التمييز بين الحروف الأصول الممثلة في الميزان الصرفي بالفاء والعين واللام وبين ما يطرأ على الكلمة المفردة من تغيير بالإضافة أو الحذف¹. ويرتبط معنى الكلمات الكثيرة المشتقة من المادة اللغوية الواحدة في اللغات السامية بالصوامت فالكلمات: كَتَبَ، كُتِبَ، كَتَبَ، كُتِبَ، مكتب، مكتبة، مكتبات، تكون أسرة واحدة تقوم وحدتها على أساس وجود الأصوات الصامتة الثلاثة، الكاف والتاء والباء بهذا الترتيب. ويؤدي وجود هذه الأصوات الصامتة الثلاثة إلى تحديد المعنى الأساسي الذي تدور حوله معاني الكلمات المختلفة المكونة من

1 انظر مثلاً: الممتنع في التصريف لابن عصفور، ط حلب 1970- تحقيق: فخر الدين قباوة، باب تبين الحروف الزوائد والأدلة التي يتوصل بها إلى معرفة زيادتها من أصلاتها 39-59 /1.

(142/1)

تتابع هذه الصوامت. ويتحدد المعنى الخاص لكل كلمة من هذه الكلمات المشتركة في الحروف الأصول بمعايير أخرى، فالحركات المختلفة من ضم وفتح وكسر تشكل الصيغ المختلفة داخل الإطار الدلالي الذي حددته الصوامت وبذلك تختلف كلمة: كَتَبَ عن كلمة: كُتِبَ رغم اتحاد الحروف الأصول لأن الأولى بوزن: فَعَلَ المبني للمعلوم والثانية: فُعِلَ المبني للمجهول وتتكون صيغ صرفية كثيرة بإضافة سوابق مثل الميم، نجد هذا مثلاً في الكلمات: مكتب مكتبة. تتكون صيغ صرفية أخرى عن طريق إلحاق نهاية تؤدي

معنى محددًا. وذلك مثل نهاية المذكر السالم وجمع المؤنث السالم بالنسبة للأسماء. وهكذا يقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساسين متكاملين: المادة اللغوية، والوزن. وتصنف الأسماء في اللغات السامية وفق معايير ثابتة يمكن تطبيقها على كل اللغات السامية لأنها مستخرجة منها. هذه المعايير ليست انعكاسًا لمنطق عقلي عام ليس له وجود. ولكن واقع اللغات السامية جعل من الممكن تحديد معايير تغيرات الصيغ في الأسماء فيها وفق ثلاثة جوانب، هي: العدد **numbur** والحالة الإعرابية **case** والجنس **gender**.

والمقصود هنا بالعدد كل ما يتعلق بالافراد والثنائية والجمع، فاللغات السامية تقسم الأسماء وفق هذا التقسيم الثلاثي. فكل اسم في اللغات السامية لا بد وأن يعبر عن مفرد أو عن مثنى أو عن جمع. وليست هذه دائمًا حال اللغات الأخرى، فاللغات الأوروبية الحديثة مثلا تقسم الأسماء من هذا الجانب تقسيمًا ثنائيًا. فهناك صيغة للمفرد تسمى **Singular** وصيغة لغير المفرد تسمى **plural** وبهذا تختلف اللغات السامية عن اللغات الأوروبية المعاصرة، فالاسم الدال على اثنين او اثنتين له في اللغات السامية صيغة متميزة في صيغة المثنى القياسية في العربية. ويبدو أن صيغة المثنى كانت هكذا في اللغة السامية الأولى، ولكن استخدام هذه الصيغة قل في بعض اللغات السامية مثل العربية، فلم تعد صيغة المثنى تستخدم فيها إلا في الأشياء التي توجد في الواقع الخارجي مثنى

(143/1)

مثنى مثل: اليدين والرجلين.

أما الحالة الإعرابية للأسماء في اللغات السامية فذات تنوع ثلاثي. وقد أطلق النحاة العرب على هذه الحالات الإعرابية مصطلحات الرفع والنصب والجر، وبعد الإعراب على هذا النحو الثلاثي في العربية امتدادًا للغة السامية الأولى وقد احتفظت اللغة الأكادية بظاهرة الإعراب على هذا النحو أيضا فالخط الأكادي يثبت الحركات دائمًا، ولذا فقد أمكن التعرف من رموزه المدونة على حقيقة أن الاسم في الأكادية كان يتخذ ثلاثة أشكال، ينتهي أحدها بالضممة والثاني بالفتحة والثالث بالكسرة، وتطابق هذه الأشكال الثلاثة للاسم الأكادي الأشكال المقابلة في العربية رفعًا ونصبًا وجرًا، لم تحتفظ أكثر اللغات السامية بالنهايات الإعرابية وفقدت اللهجات العربية التمييز بين الحالات

الإعرابية للاسم أيضاً، ولكن الباحثين يرون الإعراب على نحو ما تعرفه العربية وما عرفته الأكاديمية ظاهرة أصيلة في اللغة السامية الأولى. ولا يعكس التنوع الإعرابي على هذا النحو المعروف في العربية منطقاً عقلياً عاماً يسري على كل اللغات، فهناك لغات كثيرة لا تصنف الأسماء أي تصنيف وفق هذا المعيار، وهناك لغات تصنف الأسماء من هذا الجانب إلى أربع صيغ. فاللغة الألمانية تميز في إعراب الاسم بين المرفوع **Nominativ** والمنصوب **Akkusativ** والمجرور **Dativ** والمضاف إليه **Genitiv** ولا تكاد التقسيمات العربية تطابق التقسيمات الألمانية إلا في حالات معدودة، فلكل لغة نمطها الخاص في ذلك¹. وتعرف اللغة اللاتينية عدداً أكبر من الحالات الإعرابية، منها مثلاً حالة النداء **Vocativ**، وفي بعض اللغات السلافية توجد حالة الأداة **Instrumental** وفي اللغة التركية توجد حالة مكانية **Locativ** وكل هذه الحالات يعبر عنها في العربية

1 يتضح الاختلاف مثلاً بين العربية والألمانية تجاه الاسم التالي لحرف الجر فجميع حروف الجر العربية يأتي الاسم بعدها مجروراً ولكن حروف الجر الألمانية أنواع، بعضها يأتي بعده بحالة النصب **Akkusativ** وبعضها بحالة الجر **Dativ** وبعضها بإحدى الحالتين المذكورتين وبعضها بحالة الإضافة **Genitiv**

(144/1)

بأداة أو بحرف مع الاسم التالي. فاللغات المختلفة تتباين من هذا الجانب وتختلف اختلافاً كبيراً. ويعكس هذا الاختلاف اختلاف الطرق التي تميز بها اللغات المختلفة بين صيغ الأسماء.

وتصنف اللغات السامية الأسماء أيضاً من ناحية الجنس إلى ما يطلق عليه المذكر وما يطلق عليه المؤنث، ولا علاقة هنا بين الواقع الخارجي والصيغ اللغوية، وإنما تعارف النحويون على وصف صيغة الاسم بأنها من المذكر أو المؤنث على سبيل الاصطلاح والتقريب فقط، وتتضح نسبية هذا التقسيم بالنظر في الأشياء التي ليس لها بحكم طبيعتها أي نصيب من التذكير والتأنيث مثل: الكتاب. والشمس. والمنضدة. ولكن كل اسم في اللغة العربية أو في اللغات السامية الأخرى ينبغي أن يصنف من ناحية الجنس، وهنا تصبح بعض هذه الأشياء من المذكر، وبعضها من المؤنث لاعتبارات شكلية

أحياناً، وربما يعكس بعضها رواسب من فكر إنساني قديم، فكل الأسماء الدالة على جماد والتي تنتهي بتاء التانيث تصنف في العربية باعتبارها مؤنثة، وبهذا الاعتبار تصنف كلمة "المنضدة"، وعلى العكس منها تصنف كلمة نضد، وقد لوحظ في عدد كبير من اللغات التي تميز الأسماء إلى مذكر ومؤنث أن الكلمتين الدالتين على الشمس والقمر في كل لغة من هذه اللغات لا تتفقان بل تتكاملان من ناحية الجنس فالشمس في العربية من المؤنث والقمر من المذكر، وكذلك كلمة **der Mond** وكلمة **dir Sonne** في الألمانية أما في اللغة اللاتينية واللغات المتفرعة عنها فإننا نلاحظ العكس ولكن مع الاحتفاظ بالتكامل؛ ففي اللاتينية كلمة **Sol** تصنف من المذكر وتدل على الشمس وكلمة **Luna** تصنف من المؤنث وتدل على القمر، ومعروف أنه لا علاقة طبيعية بين الشمس والقمر، والتذكير والتانيث في الواقع الخارجي، وليس من الضروري أن تقسم اللغات الأسماء هذا التقسيم الثنائي؛ فهناك لغات مثل التركية لا تصنف الأسماء وفق هذا الاعتبار. وهناك لغات أخرى تصنف الأسماء من هذا الجانب تصنيفاً ثلاثياً، ففي اللغات الجرمانية يوجد إلى جانب المذكر والمؤنث صيغة ثالثة يطلق عليها **neutrum**

(145/1)

ويترجم هذا المصطلح بالحايد، ولا علاقة هنا بين الكلمة كصيغة لغوية وما تدل عليه في واقع الحياة، فكل كلمة تنتهي في الألمانية بالنهاية **chen** أو بالنهاية **lein** تعد من الحاييد بغض النظر عن مدلولها في واقع الحياة، ومن هذا النوع في اللغة الألمانية كلمة **Fraulein** ومعناها آنسة، وكلمة **Madchen** ومعناها بنت وكلمة **Hauschen** ومعناها بيت صغير. فكل هذه الأسماء تصنف في اللغة الألمانية من الحاييد وذلك وفق الصيغ اللغوية لا وفقاً لما تدل عليه الكلمة في الواقع الخارجي، وكل هذه الأمثلة توضح أن تصنيف اللغات للأسماء من هذا الجانب يختلف من لغة لأخرى، ولكنه في كل حالة لا يخرج عن كونه مجرد تصنيف للكلمات. وقد صنفت اللغات السامية الأسماء من هذا الجانب تصنيفاً ثنائياً، وهو تصنيف للأسماء لا للأشياء. وتصنف اللغات السامية الفعل فيها إلى عدة صيغ، ويطلق على هذه الصيغ الموجودة في العربية: المضارع والماضي والأمر. وهكذا حال الفعل أيضاً في اللغات السامية القديمة في الشام والحبشة، ولكن اللغة الأكادية طورت لنفسها نظاماً مخالفاً إلى حد ما،

ففيها نجد صيغا أكثر، وأغلب الظن أن نظام الأفعال في اللغات السامية المختلفة لا يعكس ظاهرة موروثية على نحو مباشر من اللغة السامية الأولى، فالاختلاف كبير بين نظام الفعل الأكادي ونظام الفعل في اللغات السامية الأخرى. وليس من الصحيح أن نتصور أن قدرة اللغة العربية على التعبير عن الزمن غير متنوعة لعدم تنوع صيغ الأفعال فيها، فالمضارع لا يعبر بالضرورة عن الحال أو الاستقبال، بل قد يعبر أيضا بالصيغ المركبة عن الحديث الذي استمر في الماضي: كان يكتب. وبالمثل فإن الماضي لا يعبر بالضرورة عن الزمن الماضي، فيمكن أن يستخدم الفعل الماضي في اللغة العربية للتعبير عن الحاضر أو المستقبل. فجملة الشرط يمكن أن تتكون بفعلين ماضيين دون أية دلالة عن الماضي: إن كتب كتبت. فالصيغتان الفعليتان الماضي والمضارع في العربية تعبران عن أشياء كثيرة، ويتحدد معنى الصيغة المستخدمة وفق بنية الجملة.

(146/1)

بناء الجملة:

أما من ناحية **بناء الجملة** فالاختلاف كبير بين اللغات السامية في عصورها القديمة واللغات السامية في العصور التالية، ويبدو أن اللغة السامية الأولى لم تكن ذات جمل طويلة، بل كانت تسودها ظاهرة التوازي **Parataxe** أي أن الجمل كانت قصيرة وترتبط الجملة بالأخرى عن طريق الواو، فهذه الجمل القصيرة تتوازي الواحدة بجانب الأخرى¹. ونجد في اللغة العبرية القديمة ظاهرة التوازي ونجدها أيضا في اللغة العربية في نصوصها القديمة إلى حد كبير. فالجمل قصيرة، والواو تربط بين جملة قصيرة وأخرى، ولكننا نلاحظ بمضي الوقت أن اللغات السامية أخذت تكون شيئا فشيئا جملا طويلة معقدة، فالجملة العربية تعقدت مع تطور الفكر ورفقه تعقيدا كبيرا، حتى إننا نجد صيغ الاستثناء والقصر في العربية على نحو لا نجده في اللغات السامية التي دونت قبل العربية. فكلما تقدم الزمن تعقدت الجملة ولم تعد على بساطتها الأولى، ظهر نمط جديد يطلق عليه التركيب **Hypotaxe**. ومن الممكن أن تلاحظ إلى اليوم سيادة ظاهرة التوازي في اللهجات العربية ولا سيما عند المتحدثين الذين لم يتأثروا بالفصحى كثيرا، ونلاحظ نفس الظاهرة في اللغة المهرية، فالجملة فيها قصيرة تتكون من بضع كلمات لا تزيد، وسرعان ما تنتهي الجملة وتبدأ أخرى، فالكلام العادي يتكون من وحدات صغيرة مترابطة الواحدة بجانب الأخرى. وهذا شأن اللغات التي لم تدخل بعد إلى مرحلة التعبير

عن الفكر المعقد المتنوع، فما أشبه بساطة الجملة المهرية بالجملة التي كتبت في النقوش العربية القديمة، وما أبعد هذه الجمل البسيطة عما نقرأه في النثر العربي الحديث. فالجملة تتعقد كلما دخلت إلى مجال التعبير عن الأفكار الكثيرة المتميزة والمتنوعة. وتتعقد أنماط الجملة وتنوعها على مستوى التأليف يعد سمة عامة، تقابلها سمة التوازي على مستوى اللغة المنطوقة، فعندما يكون الحديث باللغة الفصحى في أحد المواقف الكلامية التي يحدث فيها ذلك نلاحظ رغم هذا أن الجمل المنطوقة أقل تركيباً من الجمل المكتوبة، ففي اللغة الألمانية يمكن أن تكون الجملة

1 انظر ماير: R. Meyer, Hebräische Grammatik 1.s.22.

(147/1)

المكتوبة الواحدة من خمسة أسطر ولكن الجملة المنطوقة الفصيحة لا يمكن في الأحوال الكلامية العادية أن تبلغ نصف هذا الطول. ليست الجمل المكتوبة طويلة لمجرد أن وحداتها كثيرة متوازية، ولكنها طويلة لأن بها وحدات كثيرة متكاملة في نظام محكم يضمها جميعاً في إطار جملة واحدة مركبة، ولم تكن الجملة السامية الأولى تعرف مثل هذا التركيب، فأقدم النصوص السامية تسودها الجمل الصغيرة المتراسة. ما أشبه هذه الجمل الصغيرة المتوازية بالاستخدام اللغوي عند الطفل، فالطفل يستخدم أيضاً في حديثه العادي جملاً صغيرة كثيرة. وكلما ارتقى فكره تعقدت جملة شيئاً فشيئاً.

(148/1)

4- الألفاظ الأساسية:

وهناك ألفاظ أساسية تشترك فيها اللغات السامية، وليس المقصود بذلك أن هذه الألفاظ موجودة بنفس دلالتها في كل اللغات السامية، فكثيراً ما تتغير الدلالات، ولكن المقصود أن هذه الألفاظ ترجع إلى أصل اشتقاقي واحد في اللغة السامية الأولى 1. فكلمة "هلك" في اللغة العربية يقابلها في اللغة العربية الفعل "هالخ"، ومعنى هذا أن كلا الفعلين يرجع إلى المادة السامية المشتركة "ه ل ك" ولكن ثمة خلافاً بين معنى "هلك" في العربية و"هالخ" في العربية. إذ تدل "هلك" في العربية على الذهاب إلى العالم الآخر

ولكن الفعل العبري "هالخ" يدل على مطلق الذهاب ومنه الذهاب إلى المدرسة والذهاب إلى العمل..... إلخ فالمقارنات الاشتقاقية بين الألفاظ في اللغات السامية لا تعني بالضرورة أن معنى الكلمتين أو الكلمات موضع المقارنة هو نفس المعنى بل تعني أن الكلمتين أو الكلمات المقصودة من أصل اشتقاقي واحد. فكلمة "لحم" تدل في العربية على معنى يخالف كلمة "لحم" في العبرية، لأن الكلمة العبرية تدل على الخبز. وتعد الكلمتان من أصل واحد باعتبار الاشتقاق رغم اختلاف المعنى وإذا ما اختلف معنى الكلمتين المشتقتين من أصل واحد كان السؤال عن

1 انظر قائمة الألفاظ الأساسية المشتركة في اللغات السامية، وقد أعد هذه القائمة برجشتر أسر:

G. Bergsirasser, Einführung in die semitischen Sprachen, s. 182–192. München 1963

(148/1)

الدلالة الأقدم موضوع بحث، وهذا البحث ممكن بربط هذه الدلالات المتفرعة. فيمكن أن تكون كلمة "لحم" قد أدت في اللغة السامية الأولى معنى الطعام اليابس، أي غير السائل فيكون معنى هذه الكلمة في العبرية ضرباً من تخصيص الدلالة، ويكون المعنى الموجود للكلمة العربية المقابلة ضرباً آخر من تخصيص الدلالة. وهكذا ينطلق علم اللغة المقارن في مجال المفردات من الأصول الاشتقاقية ثم ينظر بعد ذلك في الدلالة ومدى اتفاقها وتغيرها.

وقد صنف كثير من الباحثين الألفاظ المشتركة في كل اللغات السامية. وتضم هذه الألفاظ المشتركة عدة كلمات تدخل في مجالات: الأسرة، وجسم الإنسان وتسمية الحيوان والنبات، والأعداد، وتضم أيضاً بعض الأفعال. تضم كل اللغات السامية عدة كلمات متشابهة في كل هذه اللغات، منها الألفاظ الدالة على العلاقات الأساسية القديمة في الأسرة. وهذه الألفاظ مثل: أب، أم، أخ، أخت، حم. وتوجد هذه الكلمات في اللغات السامية القديمة مما يدل على كونها مورثة من اللغة السامية الأولى، ويلاحظ مثلاً في هذه المجموعة المشتركة أن العم والخال لم يتخذا مكانهما ضمن الألفاظ المشتركة في اللغات السامية الخاصة بالأسرة. غير أن كلمة "عم" توجد في أكثر اللغات السامية

بدلالات أخرى، فكلمة "عم" في العبرية تعني الشعب، وقد وُصفَ الإله الكبير في اليمن القديم بأنه "عم" وكأن هذه الكلمة دلت في اللغة السامية على الأب الكبير، وتغيرت دلالاتها بعد ذلك في اللغات السامية. وهناك كلمات مشتركة في كل اللغات السامية تدل على أجزاء من جسم الإنسان، وليس من المتوقع أن نجد ألفاظا تعبر عن تفصيلات تشريحية كثيرة في جسم الإنسان، بل هي ألفاظ عامة، فالكلمات: عين، رجل، يد، شعر، أذن، رأس، مشتركة في كل اللغات السامية. أما أسماء الحيوانات في اللغات السامية فتشترك في كلمات معدودة منها مثلا: ليث وكنب، وعجل، وقد لوحظ أن كثيرا من اللغات السامية تتخذ للحيوان الذكر اسما وللحيوان الأنثى اسما آخر لا يمت للأول بصلة، ومثال ذلك في العربية: حمار وأتان، أسد ولبؤة. وهناك عدة أسماء

(149/1)

للنباتات تشترك فيها اللغات السامية منها: كمون، سنبله، قمح، ثوم، وتشترك اللغات السامية أيضا في الأعداد الأساسية. وتتفق اللغات السامية كلها اتفاقا شبه كامل في الأعداد من 2 إلى 10 ولكن الكلمة الخاصة بالعدد واحد تختلف في الأكادية والمهريّة عن باقي اللغات السامية¹. ويبدو أن اللغة السامية الأولى عرفت هذه الأعداد إلى العشرة، ثم عرفت كلمتين أخريين للمائة والألف.

إن المنهج المقارن يفترض أن الظواهر المشتركة في كل اللغات السامية، أو في أكثر اللغات السامية ظواهر موروثية عن اللغة السامية الأولى، يصدق هذا على الأصوات وعلى الأبنية الصرفية وعلى أبنية الجمل وعلى المفردات أيضا؛ فتلك الظواهر المشتركة ميراث سام قديم، أضافت إليه كل لغة من اللغات السامية على مر الزمن. وليس من المفيد أن يكثّر الجدل حول مهد هذه اللغة السامية الأولى التي سبقت اللغات السامية المختلفة في الوجود². وأغلب الظن أن أبناء اللغة السامية الأولى كانوا في بيئة تعرف قدرا من الزراعة وقدرا من الرعي، فهناك قدر كبير من الألفاظ الزراعية والرعية المشتركة في اللغات السامية، وإذا صح لنا أن نفترض أن الجماعة اللغوية السامية الأولى قد عاشت في شمال الجزيرة العربية وبادية الشام والعراق فإن الهجرات التي خرجت من مهد الساميين قد اتجهت في موجات تاريخية متتالية إلى منطقة الرافدين وإلى أرض الشام وإلى اليمن والحبشة، وفي هذه المناطق تكونت اللغات السامية المختلفة.

1 انظر حول هذا في الأكادية:

ungned==matous, grammatik des akkadischen,
munchen 1964, s.59

أما في المهرية فكلمة واحد يعبر عنها بكلمة "طاد" للمذكر "وطيط" للمؤنث

2 انظر حول مهد الساميين والآراء الكثيرة التي قيلت في ذلك

.C. Brockelmann, grundriss, 1/ 2

.H.Fleische, introduction, pp. 22-32

وتتلخص هذه الآراء في افتراض أن الساميين عاشوا في اليمن أو في شمال جزيرة العرب
أو في العراق أو في الحبشة.

(150/1)

الفصل العاشر: التوزيع الجغرافي والتاريخي للغات السامية

1- الفرع الأكادي

يضم الفرع الأكادي من اللغات السامية¹ كل اللغات واللهجات التي نشأت عن اللغة السامية الأولى التي دخلت أرض العراق مع الوافدين إليها حوالي سنة 2500 ق. م. وقد سميت هذه اللغات واللهجات باسم شامل لها يميزها عن سواها، وتنسب الأكادية إلى "أكد" وهي أول مدينة سكنها الساميون الوافدون في شمال بابل، وقد أطلق هؤلاء اسم الأكادية على لغتهم تمييزاً لها عن اللغة السائدة في جنوب أرض الرافدين آنذاك، وهي اللغة السومرية² لقد وجد الساميون المهاجرون إلى أرض العراق شعباً ذا حضارة زراعية سبقهم إلى الإقامة في هذه المنطقة، وهو الشعب السومري،

1 انظر المراجع المذكورة في هامش 1 من هذا الباب

انظر:

Von Soden, Grundriss der akkadischen
Grammatik, Analecta Orientalia 33/ 47, Roma 1969,
s.2

(151/1)

وقد أظهرت الكشوف الحديثة عددا كبيرا من النقوش السومرية واتضحت ملامح اللغة السومرية¹ وملامح الحضارة التي سجلها السومريون بلغتهم ولكن انتماء اللغة السومرية لا يزال مشكلة لم تحل، السومرية من أقدم اللغات التي دونت، وربما تكون أقدم لغة دونت في العالم، ولم تكن الكتابة في التاريخ القديم أمرا شائعا، بل ولا تزال آلاف اللغات في عالمنا المعاصر منطوقة لا يكتبها أهلها، ولذا لا يستطيع البحث المقارن التعرف على القرابة اللغوية للسومرية، وربما كانت السومرية منتمية إلى أسرة لغوية بادت كل لغاتها ولم يكتبها أهلها. لقد التقى الساميون المهاجرون إلى أرض العراق بالسومريين، كان السومريون أكثر حضارة، وكان الأكاديون فيما يبدو لا يقلون عن السومريين عددا. ولذا لم تستطع الأكادية أول الأمر أن تقضي على السومرية ولم تستطع السومرية أن تقضي على الأكادية فساد ازدواج لغوي مستمر أكثر من ستة قرون "2500-1900 ق. م". وفي هذه الفترة اختلط الساميون البسطاء بالسومريين الأكثر حضارة واندمج السومريون شيئا فشيئا مع الساميين الأكاديين لم يحدث هذا عند دخول الساميين أرض العراق وإنما حدث بعد ذلك وزاد بمضي الوقت وأدى في النهاية إلى سيادة اللغة الأكادية في كل مناطق العراق وانتهاء استخدام اللغة السومرية. فهناك عدد كبير من النقوش السومرية والنقوش الأكادية وصلت إلينا من هذه الفترة التي ساد فيها الازدواج اللغوي، ويطلق على اللغة الأكادية في هذه الفترة اسم الأكادية القديمة تمييزا لها عن المراحل اللغوية التي جاءت بعد ذلك، وهي البابلية القديمة والوسيطلة الجديدة والحديثة والمتأخرة، والآشورية القديمة والوسيطلة والجديدة².

1 حول السومريين وحضارتهم انظر:

H. schmoker, somer et la civilisation sumerienne,
.paris 1964, p. 192. biblio theque historique
s.n. kramer, the sumerians, chicago 1970

2 انظر:

.von soden, grundriss, s.2-4

كانت فترة الازدواج اللغوي بين السومرية والأكدية القديمة فترة مهمة تركت آثارها في حياة الأكاديين. لقد تعلم الأكاديون الكتابة عن السومريين. ولم يكن الأكاديون يعرفون قبل ذلك أن لغتهم المنطوقة يمكن أن تدون وتتحول إلى ظاهرة مرئية، لقد كتب السومريون لغتهم بالخط المسماري، ويطلق على هذا الخط اسم الخط المسماري لأنه يشبه المسمير، أي أن وصفه بهذه الكلمة لا يدل على طبيعته، بل يشير إلى شكله الخارجي فقط، وقد كتبت شعوب كثيرة بعد السومريين والأكاديين بالخط المسماري، ومن أشهر اللغات القديمة التي كتبت بالخط المسماري اللغة الحيثية وهي لغة هندية - أوربية. فالخط المسماري إذن وسيلة من وسائل التدوين ابتكرها السومريون وقلدهم غيرهم، فكتبوا بها لغاتهم المتباينة المختلفة، فالسومرية لا تربطها علاقة قرابة بالأكدية

(153/1)

ولا علاقة بين هذه أو تلك باللغة الحيثية، فهذه لغات مختلفة الانتماء تكتب بخط واحد.

تقوم الكتابة المسمارية -عموما- على أساس صوتي، فالكلمة تقسم إلى مقاطع ولكل مقطع رمز يكتب به¹ وبذلك يختلف أساس الخط المسماري عن الأساس الذي يقوم عليه الخط الهيروغليفي الذي كتبت به في نفس الفترة الزمنية اللغة المصرية القديمة، فالخط الهيروغليفي لا يقوم -في أساسه- على تدوين الصوت المنطوق بل على أساس الكتابة بالصور. ومن هذا الجانب يوضح الخط المسماري كما دونت به اللغة الأكادية جوانب كثيرة من طبيعة اللغة الأكادية. وهو من هذا الجانب أكثر تعبيرا عن واقع اللغة من خطوط كثيرة لم تكن تدون الحركات بأية صورة مثل الخط العربي الجنوبي القديم ويمكن إيضاح هذا الأمر ببيان قضية النهايات الإعرابية وقضية أصوات الحلق² في ضوء النقوش الأكادية التي تدون المقاطع بالرموز المسمارية.

إعراب الاسم في الأكادية

كلمة: "كلب"

1 حول نظام الكتابة الأكادية: von sodem das akkadische syllabar. roma 1948

2 انظر الفصول الخاصة بإعراب الاسم والأصوات في كتاب فون زودن. هامش 22.

فالاسم الأكادي يظهر في النقوش المختلفة على ثلاثة أشكال، تتحدد بوظيفة الاسم في الجملة، ويطابق أحد هذه الأشكال حالة الرفع في العربية ويطابق الشكل الثاني حالة النصب في العربية، والشكل الثالث حالة الجر، فقد عرفت الأكادية إعراب الاسم على نحو ما عرفتة العربية، أي بالرفع والنصب والجر، أما الميم التي تنتهي بها الصيغ المذكورة في الأكادية القديمة "انظر الجدول" فتقابل نون التنوين في العربية، أي أن التيميم في الأكادية يقابل التنوين في العربية.

وإذا كان وجود أصوات الحلق يعد من السمات المميزة للغات السامية عموماً فأغلب الظن أن اللغة السامية الأولى عرفت مجموعة أصوات الحلق بالتنوع الموجود في العربية. أما اللغة السامية فقد عرفت صوتين حلقين، هما الهمزة والحاء، ولذا لم تكن هناك مشكلة تجاه هذين الصوتين. فقد كان السومريون الأكاديون ينطقون الصوتين، ولكن الأكاديين قلدوا السومريين في عدم نطقهم لصوتي العين والحاء، ولا يمكننا تصور هذا التأثير إلا إذا لاحظنا الازدواج اللغوي الذي ساد عدة قرون، فكان كثير من السومريين يعرفون الأكادية وينطقونها، وربما كان بعض الأكاديين يعرفون السومرية، ومعنى هذا أن نطق اللغة الأكادية تأثر بكيفية نطق السومريين لها، وبذلك اختفت العين والحاء من الأكادية، بينما ظلت الهمزة والحاء موجودتين. اختفاء العين والحاء والهاء في الأكادية

ومثل هذا التغير الصوتي يفسر في إطار الأساس اللغوي، والمقصود تأثير اللغة الأقدم في اللغة اللاحقة¹ وقد كان للغة السومرية تأثيرات كثيرة في اللغة الأكادية. لقد انتقلت عدة كلمات من السومرية إلى الأكادية. وانتقل بعضها من الأكادية إلى العربية والعبرية بعد ذلك، وأشهر هذه الكلمات كلمة "هيكال" وأصل هذه الكلمة في السومرية ekallum دون هاء يعني البيت الكبير ثم دخلت منها الأكادية بمعنى البيت الكبير أو القصر أو المعبد ثم انتقلت بالمعنى الأخير إلى العربية مع إضافة الهاء إلى الآرامية والعربية أي أن الصيغة العربية لهذه الكلمة تبدأ بالهاء التي أضيفت إليها في اللغة العربية.

وامتد التأثير السومري أيضا إلى بناء الجملة الأكادية فقد كان الفعل السومري يتخذ مكانه في آخر الجملة، بينما يكون الفعل في الجملة السامية في أول الجملة لتكوين الجملة الفعلية أو في وسط الجملة في بعض أنواع الجملة الاسمية، ولكن النصوص النثرية الأكادية تأثرت باللغة السومرية فتحرك الفعل إلى آخر الجملة الأكادية، وكان العشر الأكادي محافظا فاحتفظ بالنمط السامي لبناء الجملة، وبذلك ظل الفعل في مكانه في أول أو وسط الجملة الأكادية.

واللغة الأكادية من أهم اللغات السامية لغويا وحضاريا فالأكادية أقدم لغة سامية دونت، ولذا يعد وجود أية ظاهرة لغوية في الأكادية والعربية دليلا على كون الظاهرة موروثا عن اللغة السامية الأولى، وبذلك نستطيع التأريخ لأقدم الظواهر في العربية عن طريق المقارنة بالأكادية.

عاشت الأكادية أكثر من خمسة وعشرين قرنا، وبعد انهيار الاستقلال السياسي للمنطقة اللغوية الأكادية ودخول العراق في الإمبراطورية الفارسية ظلت

1 يطلق على هذا النوع من التأثير **Substrat sub** -، معناها تحت -strata ومعناها طبقة والمقصود بهذا تأثير اللغة الأقدم مثل السومرية في اللغة التي جاءت بعدها في نفس المنطقة وهي الأكادية، وهذا مثل تأثير الآرامية في اللهجات العربية في الشام والعراق وتأثير القبطية في عربية مصر وتأثير الكلتية في اللاتينية الشعبية في فرنسا ... إلخ.

(156/1)

اللغة الأكادية تستخدم في بعض النقوش. لقد ظلت الأكادية لغة الحياة والدولة حتى القرن السابع قبل الميلاد، وبسقوط الدولة الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد بدأ احتضار اللغة الأكادية فقد كانت الآرامية تواصل انتشارها كلغة حديث ولغة تعامل، ولكن التغير اللغوي حدث ببطء شديد، فظل الازدواج اللغوي قائما عدة قرون انتهت بأن تركت الأكادية الحياة مخلفة وراءها تراثا أدبيا مثل ملحمة جلجامش¹ وتراثا قانونيا مثل شريعة حمورابي² وعددا كبيرا من النقوش ذات المضمون السياسي والاجتماعي.

1 حول ملحمة جلجامش انظر ترجمة النص كما أعدها schott ونقحها von

soden وطبعت بعنوان:

.das gilgamesch-epos. stuttgart 1970

the Gilgamesh epic and old testament parallels

.chicago and london 6th. impr, 1967

2 حول تاريخ حمورابي انظر:

R.F. Garper, the code of hammurabi chicago 1904

(157/1)

الفرع الكنعاني

مدخل

...

2- الفرع الكنعاني:

يضم الفرع الكنعاني من اللغات السامية عدة لغات كانت في منطقة الشام¹ وأهم هذه اللغات واللهجات الكنعانية: الأجرينية والعبرية والفينيقية واليونانية والمؤابية، وقد امتدت بعض هذه اللغات إلى مناطق أخرى خارج أرضها الأولى، ويمكن تقسيم اللغات واللهجات الكنعانية من الناحية الجغرافية إلى الكنعانية الشمالية وتمثلها الأجرينية، والكنعانية المتوسطة وتمثلها الفينيقية، والكنعانية الجنوبية وتمثلها العبرية والمؤابية

1 حول تاريخ الكنعانية ولهجاتها والعلاقات اللغوية بينها، انظر:

.R.Meyer, hebraische grammatik, I, s. 22-27

Z.S Harris, development of the canaanite dialects,

.new haven 1939

."american oriental series 16 ="

(157/1)

الأجرينية:

تعد الأجرينية اللغة الوحيدة التي نعرفها من لغات الفرع الكنعاني الشمالي وأغلب الظن

أن الأجرينية لم تكن وحدها في منطقة شمال الشام. فهناك لغات أخرى مثل العمورية بادت منذ زمن بعيد ولم تدون في نقوش، ولذا فليس لها صورة واضحة بين اللغات القديمة¹. وتنسب اللغة الأجرينية إلى اسم مدينة عتيقة هي مدينة أجريت، وقد جاء اسم هذه المدينة الساحلية في مراسلات وجدت بالعراق ومصر من القرنين الثامن عشر والرابع عشر قبل الميلاد، واللغة الأجرينية هي آخر لغة سامية اكتشفت، وهي اللغة السامية الوحيدة التي اكتشفت في القرن العشرين، وقد بدأت الكشف بالقرب من مدينة رأس شمراء على الساحل السوري 1929، فكتشفت عن مجموعة كبيرة من النقوش الأجرينية، ولم تكن اللغة الأجرينية معروفة قبل هذا التاريخ، ولذا تخلو كتب اللغات وكتب النحو المقارن في اللغات السامية المؤلفات قبل هذا التاريخ من أية إشارة إلى اللغة الأجرينية².

لقد كشفت هذه الحفريات عن عدد كبير من النقوش المدونة على ألواح طينية مكتوبة بخط مسماري، أي أن هذا الخط يشبه من ناحية الشكل ذلك الخط الذي كتبت به من قبل اللغات السومرية والأكدية والحيثية ولكن عدد الرموز

1 هناك أيضا بضع أسماء من لغة أو لهجة كنعانية شمالية وصلت إلينا من عهد حمورابي "1728-1636 ق.م" وكذلك من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إن هذه الأسماء يتضح منها انتمائها إلى لغة كنعانية شمالية:

2 حول الأجرينية انظر:

C.H. gordon, ugaritic manual

والطبعة الأجرينية، انظر:

.analecta orientalia 35, roma 1955

والطبعة الموسعة المعدلة بعنوان:

C.H. gordon, ugaritic textbook. 3 vols grammar; glossary and indices text in transliteration. analecta orientalia 38 reprinted :roma 1965-67

J. Aistleitner, wörterbuch der ugaritischen sprache, berlin 1963 وأهم المعاجم

التي تتكرر في هذه النقوش الأجرينية الكثيرة يقل كثيرا عن عدد الرموز المستخدمة في الخط المسماري الأكادي، ويرجع هذا إلى سبب يتعلق بطبيعة الكتابة الأكادية واختلافها عن الكتابة الأجرينية. لقد كتب الأكاديون برموز مسمارية يدل كل منها بصفة عامة على مقطع، ولذا كانت هناك حاجة إلى استخدام مئات الرموز. ولكن الأجرينيون كتبوا برموز قليلة لا يتجاوز عددها الثلاثين. ومعنى هذا أن الأجرينيون بسطوا نظام الكتابة فلم تعد هناك حاجة لتعلم مئات الرموز، بل بسط الأجرينيون الرموز المكتوبة إلى عدد قليل. لقد عبر الأجرينيون عن كل صوت من أصوات اللغة بحرف واحد، ولذا كانت الحروف بعدد الوحدات الصوتية الموجودة في لغتهم، غير أنهم جعلوا للهمزة المفتوحة ثم للهمزة المضمومة ثم للهمزة المسكورة رموزا مختلفة، وهذا القصور في تدوين الهمزة أصبح ميراثا تناقلته كل الكتابات السامية الأبجدية بعد ذلك. وبذلك كان الأجرينيون أول من دون أية لغة من اللغات تدوينا صوتيا يقوم على أساس استخدام الحرف الواحد -دائما- للوحدة الصوتية الواحدة، وكانت الكتابة قبلهم إما صورية مثل الكتابة الهيروغليفية، أو مقطعية مثل الكتابة السومرية والأكادية، ولم تكن الكتابة الهيروغليفية صورية مائة في المائة كما لم تسلم الكتابة الأكادية من تأثيرات الكتابة السومرية؛ بمعنى أن يؤخذ الرمز الدال على الكلمة السومرية ويستخدم بمعناه في النقوش الأكادية. وابتكار الأجرينيون للأبجدية وهي نظام سهل يقوم على أساس صوتي منتظم مكن الإنسانية أن تمضي في ركب الحضارة وأن تصبح المعرفة شيئا متاحا لعدد كبير من البشر، بعد أن كانت في الحضارات الأقدم وقفا على نخبة من كبار رجال الدولة. ولكن الكتابة الأجرينية تعد من جانب بعينه مختلفة عن الكتابة الأكادية، وقد امتد هذا القصور إلى الكتابات السامية الأبجدية عدة قرون بعد ذلك، كان الأكاديون يدونون الحركات، فالرمز المقطعي كان يدل على الصامت مع الحركة، وبذلك اختلف الرمز الخاص بالباء المفتوحة عن الرمز الخاص بالباء المسكورة عن الرمز الخاص بالباء المضمومة. ولذا يمكن التعرف على البنية

(159/1)

الصوتية للحركات الأكادية على نحو أفضل من معرفتنا بالحركات الأجرينية، فالأجرينيون لم يدونوا الحركات على الإطلاق، وتقوم كتابتهم على تدوين الصوامت فقط. وقد ظلت الكتابات السامية تدون الصوامت فقط على نحو ما فعل الأجرينيون

ولا تدون الحركات عدة قرون بعد الميلاد.

لقد اتبع الأبريتيون لأول مرة في التاريخ النظام الأبجدي في تدوين اللغة وترجع كلمة الأبجدية إلى ترتيبهم للحروف التي كتبوا بها لغتهم¹ فالحروف انتظمت عندهم وفق الترتيب التالي: أ ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت. وهذا الترتيب الأبجدي هو الأبجدية لأنه يبدأ بالألف والباء والجيم والداال. وقد ظل الترتيب الأبجدي للحروف سائدا عند كل الشعوب التي تعلمت الخط من الأبريتيين بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأكثر النظم المعروفة في ترتيب الحروف ترجع بشكل مباشر إلى الترتيب الأبجدي الأبريتي أخذته كما هو أو عدلت فيه قليلا، فترتيب الحروف على النحو الأبجدي هو ترتيبها في العبرية وفي كل اللهجات الآرامية إلى اليوم.

النقوش الأبريتية تلي الأكادية من الناحية الزمنية، فالأكادية أول لغة سامية دونت، وكان هذا حوالي سنة 2500 ق. م ثم دونت بعد ذلك اللغة الأبريتية حوالي 1400 ق. م ولذا تحمل اللغة الأبريتية سمات قديمة كثيرة، بل إنها تختلف -من هذا الجانب عن باقي لغات الفرع الكنعاني، وتقترب بذلك من العربية، فالعربية احتفظت بصفة عامة بالأصوات السامية الأولى، نجد في العربية مثالا تميزا واضحا بين الحاء والخاء، وهذه هي الحال أيضا في الأبريتية، أما في العربية والفينيقية فقد تحولت كل حاء وكل خاء إلى صوت واحد هو الحاء، وهناك تمييز بين العين والغين في العربية وكانت الأبريتية تميز بينهما أيضا، ولكن العربية جعلت منهما صوتا واحدا هو العين. ويوضح تمييز الأبريتية بين أصوات اختلطت بعد ذلك في العربية والفينيقية

1 انظر ما كتبه ماير: R. Mayer Hebrauache, Grammatik, 1, s. 37-39

(160/1)

أنها -من هذا الجانب- أقرب إلى اللغة السامية الأولى، ولذا تعد دراسة الأبريتية أداة مهمة لدراسة عبرية العهد القديم والفينيقية كما جاءتنا في النقوش. ويعتمد الباحثون المعاصرون على الأبريتية لبيان المرحلة السابقة على العربية والفينيقية، فالأبريتية أقدم لغة وصلت إلينا من المجموعة الكنعانية.

(161/1)

الفينيقية:

الفينيقية هي إحدى لغات المجموعة الكنعانية¹ وقد وصلت إلينا الفينيقية في مجموعة من النقوش، فلا تعرف الفينيقية إلا من هذه النقوش. وأقدم ما وصل إلينا من اللغة الفينيقية بضع جمل وجدت في مجموعة رسائل تل العمارنة بصعيد مصر. وتمثل هذه العبارات الموحزة لهجة منطقة جبيل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ولكن أكثر النقوش الفينيقية ترجع إلى الفترة بين سنة 1000 ق. م وسنة 100 م. كانت الفينيقية لغة الساحل الفلسطيني والسوري واللبناني، وفي هذه المنطقة وجدت مجموعة كبيرة من النقوش. وقد وجدت نقوش فينيقية كثيرة خارج منطقة الشام، فقد كان الفينيقيون مهتمين بالتجارة البحرية فكانت لهم محطات تجارية وجالياتهم في مناطق مختلفة من جزر البحر المتوسط، ولذا هناك نقوش فينيقية كثيرة من قبرص. وقد انتشرت المحطات التجارية الفينيقية في كل أنحاء

1 حول الفينيقية

J. friedrich, w. rolling, phonizisch-punische
.grammatik. roma 19701
z.s. harris, a grammar of the phoenician language.
.new haven 1936
V. den branden, grammaire phenicienne. beyruth
.1969
ولا يوجد معجم مستقل للفينيقية بل يوجد معجم للنقوش السامية الغربية يفيد بصورة
مباشرة في فهم النقوش الفينيقية وهو معجم:
ch-f. jean-j. hoftijer, dictionaire des inscriptions
.semitiques d'ouest. leiden 1965

(161/1)

حوض البحر المتوسط، فهناك نقوش فينيقية وجدت في المنطقة الساحلية لآسيا الصغرى
وعلى الساحل الأوربي للبحر المتوسط وخصوصا في جنوب إسبانيا¹.

ويطلق على اللغة الفينيقية في امتدادها في المغرب اسم اللغة البونية، وتقع المنطقة اللغوية البونية على الساحل التونسي، وأهم المدن التي أسسها الفينيقيون هناك مدينة "قرت حدشت" أي "القرية الحديثة" بمعنى المدينة الحديثة² ويقسم تاريخ اللغة الفينيقية في هذه المنطقة الإفريقية إلى مرحلتين: البونية والبونوية الحديثة. تبدأ اللغة البونية بانتشار الفينيقيين في منطقة الساحل التونسي حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وتنتهي بسقوط الكيان السياسي للدولة البونية سنة 146. فقد قضى الرومان الذين نازعوا الفينيقيين السيادة البحرية ودخلوا معهم في حروب متصلة على مدينة قرطاجنة واحتلوا المنطقة اللغوية البونية، وبعد سقوط قرطاجنة تبدأ الفترة الثانية في حياة اللغة البونية. لقد خضع البونيون للرومان، وكان الرومان في مركز السيادة ولذا تأثرت اللغة البونية الجديدة باللغة اللاتينية من أكثر من جانب. لقد دخلت ألفاظ لاتينية كثيرة إلى اللغة

1 انظر حول توزيع النقوش الفينيقية وغيرها جغرافيا وتاريخيا كتاب:

H.Donner, w. rolling, kanaanaische und aramaische
.inschriften. wiesbaden 1966

ويضم هذا الكتاب الممتاز ثلاثة مجلدات، أولها للنصوص والثاني للتعليق والثالث معجم لغوي وفهارس، وبهذا تصبح هذه المجلدات أفضل أداة لدراسة النقوش الفينيقية وغيرها من النقوش التي تناولها الكتاب.

2 تدل كلمة "قرت" هنا على المعنى القديم للكلمة كما جاء في القرآن الكريم؛ فالقرية تعني ما نعبّر عنه اليوم بكلمة مدينة، انظر المواضع التي وردت فيها الكلمة في القرآن الكريم.

وأشار القرآن الكريم إلى "رجل من القريتين" تدل على أن القريتين وهما مكة والطائف لم تكونا قريتين بالمعنى الحديث بل هما مدينتان، وهناك مدن كثيرة يوازي اسمها اشتقاقيا مدينة "قرت حدشت" فمدينة "نابولي" تكون اسمها من الكلمتين Neo+ polis وتعني كلمة جديد أو حديث، وكلمة Polis تعني المدينة. أما تسمية "قرت حدشت" باسم قرتاج أو قرطاجنة..... إلخ، فيعكس عدم نطق صوت الحاء وهو صوت حلق كان النطق قد ضعف به في البونية الحديثة.

البونية في هذه الفترة، ويبدو أن الازدواج اللغوي الحادث مع إقامة عدد من أبناء اللغة اللاتينية إلى جوار المتحدثين بالبنونية قد أدى إلى ضعف النطق بأصوات الحلق في اللغة البونية الجديدة. وقد أمكن التعرف على هذه الظاهرة من النقوش البونية الجديدة. فكتابها يخلطون في التدوين بين الكلمات التي ينبغي أن تكتب بحرف العين والكلمات التي يجب أن تكتب بالهمزة، كما يخلطون بين الكلمات التي ينبغي أن تكتب بالحاء والكلمات التي ينبغي أن تكتب بالهاء، ويرجع هذا الخطأ في الكتابة إلى أنهم في النطق لم يكونوا يميزون بين العين والهمزة وبين الحاء والهاء، وفي عدد من النقوش البونية الجديدة تلاحظ مزيداً من الخلط بين الهاء والألف، وفي مرحلة متأخرة من تاريخ البونية الحديثة نجد الحروف التي كانت تستخدم قديماً للتعبير عن أصوات الحلق تصبح وسيلة لكتابة الحركات القصيرة، ولا بد أن هذا حدث في فترة لم يعد أحد يحس فيها بأن هذه الحروف تعبر عن أصوات تنطق فعلاً، فوجدوها بلا وظيفة فأفادوا منها لتدوين الحركات. ونلاحظ في هذه المحاولة التأثير المباشر لليونان واللاتين فقد قلدهم البونيون الخاضعون للرومان في كتابة الحركات داخل الكلمة على نحو ما فعل اليونان والرومان. كان اليونان قد تعلموا في أثناء احتكاكهم بالفينيقيين حوالي القرن التاسع قبل الميلاد الكتابة الأبجدية. والكتابة الأبجدية الفينيقية امتداد مباشر للأبجدية الأجرية. كان الأجرية قد بسطوا نظام الكتابة وجعلوها أبجدية. احتفظ الفينيقيون بفكرة النظام الأبجدي، غير أنهم عدلوا أشكال الحروف لتصبح سهلة في الكتابة. واحتفظ الفينيقيون في نفس الوقت بترتيب الحروف كما رتبها الأجرية. وعندما تعلم اليونان الكتابة من الفينيقيين بدأت أوروبا حضارتها الراقية القديمة؛ ففي القرن التاسع قبل الميلاد كان عمر الحضارة في الشرق بضع آلاف من السنين وكان تاريخ الكتابة قد مر بمراحل متتابعة، ثم أخذ اليونان عن الفينيقيين فكرة التدوين الصوتي بالحروف، أي أنهم أخذوا الأبجدية. واحتفظوا أيضاً بترتيب الحروف كما عرفه الفينيقيون، ولكن اليونان وجدوا مجموعة

(163/1)

حروف عبرت عند الفينيقيين عن أصوات الحلق وأصبحت بالنسبة لليونان دون فائدة، وهنا أدخل اليونان تجديدًا منهجياً على الخط بأن استخدموا مجموعة الحروف المذكورة للدلالة على الحركات في سياق الكلمة، ويعد هذا التجديد مرحلة مهمة من تاريخ الخط بصفة عامة، وقد حدث في الكتابة اليونانية تعديل آخر جعلها تختلف عن الكتابة

الفينيقية، فقد جعل اليونان اتجاه الكتابة من اليسار إلى اليمين، بعد أن كانت بخلاف ذلك عند الفينقيين، وهذان التعديلان -تدوين الحركات وتعديل اتجاه الكتابة- ظلا سمتين أساسيتين في كل الخطوط المأخوذة عن الخط اليوناني، وأهمها الخط الكريللي الذي انتشر مع انتشار المسيحية الأرثوذكسية في شرق أوروبا، والخط الروماني الذي انتشر مع الكاثوليكية في غرب أوروبا. وبذلك كان للأجريتيين ثم للفينقيين دور كبير في تبسيط نظام الكتابة، وهو ما أتاح تحول المعرفة الإنسانية إلى ظاهرة ذات بعد اجتماعي عريض.

(164/1)

اللهجات الكنعانية الجنوبية:

أقدم ما وصل إلينا بالكنعانية الجنوبية مجموعة هوامش مدونة على رسائل أكادية أرسلها بعض أمراء فلسطين إلى حكام مصر، وترجع هذه النصوص إلى عهد أمنحتب الثالث 1377-1413 ق. م وأمنحتب الرابع "إخناتون" 1377-1358 ق. م، وتعد لغة هذه الهوامش صورة قديمة من **اللهجات الكنعانية الجنوبية 1**. وهناك نقش يعرف باسم الملك ميشع، ويعبر عن لهجة خاصة به تختلف في بعض الخصائص عن الفينيقية، كما تختلف في خصائص أخرى عن العبرية 2

.meyer, hebraische grammatik I 1

2 انظر حول نقش الملك ميشع كتاب: h. donner w. rollling, kanaanaische und aramaische inschriften. wiesbaden, 1946, 1/ 33

(164/1)

إن هذا النقش الذي يقع في 34 سطرًا يؤرخ بمنتصف القرن التاسع قبل الميلاد. وهو الأثر الوحيد الباقي من تلك اللهجة الكنعانية الجنوبية: المؤابية. ولكن أهم اللهجات الكنعانية الجنوبية هي العبرية، وترجع أهميتها إلى أنها دونت في أسفار العهد القديم، ومرت بازدهار في الأندلس الإسلامية، وعادت للحياة مرة أخرى في العصر الحديث.

العبرية:

تبدأ اللغة العبرية تاريخها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد عندما دخلت قبيلة إسرائيل أرض فلسطين. وقد تعلم أبناء القبلية الوافدة لهجة المنطقة التي حلوا فيها من فلسطين، وهي إحدى اللهجات الكنعانية الجنوبية، ويكاد العهد القديم يكون المصدر الوحيد للتعرف على تاريخ العبرية مدة ألف عام، تبدأ بدخول قبيلة إسرائيل لأرض فلسطين وتمضي إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وقد أوضحت الكشوف الأثرية في القرن العشرين عددا من النقوش العبرية القديمة، وهو عدد قليل لا يقارن على الإطلاق بعدد النقوش الفينيقية فضلا عن الأجرينية أو الأكادية. وفي السنوات الأخيرة ظهرت مجموعة نصوص دينية وأدبية مكتوبة على البردي وعلى الجلد سميت باسم لفائف البحر الميت Dead Sea Scrolls وترجع هذه الكتابات إلى الفترة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي. وتحاول السلطات الحاكمة في إسرائيل تدعيم ارتباطها بالأرض بالاهتمام بالكشوف الأثرية ولكن هذه الكشوف لا تكاد تظهر إلا القليل، وفي سنة 1960 وجدت مجموعة رسائل عبرية أرخها أحد المؤلفين بالقرن الثاني للميلاد 1. اللغة العبرية القديمة هي لغة العهد القديم، وهو الكتاب المقدس عند اليهود،

.Meyer, I 1

وأحد الكتابين المقدسين عند المسيحيين¹ يطلق عليه اليهود "تنخ" اختصارا للعناوين العبرية لأقسامه الثلاثة: التوراة والأنبياء والمكتوبات. ويطلق عليه المسيحيون اسم العهد القديم The Old Testament باعتبار أن الأناجيل هي العهد الجديد The New Testament ويكون الكتاب المقدس عند المسيحيين The Bible. أما التسمية الشائعة في العربية "التوراة" فتعكس ضربا من إطلاق اسم الجزء على الكل، فالتوراة هي الثلث الأول من العهد القديم. ولذلك يمكن اعتبار كلمة "التوراة" تسمية لهذا القسم وحده، أو للعهد القديم كله. وليس العهد القديم كله باللغة العبرية، ففيه عدة صفحات بالآرامية وهي سفر عزرا 4/ 8-6 و18، 7/ 12-26

صفر دنيال 2/ 4-7، 28 وسفر إرميا 10/ 11، وهناك كلمتان آراميتان في سفر التكوين 31، 47 ويطلق على العبرية كما نعرفها في العهد القديم اسم العبرية القديمة أو العبرية الكلاسيكية².

1 انظر: حول العهد القديم introduction to the old testament.

.g.fohrer, das alte testament. gutersloh 1969-70

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليز بعنوان: introduction to the old testament.

وهناك كتب كثيرة بنفس العنوان لمؤلفين متعددين منهم: R.k. Harrison, .pfeiffer

انظر كذلك: .d.kaiser, einleitung in das alte testament .gutersloh 1969

2 أهم أدوات البحث في اللغة العبرية القديمة:

w. gesenius, hebraisches und aramaisches lexikon .zum alten testament. leiden, 1967

وقد اهتم المعجمان المذكوران ببيان المقابلات السامية لعدد من الكلمات.

H.Baurer und p. leander, historische grammatik der .hebraischen sprache I. halle 1922

وقد طبع الكتاب مرة ثانية سنة 1965 ضمن سلسلة olms paperbacks
w. gesenius-E. kautzsch, hebraische grammatik. .leipzig 1910

وقد ترجم إلى الإنجليزية، وطبع بالألمانية عدة طبعات أهمها بعناية برجشتراسر bergstrasser في ليبزج 1918.

(166/1)

تمييزا لها عن المراحل التالية في تاريخ العبرية. ومن المعروف أن العبرية المستخدمة في العصر الحديث هي العبرية الحديثة، ولكن هناك خلافا بين الباحثين في تصنيف المراحل التي مرت بها اللغة العبرية بعد العهد القديم وقبل العصر الحديث، ويجعلها البعض فترة

واحدة باسم العبرية الوسيطة، ويقسم بعض الباحثين هذه الفترة إلى مراحل مختلفة. لم تكن اللغة العبرية حية تستخدم في التعامل اليومي في كل هذه الفترة الطويلة، بل كانت لغة التعامل اليومي حتى سقوط سامريا سنة 721 ق. م ثم سقوط القدس سنة 587 ق. م أي أن الحياة الحقيقية للغة العبرية بدأت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ثم أخذت العبرية في الانكماش في القرن السادس قبل الميلاد، وكانت اللغة الآرامية قد أخذت تسود منطقة الشام شيئا فشيئا قبل هذا التاريخ، وما نكاد نصل إلى القرن السادس قبل الميلاد حتى نجد اليهود يتعاملون باللغة الآرامية في حياتهم اليومية. وأوضح مثال لذلك أن المرتزقة اليهود الذين تركوا فلسطين في القرن السادس قبل الميلاد تقريبا كانوا يتعاملون مع سلطات القدس، كما تثبت كتاباتهم البردية باللغة الآرامية، ولم يكن تعاملهم باللغة العبرية¹. وعلى الرغم من أن اللغة العبرية قد انكمشت بعد القرن السادس قبل الميلاد كلغة تعامل فقد ظلت لغة الدين اليهودي. اهتم بها رجال الدين، وكتبت بها بعض الكتب الدينية اليهودية وظل بعض اليهود يهتمون بتعلمها وبقراءة كتبها الدينية.

لم يدون العهد القديم في شكله الحالي في فترة حياة اللغة العبرية، ولكنه دون

1 انظر بروكلمان في بحثه عن الآرامية:

aramaisch, einschliesslich des syrischen, in:
Semitistik , "ed. Spuler" handbuch der orientalisitik
s. 138–139

(167/1)

على مراحل متعاقبة فمن المؤكد أنه لم يجمع وترتب أسفاره قبل القرن الثاني الميلادي. تم ذلك على يد عدد من علماء الدين اليهود العارفين بالعبرية المتحدثين في حياتهم اليومية باللغة الآرامية. لقد دون العهد القديم - أول الأمر - بالخط العبري غير المضبوط بالشكل، أي أن النص المدون كان نصا يدون الصوامت ولا يدون الحركات القصيرة، في هذه الفترة كان العهد القديم يتلى بعد أن يحفظ، فلم تكن كتابته كاملة بل كان النص المكتوب يذكر القارئ بالنطق وترجع إضافة الحركات إلى النص العبري إلى مرحلة تالية امتدت من القرن الخامس الميلادي حتى القرن التاسع الميلادي. وكانت هناك عدة

مدارس تعنى بالنص العبري للعهد القديم، ويطلق عليها مدارس الماسورا¹. وتم عمل رجال الماسورا في مرحلة لم تكن فيها اللغة العبرية لغة حية، ومعنى هذا أن رجال الماسورا كانوا من أبناء اللهجات الآرامية ثم اللهجات العربية. وقد تأثر رجال الماسورا في محاولاتهم لضبط النص العبري بالحركات بطريقة النساطرة السريان في ضبط الخط السرياني. أما النظام المتداول إلى اليوم في ضبط النص العبري للعهد القديم والنصوص العبرية بصفة عامة فلا يقوم على جهد المدارس اليهودية في العراق، بل يعتمد على جهود مدرسة طبرية في فلسطين، وقد أبرز البحث الحديث وجود مجموعة أسر اهتمت بالنص العبري للعهد القديم، وتوارثت هذه المعرفة ومن أهم هذه الأسر أسرة نفتالي وأسرة بن أشر.

وهكذا وصل إلينا العهد القديم بعد أن ألف على مراحل، ودون على مراحل. وضبط بالحركات في مدارس مختلفة، ولذا ينبغي وضع كل هذا في الاعتبار عند استخراج الصيغ اللغوية من العهد القديم.

1 حول رجال الماسورا والقضايا الخاصة بضبط النص العبري للعهد القديم انظر كتاب بأول كاله:

**P.E. Kahle, die kairoer genisa. untersuchungen zur
geschte des hebraischen bibeltextes und seiner
.ubersetzungen. berlin 1962**

(168/1)

وقد ألف اليهود باللغة العبرية على مدى القرون عدة كتب دينية، وتصنيف هذه الكتب من الموضوعات الخلافية بين فرق اليهود وأحبارهم وربانيهم. ولكن أهم هذه الكتب الدينية العبرية: المشنا¹ وهو الكتاب العبري الثاني بعد العهد القديم. وترجع كلمة المشنا إلى المادة العبرية ش ن ه - وهي تقابل المادة العبرية الدالة على التثنية والتكرار. فالمشنا في رأي اليهود هو النص الثاني من النصوص الدينية وقد ألف نص المشنا بين أواخر القرن الأول الميلادي ومنتصف القرن الثالث الميلادي، لقد انتهى آخر كيان سياسي لليهود في فلسطين القديمة سنة 70م، وعندما قضى الرومان على الاستقلال الداخلي لمنطقة صغيرة حكمها اليهود حتى ذلك التاريخ، وبذلك وجدت ظروف جديدة عاشها

اليهود في اختلاط مع أبناء العقائد الأخرى، فألف رجال الدين لهم نص المشنا، ليدعم ارتباطهم بأنفسهم على أساس الدين وتحييزهم عن الآخرين تبعاً لذلك. وقد ألف نص المشنا باللغة العبرية في فترة كانت معرفة اللغة العبرية فيها قاصرة على رجال الدين اليهودي. ولذا فقد كان من الضروري أن يشرح النص بلغة مفهومة لليهود، فكان رجال الدين يقرءون لعامة اليهود نص المشنا بالعبرية ثم يشرحونه

1 أهم معجم يفيد في قراءة المشنا:

M. Jastrow, A Dictionary of the Targumim, the Talmud Babli and Yeru-shalmi, and the Midrashic literature. New York 1926

Segal, Mishnaic Hebrew; Oxford .: انظر: .
1958

أما نص المشنا فقد طبع عدة طبعات وحده وطبع طبعات أخرى داخل التلمود مثل:

Der Babylonische Talmud, herausgegeben von L.

.Goldschmidt Den Haag 1933

وحول رأي البحث اليهودي في المشنا، انظر:

Ch. Albeck, Einführung in die Mishna. Aus dem

Hebraischen iibersetzt von Tamar und Pessach

.Galewski. Berlin 1970

Strack, Einleitung in den Talmud, Leipzig .: انظر أيضاً:

.1908

وانظر بالعربية مقال محمود فهمي حجازي عن: "التلمود"، مجلة المجلة - القاهرة يناير

1968-ص44-54.

(169/1)

لهم بالآرامية. ولم تكن هناك لغة آرامية موحدة، بل هناك لهجات آرامية كثيرة، وتعددت الشروح الشفوية الآرامية بتعدد هذه اللهجات ثم كتب الأخبار والربانيون هذه الشروح الآرامية على المشنا. وهكذا ظهر التلمود، فالتلمود البابلي يتألف من المشنا وهي نص

عبري، ومن الجمارا وهي الشرح الآرامي للنص العبري. والتلمود الفلسطيني يتألف من المشنا نفسها، ومن الشرح المدون باللهجة الآرامية الفلسطينية ويسمى الجمارا أيضا. المشنا نص عبري واحد، والجمارا "أي النص المكمل أو الإكمال" تختلف باختلاف اللهجة الآرامية وباختلاف مؤلفيها.

وفي العصور الوسطى لم تزدهر اللغة العبرية إلا في إطار الدولة الإسلامية¹ ففي الأندلس الإسلامية عاشت جماعات من اليهود. وشارك اليهود في الحياة الثقافية العربية مشاركة عميقة، فكانوا يتعلمون المعارف العربية، وأراد اليهود أن يؤلفوا بما اكتسبوه من معارف عربية كتبها عبرية. وبذلك كانت المؤلفات العبرية الأندلسية انعكاسا واضحا للثقافة الإسلامية في كل فروع المعرفة، فكتب النحو العبري التي ألفها يهود الأندلس، مثل: مروان بن جناح القرطبي وحيوج والمعاجم التي ألفوها للعربية والعربية تعد امتدادا وتطبيقا لمناهج البحث اللغوي عند العرب. وقد اهتم اليهود الأندلسيون بالتأليف الأدبي بالعربية أيضا، وهنا نلاحظ أن الشعر العبري الأندلسي انعكاس واضح للشعر العبري. وكما ألف العرب في فن المقامة ألف الحريري بعض مقامات عبرية، لقد ترجم الحريري

1 ولد يهوذا بن سليمان الحريري حوالي سنة 1165، وتوفي 1335، عاش في الأندلس وقضى فترة من حياته مترجما في البروفانس "وتقع الآن في فرنسا".

وحول الترجمات العبرية والأدب العبري في العصور الوسطى: انظر

**M. stenischneider, die gebraischen ubersetzungen
des mittelalters und die juden als dometscher. berlin
1893.**

وانظر كذلك: محمد حسن ظا: الساميون ولغاتهم، القاهرة 1971، ص 98-101.

(170/1)

-وهو يهودي أندلسي- مقامات الحريري، والتزم في الترجمة بالجوانب البيانية والبديعية التي اتسمت بها المقامات في نصها العبري، ثم حاول الحريري بعد ذلك أن يؤلف مقامات عبرية فألفها محاكاة المقامات العربية، فالتراث العبري الأندلسي هو تراث باللغة العبرية ألفه اليهود في إطار الثقافة العربية الإسلامية.

أما العبرية الحديثة التي يطلق عليها **Evrit** فهي اللغة الرسمية الأولى في إسرائيل وتعد العبرية الحديثة محاولة من اليهود الأوروبيين لبعث لغة سامية إلى الحياة المعاصرة¹. فاليهود الأوروبيون هم أصحاب المكانة الأولى في إسرائيل لأنهم أرقى حضاريا واجتماعيا ولأنهم هم أصحاب الفكرة الصهيونية التي تقوم عليها الدولة. وقد كان هؤلاء الأوروبيين أثر بعيد في تكوين الإطار اللغوي الجديد للعبرية، فمن الناحية الصوتية تأثرت العبرية الحديثة باللغات الأوروبية، فخفف النطق بأصوات الحلق وأصوات الإطباق لأنها غير موجودة في اللغات الأوروبية، ولم تعد الصاد تنطق مثل الصاد العربية، بل تأثرت بنطق صوت **Z** في الألمانية ويرجع هذا التأثير الألماني إلى أن لغة البيدش -التي كان يهود وسط وشرق أوروبا يتعاملون بها قبل إحياء اللغة العبرية- هي عبارة عن لهجة ألمانية، وقد أصبح العارفون بلغة البيدش أصحاب مكانة في الدولة الصهيونية، ولكنهم رفضوا جعل لغة البيدش اللغة الرسمية، لأن انتماءهم إلى العبرية يربطهم بتاريخهم القديم ولا يفصلهم عاطفيا عن يهود المشرق، وقد دخلت إلى العبرية الحديثة ألفاظ كثيرة من اللغات الأوروبية. ولعل مقارنة بين الألفاظ الأوروبية الكثيرة الدخيلة في العبرية الحديثة مع محاولات

1 انظر حول العبرية الحديثة:

Haim Blanc, *The Israeli Konie as an emergent National Standard*, in: *Language problems of J.A. Fishman New York "ed". developing Nations 1968, pp. 237-251*

وانظر حول الأدب العبري الحديث:

.Pnina Nave, *Die neue hebraische* Bern 1962

(171/1)

التعريب في العالم العربي توضح اختلاف النسبة، فالعبرية الحديثة زاخرة بألفاظ أوروبية خصوصا في المجال العلمي. والتأثير الأوروبي في العبرية الحديثة لا يقتصر على الأصوات والمفردات، ولكنه يتضح أيضا في كثير من التراكيب والتعبيرات الأوروبية التي نقلت نقلا

حرفيا إلى العبرية. وهذا شيء طبيعي بالنسبة للعبرية الحديثة، فهي تدور بعناصر مأخوذة من العبرية القديمة مع كثير من الإضافات داخل الإطار الفكري الأوربي.

(172/1)

الفرع الآرامي

مدخل

...

3- الفرع الآرامي:

يضم الفرع الآرامي من اللغات السامية مجموعة من اللهجات المتقاربة في بنيتها اللغوية تقارباً كبيراً، وانتشرت هذه اللهجات المختلفة في منطقة الشام والعراق، وتجاوزتها في بعض المراحل التاريخية عندما استخدمت الآرامية كلغة تعامل دولي في الشرق القديم¹. ليست هناك لغة آرامية بالمعنى المتعارف عليه لكلمة لغة في الاستخدام العام للكلمة، بل هناك لهجات آرامية متقاربة، لقد ذكر الآراميون في التاريخ في النقوش الآشورية في الألف الثالث قبل الميلاد². وهذه حال كثير من الشعوب القديمة عندما يرد اسمها لأول مرة عند جيرانهم الأكثر حضارة ولكن الآرامية لم تدون - وفق معلوماتنا المعاصرة - إلا بعد ذلك بوقت طويل، فأقدم النقوش الآرامية ترجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد، ومرت الآرامية بعد ذلك بمراحل تاريخية متعاقبة، ارتبطت الآرامية في بعض مراحلها التاريخية

1 انظر الفصل القيم الذي كتبه كارل بروكلمان:

C. Brockelmann, Das aramaische, einschliesslich des Syrischen, in: Handbuch der Orientalistik, Band .III, LEIDEN 1954, S. 135-162

وأفضل مدخل لدراسة اللهجات الآرامية المختلفة:

.F. Rosenthal, Aramaic handbook. Wiesbaden 1967

2 انظر مقال:

-P.N. Schneider, Aram und Aramaer in der Ur III .Zeit, Biblica 30, 1949

بإمبراطوريات الشرق القديم، ثم كانت إحدى لهجاتها أداة للتبشير المسيحي ووسيلة لنقل معارف اليونان إلى الحضارة الإسلامية، فالسريانية إحدى اللهجات الآرامية التي كان لها دور كبير في تاريخ الحضارة في الشرق، وانحسر استخدام اللغة الآرامية مع الفتح الإسلامي، ولكنها ما زالت تستخدم في عدة أشكال حديثة في عدد من القرى في شمال العراق وإيران وسوريا، ويبلغ هذا التاريخ الطويل حوالي ثلاثة آلاف عام منذ أقدم النقوش الآرامية إلى اليوم، وقد أطلقت عدة تسميات علمية على اللهجات الآرامية المختلفة عبر التاريخ، وأهم هذه اللهجات: الآرامية القديمة وآرامية الدولة والسريانية، واللهجات الآرامية اليهودية والنبطية والمندعية واللهجات الآرامية الحديثة.

الآرامية القديمة:
يطلق على مجموعة النقوش القديمة المدونة بالآرامية مصطلح الآرامية القديمة¹، وترجع هذه النقوش إلى الفترة بين القرن العاشر قبل الميلاد والقرن الثامن قبل الميلاد وقد وجدت هذه النقوش في مناطق مختلفة من الشام والعراق. وأهم ما يميز **الآرامية القديمة** عن اللهجات الآرامية الأخرى، أنها تستخدم القاف في كلمة "أرقا" ومعناها الأرض، بينما تأتي هذه الكلمة في اللهجات الآرامية الأخرى "أرعا". ومعنى هذا أن الضاد العربية وهي الامتداد المباشر للضاد في اللغة السامية الأولى قد تحولت في الآرامية القديمة إلى قاف وفي اللهجات الآرامية إلى عين. وهذا التحول من أصعب التحولات الصوتية تفسيراً.

¹ انظر بروكلمان في المرجع المذكور 137.

وكتاب ديجن:

Degen, Altaramaische Grammatik der Inschriften
des 10–8 Jh. v. Chr. Wiesbaden 1969

آرامية الدولة:

المقصود بها الآرامية المستخدمة في النقوش الكثيرة التي دونت في القرن من السابع إلى الخامس قبل الميلاد، وقد سميت آرامية هذه النقوش باسم **آرامية الدولة** لأن دولة الفرس الأخمينيين اعترفت بالآرامية لغة رسمية في الدولة، فالدولة المقصودة هي دولة الفرس الأخمينيين¹ كانت اللغة الآرامية قد استخدمت قبل ذلك في الدولة الآشورية على نطاق واسع فقد لاحظ الباحثون في كثير من العقود المدونة على نقوش من أواخر عهد الدولة الآشورية استخدام الأكادية والآرامية جنباً إلى جنب، وعندما سقطت الدولة الآشورية سنة 625 ق. م ودخل العراق في إطار الإمبراطورية الفارسية دعم الحكام الفرس مكانة الآرامية واعترفوا بها لغة رسمية في كل أنحاء الدولة، وبهذا دخلت الآرامية إيران أيضاً، ودخلت مع النفوذ الفارسي إلى كل أنحاء الشرق القديم وتعد الآرامية في هذه الفترة التي تبدأ في القرن السابع قبل الميلاد لغة دولية لأنها كانت مستخدمة في منطقة واسعة من العالم القديم؛ في التعامل التجاري والسياسي بين أبنائها وغير أبنائها. تشهد بذلك النقوش الكثيرة التي وجدت في إيران والعراق والشام وشمال الجزيرة العربية ومنطقة أسوان في مصر، ووجدت في آسيا الصغرى نقوش ثنائية اللغة، فبعضها آرامي يوناني وبعضها آرامي ليدي.

1 ترجع هذه التسمية إلى الباحث J. Markwart

انظر المرجع السابق من بروكلمان ص 139-140. وحول الأهمية الدولية للآرامية في تلك الفترة، انظر:

F. Altheim und R. Stiel

Aramaisvh als weltsprache, 1. Band. Berlin 1964, s.

181-203

وانظر المواضع الكثيرة المذكورة في البحث المذكور، وكذلك:

A. Cowley. Aramaic Papyri of the Fifth Century

,BC. 1923. Bauer-Meissner

in: Sitzungsberichte der Preussischen Akademie.

.1937, s. 412f

G.R. Driver, Aramaic Documents of the Century

(174/1)

وهكذا كانت الآرامية اللغة الوحيدة التي تجاوز استخدامها في هذه الفترة التعامل المحلي المحدود وأصبحت تستخدم عند الكثيرين ممن ينتمون إلى بيئات لغوية مختلفة، وإذا كان سفر أستير قد ذكر أن أوامر الملك الفارسي كانت تمضي من إيران إلى الهند وإلى الحبشة فلا شك أن هذه الأوامر كانت تصل إلى هذه المناطق بالآرامية. وأدى انتشار الآرامية في إيران والمناطق المجاورة لها إلى أن كل رجال الدين البوذي يستخدمونها في مواعظهم الدينية في منطقة الحدود الإيرانية الهندية. وتشير النقوش الكثيرة التي وصلت إلينا من القرون السابع والسادس والخامس والرابع قبل الميلاد من إيران والعراق وآسيا الصغرى والشام ومصر إلى أن اللغة الآرامية أصبحت في هذه الفترة لغة التعامل الدولي في الشرق القديم بالإضافة إلى كونها لغة الإدارة في دولة الفرس الأخمينيين، ولكن مكانة اللغة الآرامية أخذت تقل شيئاً فشيئاً، وعندما انتهت الدولة الأخمينية وأعلنت الدولة الساسانية في مطلع القرن الرابع قبل الميلاد عدل الساسانيون عن استخدام الآرامية في الإدارة، وبذلك انتهت آرامية الدولة.

ولكن التعامل اليومي باللغات الآرامية أو بمعنى آخر اللهجات الآرامية المختلفة ظل يسود الحياة اللغوية في الشام والعراق عدة قرون بعد هذا التاريخ. لقد قلت مكانة اللغة الأكادية في العراق مع انتشار اللغة الآرامية قبيل سقوط الدولة الآشورية. وقل استخدام اللهجات الكنعانية المختلفة في منطقة الشام مع انتشار الآرامية، لقد ظلت الآرامية إلى جوار العبرية والفينيقية واللهجات الكنعانية المختلفة عدة قرون، ولكن استخدام اللهجات الكنعانية قل شيئاً فشيئاً إلى أن حلت الآرامية محل كل لهجة كنعانية بادت، وما نكاد نصل إلى فترة انحسار الآرامية عن الاستخدام الدولي حتى نجد اللهجات الآرامية قد أصبحت وحدها في العراق والشام، وهنا نجد عدة لهجات آرامية تختلف باختلاف المكان؛ فهناك لهجات شرقية وأخرى غربية وتختلف باختلاف الطائفة الدينية فهناك لهجات

(175/1)

لليهود وأخرى للوثنيين والمندعيين. ثم تأتي بعد ذلك السريانية وتتحول مع انتشار المسيحية إلى لغة من أهم لغات الشرق المسيحي في القرون التالية.

(176/1)

السريانية:

السريانية لهجة آرامية ارتبطت بالمسيحية، ولذا يجب أبنائها تمييزها عن اللهجات الآرامية الأخرى، وقد انتشرت السريانية بعد أن كانت في منطقة محدودة في شمال الشام لتصبح لغة جماعة كبيرة في شمال العراق والشام، وتكون السريانية مع لغة التلمود البابلي والمندعية مجموعة آرامية واحدة يطلق عليها المجموعة الشرقية، فهذه اللهجات الثلاث تتفق في عدد كبير من الخصائص اللغوية وهي متقاربة كل التقارب من ناحية البنية اللغوية. ومن الطبيعي أن تتأثر آرامية التلمود البابلي بالعبرية، وأن تأخذ مندعية الصابئة اتجاهها خاصا بها، وأن تتأثر السريانية المسيحية بالثقافة السائدة في منطقة الشام والأفكار المسيحية.

وقد ازدهرت السريانية مع انتشار المسيحية شيئاً فشيئاً، ووصل التأليف بالسريانية والترجمة إليها مع بداية القرن الثالث الميلادي إلى مستوى رفيع، وقد ازدهرت حركة التأليف بالسريانية في الفترة من القرن الثالث الميلادي حتى القرن السابع، ولكن لغة التأليف انقسمت في القرن الخامس الميلادي -أي في منتصف فترة الازدهار- إلى سريانية شرقية وسريانية غربية¹. إن السريانية عموماً

1 حول اللغة السريانية وآدابها، انظر:

C. Brocklmann, Syrische Grammatik. Leipzig 1955.

ويضم هذا الكتاب القيم نحوا علميا واضحا للغة السريانية وقائمة ببلوغرافية بالتراث السرياني والدراسات المؤلفة عنه ونصوصا سريانية مختارة ودليلا بالمفردات الواردة في الكتاب ولا يزال أفضل كتاب في تاريخ التراث السرياني كتاب باو مستارك:

A. Baumstark, geschichte der syrischen literatur mit
Ausschluss der christlich-palastinensischen texte.

= .bonn 1922

(176/1)

هي إحدى لهجات المجموعة الشرقية من الآرامية، ولذا ينبغي ألا يختلط انتماء السريانية إلى الآرامية الشرقية بانقسام السريانية ابتداء من القرن الخامس الميلادي إلى سريانية شرقية وسريانية غربية. لقد حدثت اختلافات عقيدية في إطار المسيحية السريانية أدت إلى انشطارها إلى فرقتين: النساطرة واليعاقبة: والنساطرة هم السريان الشرقيون الذين كانوا خاضعين آنذاك للدولة الفارسية، أما اليعاقبة فهم السريان الغربيون الخاضعون آنذاك لحكم الرومان. وقد أدى هذا الانقسام أيضا إلى تطور الخط السرياني. وهو خط أبجدي، في اتجاهين.

وترجع الأهمية التاريخية للسريانية إلى أنها كانت المعبر الذي انتقلت عليه الثقافية اليونانية إلى الحضارة العربية الإسلامية، فبعد غزو الإسكندر لمصر والشام في القرن الرابع قبل الميلاد بدأت هذه المناطق تدخل شيئا فشيئا في إطار الثقافة اليونانية. وهنا تحدث صحوحة التراث الهيليني تمزجه بالروح الشرقية فتبدأ مرحلة جديدة للحضارة يطلق عليها الحضارة الهيلينية. والحضارة الهيلينية هي حضارة اليونان في جنوب أوروبا في عصرها المبكر، والحضارة الهيلينية هي حضارة اللغة اليونانية في مصر والهلل الخصب بعد فتح الإسكندر وقبل الفتح الإسلامي. نقل السريان كتب كثيرة من التراث اليوناني وشروحها الهيلينية من اليونانية إلى السريانية، وكان السريان أيضا نقله هذا التراث إلى اللغة العربية في عصر الحضارة الإسلامية، ولذا تعد الترجمات السريانية ذات أهمية في نقل

= والمعجم الذي يعتمد عليه في السريانية عند الباحثين المعاصرين هو المعجم الذي أعده بروكلمان للسريانية واللاتينية بعنوان:

.Lexicon Syriacum. Halle 1928

ويمكن أيضا لغير العارفين باللاتينية الاستفادة من معجم **Smith**:

j. payne smith, A compendious syriac dictionary.

.oxford 1903, 1967

وقد ظهر بالعربية كتابان بعنوان: تاريخ الأدب السرياني الأول للأب السمعاني القدس 1933-36 والثاني لحمد حمدي البكري بالقاهرة.

تراث اليونان إلى العربية¹.

وعقب ظهور الإسلام وقيام الدولة العربية الإسلامية التي ضمت أيضا الشام والعراق بدأت السريانية واللهجات الآرامية الأخرى تفقد قيمتها في التعامل اليومي. ولكن حركة التأليف بالسريانية استمرت في العصر الإسلامي على الرغم من التناقص المطرد لعدد المتحدثين بالسريانية وباقي اللهجات الآرامية وكانت هذه المؤلفات السريانية المدونة في العصر الإسلامي انعكاسًا لتراث اليونان والسريان من جانب والتراث العربي الإسلامي من الجانب الآخر، ومن أهم المؤلفين السريان الذين عاشوا في عصر الحضارة الإسلامية وتمثلوا جوانب كثيرة من علوم القدماء والعلوم العربية أبو الفرج بن العبري، المتوفى 1286م. وقد ألف ابن العبري كتبًا كثيرة، بعضها بالعربية وبعضها بالسريانية. وفي كتب ابن العبري تلتقي معرفته بتراث اليونان والتراث السرياني المسيحي والتراث العربي الإسلامي لتكوّن الروافد الأساسية لكتبه في فروع المعرفة المختلفة: التاريخ والطب وعلوم اللغة².

وهناك جوانب اتصال كثيرة بين السريانية والعربية في اللغة والحضارة، فقد انتقلت كلمات كثيرة من السريانية إلى العربية، وبعض هذه الكلمات ليست أصلاً في السريانية، فأكثر الكلمات اليونانية التي دخلت إلى العربية مثل كلمة "فيلسوف" انتقلت من السريانية، وخصوصاً المصطلحات الفلسفية

1أهم هذه الدراسات في هذا الموضوع: Oleary, How Greek Scence Passed to the Arabs

وقد ترجم الكتاب مرتين إلى اللغة العربية:

– علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة وهيب كامل، القاهرة 1962.

– مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، القاهرة 1957.

2 انظر قائمة مؤلفات ابن العبري في:

Brocelmann, Syrische

Grammatik Leipzig 1995, s. 173–175

والطبيبة. أما اللقاء الحضاري بين التراث السرياني والتراث العربي فله جوانب كثيرة، فهناك عدد كبير من القصص الشعبية نجدها في نصوص سريانية ثم عربية، أشهرها قصة أهل الكهف، قصة السندباد، كليلة ودمنة، لقمان الحكيم، قصة الإسكندر ذي القرنين، قصص القديسين وكراماتهم. وبعض هذه القصة ليس أصيلاً في التراث السرياني بل ترجع إلى السريانية، ومن الأهمية بمكان مقارنة الصياغة السريانية بالصياغة العربية لهذه الأقايص 1.

1 حول الأدب الشعبي السرياني، انظر:

F.Nau, *histoire et géographie de l'Assyrie*.

.paris 1909

G.hunnius, *das syrische alexanderlied*, diss, gottigen

.1904

G.bickell, *kalilag und demmag. dammag. alte syr.*

.übersetzung. leipzig 1876

وقد كتب المقدمة التحليلية لهذا الكتاب بنفي th.benfey أستاذ الدراسات الهندية وصاحب نظرية الأصل الهندي للقصة الشعبية. وتوضح هذه المقدمة نظريته في ضوء كتاب كليلة ودمنة وهناك دراسات كثيرة أخرى حول هذا الموضوع:

sindbad oder die sieben weisen meister, syrisch

.und deutsch von fr. baethgen leipzig 1879

وقد اهتم بعض المستشرقين بدراسة المصادر السريانية للتاريخ الإسلامي ومن هذه الأبحاث بحث نولدكه:

th. noldede, *zur geschichte der araber im I. jahrh.*

.d.H. aus syrischen quellen, zdmg 29, 76–98

(179/1)

اللهجات الآرامية اليهودية:

هناك عدد من اللهجات الآرامية ارتبطت بكتب اليهود المقدسة وبالجماعات اليهودية التي عاشت في فلسطين والعراق في فترة ازدهار الآرامية، ولا تزال هناك أقليات لغوية

يهودية في شمال إيران تتعامل في الحياة اليومية بلهجة آرامية حديثة. لقد استخدمت الآرامية في بعض أسفار العهد القديم، وفيه سفران

(179/1)

بالآرامية هما سفر عزرا وسفر دانيال. وهذان السفران جزيرة لغوية آرامية في محيط عبري¹.

وعندما قلت معرفة اليهود بالعبرية وأصبح أكثرهم لا يستطيع قراءة نصوصها فضلا عن التحدث بها، نجمت ضرورة لترجمة أجزاء من العهد القديم إلى اللهجات المحلية التي كان اليهود يفهمونها آنذاك. وبدأت هذه الترجمات الآرامية في صورة نقل شفوي، فكان رجل الدين يترجم النص العبري ترجمة شفوية إلى لهجة المستمعين الآرامية، وكان ثمة تخرج من تدوين هذه الترجمات حتى لا تكون منافسا للكتاب المقدس الأصلي، ولكن هذا الحرج قل بمضي الوقت فدونت هذه الترجمات، وبذلك ظهر الترجوم البابلي والترجوم الفلسطيني والترجوم السامري. ويمثل كل ترجموم من هذه "الترجوميم"².

1 حول آرامية العهد القديم:

H. Bauer und P. leander, Kurzgefasste biblisch-aramaische Grammatik. Halle 1929-1969

2 حول الترجوم البابلي، انظر:

F. Rosenthal, Grammar of biblical Hebrew, VViesdaben 1960

Targum Onkelos (ed.) Abraham Berliner 1884

وانظر أيضا:

M. Ginsburger, Pseudo-Jonathan: Thargum Jonathan zum Pentateuch. Berlin 1903

وانظر حول اللهجات الآرامية في فلسطين عند اليهود

G. Dalman, Grammatik des jiidisch-Palastinischen AramStsch, 2 Aufl. Leipzig 1905

W. Stevenson, Grammar of Palestinian Jewish

.Aramaic. Oxford 1962

وحول الترجوميم، انظر ما كتبه باومشتارك:

A. Baumstark, Die aramaische und syrische

Literatur, in: Handbuch der Orientalistik, ed

.(spuler) Semitistik 162–168

أهم معاجم الترجوم والتلمود والمدارش:

G. Dalman, Aramaisch–neuhebraisches

Worterbuch. Frankfurt 1901. Jastrow, Dictionary of

.Targumim, the Talmud New York 1926

(180/1)

لهجة آرامية متميزة، فلهجة الترجوم البابلي قريبة في كثير من الخصائص من باقي اللهجات الآرامية الشرقية، ولكن الترجوم الفلسطيني والترجوم السامري يمثلان مع غيرهما المجموعة الآرامية الغربية، ويلاحظ في كل هذه اللهجات أن اليهود كتبوها بالخط العبري، وهذا شأنهم مع كل اللغات التي كانوا يستخدمونها في التعامل الداخلي فيما بينهم. وقد أدى استخدام الخط العبري لكتابة هذه اللهجات الآرامية إلى دخول كلمات كثيرة من العبرية إلى هذه اللهجات الآرامية.

وقد كتب أحبار اليهود وربانيوهم في فلسطين والعراق نصوصاً أخرى باللهجات الآرامية. ودخلت هذه النصوص في التلمودين البابلي والفلسطيني. يتكون التلمود البابلي من النص العبري للمشنا مع الشروح الآرامية عليه. ويتكون التلمود الفلسطيني أيضاً من المشنا العبرية والشروح الآرامية، وثمة اختلاف بين اللهجة المستخدمة في الجمارا وهي الشرح الآرامي في كلا التلمودين، فكلاهما يمثل لهجة مختلفة عن الأخرى وكلاهما مكتوب بالخط العبري مثل الترجوميم.

(181/1)

النبطية:

النبطية لهجة آرامية كتب بها النبط نقوشهم حتى أواخر القرن الثالث الميلادي، والنبط شعب عربي عاش في أقصى شمال الجزيرة العربية وجنوب بادية الشام¹. وعاش النبط حياة رعوية وكان لهم في النشاط التجاري مكانة كبيرة. وكانت لغتهم العربية آنذاك لغة محلية، ولم يكن لها خط فكتب النبط

1 حول النبط الآرامية عندهم، انظر:

J.cantineau, le nabateen, I: notions generales,
écriture grammair, II: choix de textes, lexique.

.paris 1930, 1932

C. Brockelmann, das aramaische, einschliesslich es
.syrischen, in: handbuch der orientalistik III, s. 148

(181/1)

كما كان يكتب جيرانهم. كانت الآرامية لغة التعامل في الفترة التي ازدهر فيها النبط، وكانوا يتعاملون بالآرامية مع غير العرب، وفرض عليهم نشاطهم التجاري التعامل بالآرامية لكي يفهمهم الآخرون، ولذا كان من السهل على النبط أن يكتبوا نقوشهم باللغة الآرامية التي اعتادوا عليها، تعلم النبط من جيرانهم الكتابة بالآرامية، وبذلك كان النبط أول شعب عربي شمالي كتب. تظهر عروبة النبط من استخدامهم اللغوي فهناك ألفاظ تأتي بمعانيها العربية في نقوشهم مثل: آل "للدلالة على الانتماء العربي القبلي". ولد "بمعنى أبناء". آخر "بمعنى ذرية". وجر "بمعنى قبر صخري". ضريح "بمعنى حجرة"، إحدى "بمعنى واحدة". غير "بمعناها العربي الحالي". والأفعال هلك، صنع، لعن. بمعانيها في العربية، وبالإضافة إلى هذا فقد أفاد النبط من أداة التعريف العربية "أل" وتظهر في نقوشهم، بينما لا تستخدم اللهجات الآرامية الأخرى للتعريف إلا الفتحة الطويلة في آخر الكلمة، وللنبط أهمية كبيرة في تدوين العربية. فقد كانوا أول شعب عربي كتب، وهم معلمو سائر العرب كيف يكتبون، فالخط العربي يقوم على الخط النبطي، والخط النبطي يعود على نحو غير مباشر للخط الأجرقي، فالتطور الذي بدأ عند الأجرقيين وصل عن طريق النبط إلى العرب.

المندعية:

المندعية هي لهجة آرامية شرقية ارتبطت بجماعة دينية عرفت باسم الصابئة¹. وللمندعيين كتاب مقدس يطلقون عليه اسم: جنزا، أي الكنز.

1 تسمى عند بعض الباحثين العرب: المندائية أو المندئية، وهما تسميتان صحيحتان دون شك غير أن الاسم القديم للكلمة قد وصل بالعين لا بالهمزة، وبعد ذلك فقد المندعيون نطق العين فينطقون بهمزة بدلا منها، وأهم دراسة لغوية عن اللهجة الآرامية للمندعيين:

.Th. noldeke, mandaische grammatik. halle 1875

R.mach, handbook of classsical and modern

.mandaic berlin 1965

وحول المندعيين وعاداتهم ودينهم، انظر:

E.drower, the mandaeans of iraq and iran. oxford

.1937, 1962

وقد جمعوا في هذا الكتاب ترانيمهم الدينية وآراءهم في الدين فأصبحوا بعد الفتح الإسلامي من أهل الكتاب، وبذلك أتيحت لهم في إطار الدولة الإسلامية حقوق أهل الكتاب، ولا يزال المندعيون يتعاملون داخليا بلهجتهم الآرامية إلى اليوم وهم يعيشون في عدة قرى في جنوب العراق. وهكذا ارتبطت اللهجات تارة بالمسيحية، وأخرى باليهودية، وثالثة بالصابئة، ولكنها كانت في كل هذه الأحوال -وفي غيرها أيضا- في منطقة سادتها العربية بعد الفتح الإسلامي.

4-العربية الجنوبية:

تكون **العربية الجنوبية** والعربية الشمالية واللغات السامية في الحبشة الفرع الجنوبي من اللغات السامية. وهناك خصائص مشتركة لا نجدها إلا في لغات الفرع الجنوبي من اللغات السامية منها ظاهرة جمع التكسير، فكل المجموع في اللغات السامية الأخرى يمكن أن توصف بأنها من الجمع السالم. أما المجموعة الجنوبية فقد أفادت من الجمع السالم، ووطورت أيضا عدة أبنية لمجموع التكسير 1 وأول لغة من الفرع الجنوبي كان لها دور في التاريخ هي اللغة العربية الجنوبية.

1 انظر دراسات:

.murtonen, early semitic. leiden 1967

.murtonen, broken plurals. leiden 1964

(183/1)

القديمة التي عرفت قديما باسم الحميرية. وقد اكتشفت النقوش العربية الجنوبية القديمة في القرن التاسع عشر، وأمكن بعد فك رموز خطها المسند التعرف على مضمون هذه النقوش وتحليل خصائصها اللغوية¹. ترجع النقوش العربية الجنوبية القديمة إلى فترة امتدت أكثر من ألف عام، فأقدم هذه النقوش من القرن الخامس قبل الميلاد، ويؤرخه البعض بالقرن الثامن قبل الميلاد. أما آخر هذه النقوش فيرجع باتفاق الباحثين إلى الربع الثالث من القرن السادس الميلادي² ومعنى هذا أن النقوش العربية الجنوبية القديمة ترجع إلى أكثر من عشرة قرون. وعندما قلت النقوش الجنوبية في أواخر القرن السادس الميلادي كانت العربية الشمالية قد بدأت تنتشر في المنطقة اللغوية الجنوبية. وقد وجدت النقوش العربية الجنوبية في النصف الجنوبي من الجزيرة العربية، فقد كانت المنطقة اللغوية العربية الجنوبية تضم الأقاليم الحالية لدولتي اليمن والقسم الجنوبي من المملكة السعودية، وهناك عدد من النقوش الجنوبية خارج هذه المنطقة، فقد أقام عدد من عرب الجنوب محطات تجارية في شمال غرب الجزيرة العربية، مثل ديدان التي توجد في مكانها اليوم مدينة العلا. وقد

1 حول الأبحاث التي أنجزت وما ينبغي القيام به في الدراسات العربية الجنوبية، انظر

التقرير، الذي كتبته ماريا هوفنر:

**M. Hofner, stand und aufgaben der sudarabischen
forschung, in; beitrage zur arabistik, semitistik,
.hartmann 1944, s. 42 ff**

والفصل الذي كتبته مارسا هوفنر أيضا بعنوان:

**Das sudarabische der inschriften und der lebenden
Mundarten, in: handbch der orientalistik III, 314-
.341**

وقد اهتمت جامعة القاهرة منذ إنشائها "باسم الجامعة المصرية" بدراسة النقوش العربية الجنوبية وطبع بجامعة القاهرة كتاب للمستشرق جويدي "الموجز في علم اللغة العربية الجنوبية 1930، وقد نشر خليل يحيى نامي عددا من النقوش العربية الجنوبية القديمة. 2 حول التوزيع الجغرافي والتاريخ للنقوش العربية الجنوبية انظر:

**A.F.L. Beeston, A descriptive grammar of
.epigraphic south arabian. london 1962**

(184/1)

وجدت في العلا عدة نقوش كتبها عرب الجنوب بلغتهم. وفضلا عن هذا فقد ترك بعض الرحالة والتجار اليمنيين نقوشا دونوها في خارج الجزيرة العربية، فقد وجدت عدة نقوش في صعيد مصر مكتوبة بالعربية الجنوبية، كما وجد نقش في جزيرة دبلوس. وقد انتشر عرب الجنوب أيضا في شرق إفريقيا؛ فأقدم النقوش التي وجدت في الحبشة ليست مدونة بإحدى اللغات المنسوبة إلى الحبشة بل هي بالعربية الجنوبية القديمة.

كتبت النقوش العربية الجنوبية القديمة بخط أبجدي يتكون من تسعة وعشرين رمزا. ويقوم الخط المسند على أساس تدوين الصوامت فقط، فهو خط لا يدون الحركات لذا تظل معرفتنا بطبيعة الحركات في اللغة العربية الجنوبية القديمة مجرد افتراض يقوم على القياس مع أقرب لغتين إلى العربية الجنوبية وهما العربية الشمالية ولغة الجعر الحبشية. وهناك نصوص كتبت بعناية Inscriptions وأخرى دونها أفراد بسطاء بخط أقل وضوحا ويطلق عليها الجرافيتي Graffiti

وأهم اللهجات العربية الجنوبية القديمة: السبئية والمعينية والقبتانية والحضرية والهرمية.

وأكثر النقوش التي وجدت تمثل اللهجة السبئية. وهي نقوش كتبت في حوالي ألف عام. ولذا فالمعرفة باللهجة السبئية تفوق المعرفة بباقي اللهجات العربية الجنوبية القديمة، ومن السمات الأساسية في اللهجة السبئية استخدام الهاء في تكوين عدد من الصيغ الصرفية، فوزن التعدية في العربية الشمالية أفعال يقابله في السبئية وزن هفعل ولذا يعد الفعل أراق بوزن أفعال أصيلا في العربية الشمالية، بينما يعد الفعل هراق دخيلا من العربية الجنوبية إلى العربية الشمالية.

أما اللهجة المعينية فقد وجدت نقوشها في منطقة معين قرنا وبرافش في اليمن، كما وجدت أيضا في المستعمرة المعينية في ديدان في شمال غرب الجزيرة العربية، ويبدو أن اللهجة المعينية لم تعمر طويلا، فكل نقوشها ترجع إلى الفترة السابقة على الميلاد بينما ظلت اللهجة السبئية عدة قرون بعد هذا التاريخ. والسمة

(185/1)

الفارقة بين بنية السبئية وبنية المعينية هي استخدام الهاء في السبئية واستخدام السين في المعينية، فوزن أَفْعَل في العربية الشمالية يقابله وزن هَفْعَل في السبئية ويقابله وزن سَفْعَل في المعينية.

أما اللهجات الأخرى وهي القتبانية والحضرية والهرمية فيبدو أنها أقل انتشارا. وتنسب اللهجة القتبانية إلى مملكة قتبان في وادي بيحان وحريب، وتنسب اللهجة الحضرية إلى حضرموت، وقد وجدت أكثر نقوشها في منطقة شبوة ووادي حضرموت وساحل حضرموت، وقد عمرت اللهجة الحضرية أكثر من اللهجة القتبانية، فآخِر النقوش القتبانية يرجع إلى القرن الأول الميلادي بينما ظلت الحضرية حتى القرن الثالث الميلادي على أقل تقدير، وكلا اللهجتين تشبهان اللهجة المعينية من ناحية استخدام السين ولكنهما تختلفان عنها من جوانب أخرى.

وأقل اللهجات العربية الجنوبية شأنًا هي اللهجة الهرمية المنسوبة إلى منطقة هرم في غرب معين قرناو. وأهم خصائص هذه اللغة المحددة الانتشار قديما استخدام حرف الجر "من" على نحو استخدامه في العربية الشمالية وبذلك خالفت اللهجة الهرمية باقي اللهجات العربية الجنوبية لأنها تستخدم بدلا من هذا الحرف كلمة "بن" وهذا التقسيم يقوم في المقام الأول على الخصائص اللغوية لا على التوزيع المكاني ففي كل المواضع التي وجدت فيها نقوش عربية جنوبية قديمة تنوعت اللهجات، فليست كل النقوش الموجودة

في منطقة هرم مكتوبة باللهجة الهرمية بل هي أيضا بالسبئية والمعينية.
وبعد انهيار سد مأرب هاجرت قبائل عربية جنوبية إلى الشمال ولم تكن القبائل المهاجرة
في وضع اقتصادي طيب، ولذا تعربت بعربية الشمال ولم يبق لها من الأصل القديم إلا
الذكرى والنسب، حتى إن شعراء هذه القبائل قبل الإسلام مثل امرئ القيس نظموا
شعرهم بالعربية الشمالية، يضاف إلى هذا أن الإسلام قد ساعد على انتشار العربية
الشمالية في اليمن فتعرب جنوب

(186/1)

الجزيرة العربية شيئاً فشيئاً.
ولكن هذا التعريب لم يشمل إلى اليوم كل مناطق اليمن، فهناك مجموعة لغات عربية
جنوبية معاصرة في جنوب الجزيرة العربية والجزر القريبة من الساحل الحضرمي، وأهم
هذه اللغات: اللغة المهريّة وهي لغة حوالي ثلث مليون مواطن في جمهورية اليمن
الديمقراطية في المحافظة السادسة التي تقع على الحدود الواقعة مع عمان في الربع الخالي.
ويعيش بعض المتحدثين بالمهريّة في جاليات صغيرة في دول الخليج العربي، أما السقطرية
فهي لغة جزيرة سقطرة. وفي كل هذه المناطق التي يتم فيها التعامل الداخلي بلغات
المهرة المذكورة يعرف الرجال اللغة العربية بقدر تعاملهم مع جيرانهم بها¹.

1 اهتم الباحث النمساوي بيتر m.bittner بدراسة المهريّة. انظر دراساته:
stud. zur laut-und formenlehre des mehri I-V,
sitzungsberichte der kaiser-lichen akademie der
wissenschaften in wine

وقد نشرت هذه الدراسات بين 1909، 1915 وبخصوص الدراسات المختلفة
والنصوص المسجلة من اللغات العربية الجنوبية الحديثة.

w.leslay, modern south arabic languages. A

.Bibliography new york 1946

ويقوم الآن مؤلف هذا الكتاب بدراسة ميدانية عن المهريّة.

(187/1)

5- اللغات السامية في الحبشة:

ليست كل اللغات القديمة والحديثة في منطقة الحبشة من أسرة اللغات السامية، فقد عرفت المنطقة قديما لغات كثيرة أخرى، ولا تزال الحبشة تضم لغات غير سامية مثل لغة ساهو ولغة الجالا. والمقصود هنا باللغات السامية في الحبشة تلك اللغات التي نشأت عن العربية الجنوبية القديمة، لقد دخلت اللغات السامية إلى الحبشة عن طريق بعض القبائل من جنوب الجزيرة العربية،

(187/1)

ويبدو أن هذه الهجرة تمت حوالي القرن السابع قبل الميلاد، فهناك نقش عري جنوبي من هذا التاريخ وجد في منطقة أريتريا التي يسيطر عليها الأحباش. عرف الباحثون أسماء بعض القبائل التي هاجرت عابرة باب المندب إلى إفريقيا، ونقلت لغتها السامية إلى هذه المنطقة من القارة الإفريقية، وأهم هذه القبائل قبيلة حبشت وقبيلة الأجعازي. وقد سميت هذه المنطقة عندنا باسم الحبشية نسبة إلى القبيلة الأولى، بينما سميت اللغة باسم لغة الجعز نسبة إلى القبيلة الثانية، فأبناء هذه اللغة وسكان الحبشة يسمون لغتهم القديمة باسم الجعز. وهناك تسميتان أخريان أقل استخداما في مجال العلم. وهما تسمية هذه اللغة باسم الحبشية والأثيوبية. والتسمية الأولى شائعة في الكتب العربية، أما الثانية فمأخوذة من كلمة أثيوبيا التي وصفت بها منطقة البحر الأحمر جنوب مصر في كتب الرحالة الأوروبيين القدماء. وقد جاءت كلمة أثيوبيا في الكتاب المقدس فأحبها الأحباش مع تحولهم إلى المسيحية، فأطلقوها على دولتهم باعتبارها تسمية مقدسة¹.

1 حول توزيع اللغات السامية في الحبشة، انظر:

E. Ullendorff, the semitic languages of ethiopia.

.oxford 1957

the ethiopians, an introduction to counry and ----،

.people. london 1960

وقد كتب أوليندورف في الفصل السادس من كتابه الأخير عن اللغات في الحبشة ص116 - 135.

وانظر كذلك الفصل الخاص بالحبشة:

E. littmann, aethiopisch, in: handbuch der
.orientalistik III 250–375

والبليوجرافيا التي أعدوها ليسلاو عن الحبشية:

w. leslau, bibliography of the semitic languages of
.ethiopia new york 1946

وأهم أدوات البحث في نحو لغة الجعز ومفرداتها:

A. dillmann, grammatik der athiopischen sprache.

.leipzig 1899, lexicon aethiopicum, leipzig 1865

.M. chaine, grammaire ethiopienne, beyruth 1938

(188/1)

ولغة الجعز هي أقدم لغة سامية في الحبشة، ومن الصعب تتبع مراحل نشوء هذه اللغة أو بمعنى آخر تمييز هذه اللغة عن العربية الجنوبية القديمة، وهناك خلاف بين الباحثين في تصور الحياة اللغوية في الحبشة في القرون الأولى بعد الميلاد فضلا عن القرون السابقة على ذلك. يرى البعض أن الحبشة عرفت تنوعا لغويا وأن لغة الجعز هي لغة إحدى القبائل التي سيطرت على منطقة الجنوب وأن لغات أخرى وجدت إلى جانبها، ولكنها لم تدون إلا بعد ذلك بقرون طويلة. ويرى بعض الباحثين أن كل اللغات السامية في الحبشة ترجع إلى لغة واحدة هي لغة الجعز، وأنها بذلك من أصل واحد لا أكثر. ومن الصعب الوصول في هذه القضية إلى رأي واحد مفصل لقلة المصادر، فالأحباش لم يكتبوا إلا أقل من القليل. فقد مضى أكثر من ألف عام على هجرة القبائل اليمنية إلى الحبشة قبل أن يكتب هؤلاء الذين أصبحوا أحباشا لغتهم. فالنقوش الجعزية القليلة التي وصلت إلينا ترجع إلى الفترة بين القرن الرابع حتى القرن السابع للميلاد، وفي بداية هذه الفترة تحول الأحباش إلى المسيحية وأطلقوا على بلدهم اسم أثيوبيا وأصبحوا تابعين للكنيسة القبطية المصرية، وبعد تحول الأحباش إلى المسيحية. وبعد تحولهم أهم حدث في تاريخهم القديم، فتراثهم من الكتب الجعزية لا يكاد يتجاوز الإطار الديني المسيحي، كان الكتاب المقدس أول كتاب ترجم إلى لغة الجعز، وإلى جانبه ترجمت في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الأدب الجعزي عدة نصوص دينية قليلة العدد قليلة الأثر، كما ترجم كتاب واحد يضم مجموعة من الأقاصيص الوثنية والمسيحية حول الحيوانات والنباتات

وخصائصها. وأغلب الظن أن حركة الترجمة إلى لغة الجعز كانت جهد المبشرين الذين عرفوا الكتب الدينية في نصوصها السريانية أو اليونانية ونقلوها بعد ذلك إلى لغة الجعز. ومضت بعد هذه الفترة عدة قرون تمثل فراغا في تاريخ اللغة الجعزية والأدب الجعزي، فبعد القرن السابع قل التدوين بلغة الجعز، ثم توقف الأحباش عن الكتابة أربعة قرون كاملة لم يصل منها أي أثر مدون في نقش أو روقة أو كتاب، وكأن الحياة قد توقفت عندهم. ولكن المعرفة بالخط الجعزي ظلت متوارثة لأن

(189/1)

رجال الدين كانوا يقرءون، ويعطون في الكنائس بلغة الجعز، فظلوا حفظة المعرفة بلغة الجعز المكتوبة وبالخط الجعزي وبذلك القدر المحدود من الكتب الجعزية المترجمة، وهكذا ارتبطت لغة الجعز بالكنيسة.

وازدهرت لغة الجعز مرة ثانية بعد طول سبات عندما تأسست الأسرة السلিমانية 1270م، فبدأت حركة التأليف بلغة الجعز، ولكن التراث الجعزي ظل في هذه الفترة أيضا مرتبطا بالكنيسة، وكانت الكنيسة الأم بالقاهرة قد تعربت، وأصبح رجال الدين الأقباط يؤلفون بالعربية، فترجمت كتب قبطية عربية كثيرة إلى لغة الجعز. فالأثر المصري واضح في كل كتب هذه الفترة المترجمة أو المؤلفة. وتجاوزت هذه الكتب المجال الديني إلى مجال واحد هو التاريخ، فقد دون الأحباش تاريخهم من وجهة نظرهم وتدعيما لشرعية وجود الأسرة السلیمانية الحاكمة، لم تكن لغة الجعز آنذاك لغة الحياة، ولكنها ظلت في الفترة من القرن الثالث عشر إلى القرن السابع عشر لغة الكنيسة والثقافة الدينية والتدوين التاريخي¹. وظهرت في بداية هذه الفترة لغات أخرى يعد بعضها أو تعد كلها امتدادا للغة الجعز وأهم هذه اللغات: الأمهرية والتيجرينية والتيجرية والهريية. اللغة الأمهرية هي أكثر اللغات السامية انتشارا في الحبشة وقد بدأ تدوين اللغة الأمهرية في القرن الرابع عشر، وهناك عدة أناشيد ملكية أمهرية ترجع إلى

1 ناقش الباحثون قضية النطق التقليدي للغة الجعز اعتمادا على طرق قراءتها عند

الأحباش المعاصرين وأهم هذه الأبحاث:

M. Cohen, la prononciation rtaditionelle due gueze ethiopien classique, journal asiatique 1921, s.

E. mittwoch, die rtaditionelle aussprache des
.aethiopischen. berlin und laipzig

وآخر هذه الدراسات ما كتبه أوليندورف:

.E.ullendorff, the semitic languages in ethiopia

(190/1)

نفس الفترة تقريبًا. لكن الأمهرية ظلت ذات لون شعبي إلى أن حاول اليسوعيون تحويل مسيحي الحبشة عن مذهبهم الديني إلى الكاثوليكية، فترجم المبشرون الوافدون العهد الجديد إلى اللغة الأمهرية ليفهمه الشعب الذي لم يكن يفهم الطقوس الجعزية في الكنيسة الأرثوذكسية. ولكن هؤلاء المبشرين طردوا من الحبشة، ولم يبدأ ازدهار اللغة الأمهرية إلا في منتصف القرن التاسع عشر. واللغة الأمهرية هي اللغة الرسمية في الحبشة، ولذا يطلق عليها هناك لسان النجاشي وتستخدم اللغة الأمهرية عند أبنائها وعند غير أبنائها باعتبارها لغة تعامل رسمي في الدولة، ونظرا للتخلف الإحصائي في الحبشة وللتمزق الداخلي يصعب تقدير عدد المتحدثين باللغة الأمهرية، ويقدر هذا العدد بما لا يقل عن ثلاثة ملايين وما لا يزيد على خمسة ملايين، واللغة الأمهرية الحالية هي لغة الصحف والكتب المدرسية في الحبشة. وقد حدثت تغيرات كثيرة في الأمهرية جعلتها تختلف عن لغة الجعز وعن باقي اللغات السامية، فلا توجد في الأمهرية من أصوات الحلق إلا الهاء والهمزة. وقد دخلت في الآونة الأخيرة ألفاظ أوربية كثيرة إلى اللغة الأمهرية بالإضافة إلى الألفاظ التي استعيرت من قبل من اللغات الإفريقية المجاورة. وهناك عدة لغات سامية أخرى في الحبشة منها اللغة التيجرينية التي تعد أقرب اللغات السامية في الحبشة من لغة الجعز القديمة، ويقدر عدد أبناء اللغة التيجرينية بحوالي مليون ونصف. وقد أعلنت اللغة التيجرينية لغة رسمية في دستور أريتريا الصادر سنة 1952، أي قبل استيلاء دولة الحبشة على السلطة في أريتريا. وبعض أبناء التيجرينية مسيحيون، وبعضهم مسلمون، أما لغة التيجري فهي لغة حوالي ربع مليون في الحبشة وفي إقليم كسلا في السودان، وأكثرهم من المسلمين، أما اللغة الهَرَرِيَّة فهي لغة سكان مدينة هَرَر وكلهم من المسلمين، وقد ارتبط مسلمو الحبشة وأريتريا على مر التاريخ بمصر باعتبارها

مركز الثقافة الإسلامية. تعد العربية في كل هذه المناطق الإسلامية لغة الثقافة ولغة التعامل بين القبائل ذات

(191/1)

اللغات المختلفة. ومن اللغات السامية ذات الانتشار المحدود في الحبشة لغة جوارج ولغة جفت ولغة أرّجبا. ويختلف الخط المستخدم في تدوين اللغات السامية في الحبشة عن كل الخطوط السامية المعاصرة له. فقد كتبت لغة الجعز بخط مقطعي يتكون من 182 رمزا تنتظم على النحو التالي: لكل صوت صامت مع الحركة التالية رمز مستقل. وتضم الكتابة الجعزية رموزا لستة وعشرين صامتا يرتبط كل منها بإحدى الحركات التالية: فتحة قصيرة، فتحة طويلة، فتحة ممالّة طويلة، فتحة ممالّة قصيرة، وهذا الرمز غامض الدلالة وقد يكون مجرد سكون، وضمة طويلة مثل صوت حرف O الأجنبي في اللغات الأوربية وضمة طويلة مثل صوت U الألمانية وكسرة طويلة. أي أن الرمز الواحد يمثل في الخط الأثيوبي أحد الصوامت الستة والعشرين مع إحدى الحركات السبع، ولذا يعد الخط الحبشي من أكثر الخطوط السامية تعقيداً، فهو مرحلة تخلف أعادت التقدم الذي أحدثه الأبريتيون مرحلة إلى الخلف، وقد أثبت تاريخ الحضارة في العالم كله أن صعوبة الخط معوق أمام انتشار المعرفة والعلم. واللغة السامية الوحيدة التي تكتب في الحبشة بخط سهل هي اللغة الهيرية فيكتبها أبناؤها، وهم مسلمون بالخط العربي.

(192/1)

الفصل الحادي عشر: العربية في ضوء اللغات السامية

مدخل

...

الفصل الحادي عشر: العربية في ضوء اللغات السامية

ظلت نصوص الشعر الجاهلي عدة قرون أقدم نصوص عربية معروفة عند الباحثين. لكن البحث الحديث في القرن التاسع عشر أوضح بعد اكتشاف اللغة الأكادية وبحث اللغات السامية بالمنهج المقارن أن خصائص البنية اللغوية للعربية ولهجاتها القديمة يمكن

أن تؤرخ في ضوء علم اللغات السامية المقارن¹. وبذلك أمكن عن طريق الدراسة المقارنة تأريخ كثير من الظواهر العربية في مرحلة أسبق من الشعر الجاهلي بأكثر من ألفي عام، فالظواهر المشتركة في العربية والأكدية لا يمكن أن تكون إلا موروثاً عن اللغة السامية الأولى التي خرجت عنها كل اللغات السامية، ولذا يبدأ البحث في تاريخ العربية ببيان علاقة العربية باللغات السامية الأخرى وباللغة السامية الأولى، في محاولة لتأريخ الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية للغة العربية قبل تدوينها.

1 حول المنهج المقارن ونتائجه في اللغات السامية ومكانة العربية بين اللغات السامية:
Brockelmann, grundriss
moscati, introduction to the comparative grammar of
semitic languages
وبراجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية. القاهرة 1929.

(193/1)

1- الخطوط السامية والواقع الصوتي:

يوضح البحث المقارن في اللغات السامية عدداً من الحقائق المهمة حول تاريخ العربية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وإذا كانت اللغة العربية أحدث لغة سامية دونها أبنائها. فإن اللغات السامية الأخرى قد دونت قبل اللغة العربية بقرون طويلة، فالأكادية دونت حوالي سنة 2500 ق. م والأجريتية كتبت حوالي سنة 1400 ق. م وتوضح المقارنات بين اللغات السامية المختلفة أن العربية احتفظت بمجموعة من الخصائص المفرقة في القدم والتي ترجع إلى اللغة السامية الأولى، فالخصائص المشتركة في كل اللغات السامية، أو أكثرها هي الخصائص التي يفترض الباحثون أنها موروثاً عن اللغة السامية الأولى التي خرجت عنها كل اللغات السامية. تكتب اللغات السامية بعدة خطوط ولكل خط منها خصائصه الشكلية وإمكاناته التعبيرية فالخط المسماري الذي دونت به اللغة الأكادية يدون الكلمات مقسمة إلى مقاطع، وبذلك احتفظ الخط الأكادي رغم صعوبته بتدوين الحركات مع الصوامت، ومن هذا الجانب تفصح الكتابة الأكادية عن طبيعة الحركات سواء أكانت في وسط

الكلام أم في آخره، وهناك لغات سامية قديمة لم يتح خطها التعرف على الحركات التي كانت بها، فاللغة العربية الجنوبية القديمة واللغة الأجرينية واللغة الفينيقية دون كل منها بخط متميز من الناحية الشكلية، فالخط العربي الجنوبي لا يشبه الخط الأجريني والخط الفينيقي ولكن هذه الخطوط تشترك في سمة أساسية، وهي أنها تدون الصوامت ولا تدون الحركات. وبهذا لا نكاد نتعرف على طبيعة الحركات في هذه اللغات

(194/1)

إلا بالقياس على اللغات الأخرى القريبة من كل واحدة منها. أما اللغات السامية الحية وهي العربية والآرامية واللغات السامية في الحبشة فنستطيع بشكل متفاوت التعرف من طريقة النطق المتوارث عند أبنائها على النطق القديم لهذه اللغات. ويدل وصف الخليل وسيبويه لنطق الأصوات العربية في القرن الثاني الهجري على أن النطق الحالي المتوارث للعربية الفصحى لا يكاد يختلف إلا من جوانب محدودة عن نطقها آنذاك. أما النطق المتوارث للعربية عند اليهود الشرقيين والآرامية عند العارفين بالسريانية القديمة من مسيحي العراق والشام وللغة الجعز عند العارفين بها من أبناء الحبشة فينبغي أن يؤخذ بتحفظ شديد. فقد تغير نطق هذه اللغات لعوامل كثيرة أهمها أنها لم تعد اللغات الأساسية عند أية مجموعة بشرية منذ قرون. فاللغة العربية تستخدم عند هؤلاء استخداماً محدوداً بالطقوس الدينية، أما استخدامها في إطار الصهيونية فقد تأثر تأثراً حاسماً بنطق الأوروبيين للغة العربية. وتحدث الأقليات الآرامية ولهجات تختلف كل واحدة منها عن اللهجات القديمة اختلافاً واضحاً. ولم يعد للغة الجعز أي استخدام في الحبشة منذ قرون، وهي لغة الطقوس الدينية يقرؤها أبناء الأمهرية متأثرين بالأمهرية، وأبناء لغة التيجري متأثرين بها وكذلك أبناء لغة التيجرينا. ولكننا نستطيع رغم كل هذا التعرف بشكل تقريبي على النطق القديم للعربية والآرامية ولغة الجعز. وذلك لأن الخطوط التي كتبت بها هذه اللغات تدون الحركات والصوامت. وبمقارنة الكلمات الأساسية المشتركة في كل اللغات السامية¹ يستطيع الباحث أن يتبين مجموعة من السمات المشتركة المعروفة في القدم، فكل اللغات السامية لا تتمايز أو تختلف أي اختلاف من ناحية أصوات الراء واللام والنون والتاء والذال. فالراء العربية يقابلها راء في الأكادية وراء في العبرية وراء في الآرامية وراء في الحبشية دون أدنى تغيير حقيقي، أما اختلاف نطق

1 انظر القائمة التي أعدها برجشتراسر بالألفاظ المشتركة في اللغات السامية:
.G. Bergstrasser, Einführung s.182-192

(195/1)

الصور الصوتية المختلفة للراء تارة بالتفخيم وأخرى دون تفخيم فيخرج عن إطار بحثنا لعدم إمكان التعرف عليها بالنسبة لأكثر اللغات السامية، وشبيه بهذا أمر اللام التي نجدها في كل اللغات السامية لاما. وكذلك النون والبدال والباء والميم.

ولكن مجموعة من الأصوات المشتركة الثابتة في اللغات السامية كلها قد تعرضت لتغيرات محدودة في النظام الصوتي للعبرية والآرامية، فالباء تنطق مثل الباء الغربية إذا كانت في أول الكلام ولكنها تنطق مثل حرف "V" الأجنبي في الإنجليزية لو كانت غير مشددة ومسبوقة بحركة، والكاف تنطق مثل الكاف العربية في أول الكلام وتنطق خاء إذا كانت غير مشددة ومسبوقة بحركة. وتنطق التاء تاء كما تنطق بعد أي حركة تاء إلخ..... ويلاحظ أن كل هذه التحولات تعبر عن صور صوتية في إطار الوحدة الصوتية الواحدة. وإذا نظرنا إلى هذه التغيرات التي تشترك فيها العبرية والآرامية لاحظنا أنها تعبر عن تطور داخلي في اللغتين وأن هذه الظاهرة التي لا تعرف في باقي اللغات السامية هي من الظواهر التي وجدت في اللغتين ومعنى هذا أنها غير موروثة عن اللغة السامية الأم، أما النطق العربي لهذه الأصوات فيعبر عن النطق الموروث عن اللغة السامية الأم. ومن هذا الجانب يعتبر النطق العربي لهذه الأصوات أقدم من الهجرات السامية.

وهناك مجموعة أصوات نجدها واضحة متميزة في كل أفرع اللغات السامية عدا الفرع الآكادي وهي مجموعة أصوات الحلق مثل العين والحاء، وهنا يمكن افتراض أحد أمرين، إما أن تكون هذه الأفرع اللغوية قد عرفت أصوات الحلق في إطار التغير الذي طرأ على هذه اللغات، وهذا فرض مستبعد، وإما أن تكون الأكادية قد فقدت التمييز بين أصوات الحلق متأثرة في ذلك باللغة السومرية، وهذا هو الرأي المرجح. ومعنى هذا أن أصوات الحلق كانت معروفة في اللغة السامية الأم وعرفت أكثر اللغات السامية باعتبارها من الظواهر الموروثة عن اللغة الأم. وبذلك نستطيع أن نفترض قدم أصوات الحلق في العربية، وأنها كانت موجودة في اللغة السامية الأم قبل أقدم الهجرات أي

قبل عام 2500 ق. م تقريباً أي أن أصوات الحلق في العربية يزيد عمرها على 45 قرناً من الزمن وكذلك كل الخصائص التي نجدها في العربية وننسبها إلى اللغة السامية الأم. ومن الممكن تطبيق هذا المنهج على باقي الظواهر اللغوية في المجالات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. فالظواهر التي تشترك فيها كل اللغات السامية، أو التي تثبت المقارنات أنها كانت موجودة في اللغات السامية القديمة هي ظواهر ترجع إلى اللغة السامية الأم، وعلى العكس من هذا تكون الظواهر التي تختلف من لغة سامية لأخرى، وذلك مثل ظاهرة أداة التعريف، فهي في العربية "أل" سابقة على الاسم، وهي في العبرية الهاء تسبق الاسم، وفي الآرامية فتحة طويلة تأتي بعد الاسم، واختلاف هذه الظاهرة من لغة سامية لأخرى معناه أنها غير مورثة عن اللغة السامية الأم، وأن كل لغة طورت لنفسها أداة للتعريف فاختلفت بذلك أدوات التعريف في اللغات السامية المختلفة.

القوانين الصوتية

مدخل

...

2- القوانين الصوتية:

قد ركز الباحثون جوانب الاختلاف المطرد بين الأصوات في اللغات السامية في شكل قوانين تسجل أوجه التقابل الصوتي¹. ويمكن استخراج قوانين التقابل الصوتي في اللغات السامية من مقارنة الألفاظ الأساسية المشتركة في هذه اللغات، وذلك تجنباً للانطلاق من ألفاظ غير مشتركة ودخيلة. ونوضح فكرة القوانين الصوتية في ضوء عدد من أهم هذه القوانين في اللغات السامية.

1 انظر: Brockelmann, Grundriss I, 125-136

الثاء العربية ومقابلتها في اللغات السامية:

تدل مقارنة مجموعة من الألفاظ الأساسية في اللغات السامية والتي جاء في

(197/1)

العربية صوت الثاء¹ أن الأكادية تعرف مكانها صوت الشين، وأن العربية تعرف في مكانها الشين أيضاً، لكن الآرامية تعرف الثاء، والحبشية تعرف السين في نفس المواضع. ويتضح هذا من الأمثلة التالية:

وهنا نلاحظ اطراد بعض التغيرات، فالثاء العربية تقابلها الشين في الأكادية والعبرية، وتكتب الشين في الخط الصوتي بعلامة السين وفوقها علامة مميزة تكاد تكون بديلاً مرئياً عن نقط الشين العربية بشكل معكوس وليس من الممكن تصور أن الشين هنا هي الصوت الأصلي في اللغة السامية الأم، بل من الممكن تفسير كل الأصوات الموجودة هنا باعتبار أن الثاء تمثل الصيغة الأقدم، وأن الشين والطاء والسين تمثل تطورات خاصة بكل لغة من هذه اللغات على حدة، ونكتفي هنا ببيان تحول الثاء التي افترضناها في اللغة السامية الأم والموجودة في العربية إلى تاء في الآرامية فهذا التغير عبارة عن تحول نطق الأصوات بين الأسنان مثل الثاء والذال إلى المقابلات الأسنان الثاء والذال على نحو ما حدث في تغير العربية الفصحى إلى لهجات مصر والشام، والطاء في العربية يقابلها في هذه اللهجات كما يقابلها في الآرامية صوت الثاء، نجد هذا واضحاً في الكلمات اثنين، اتنين، ثعلب، ثعلب، في العربية وكذلك في اسم الإشارة: ذا، ده، ذه، دي فالتغير الذي حدث للثاء السامية الأولى إلى تاء في الآرامية مواز للتغير

Bergatasser, Einfuhrng s. 183 1.

(198/1)

الذي حدث بعد ذلك عندما تحولت الثاء في العربية الفصحى إلى تاء في اللهجات العربية في مصر والشام. وفي هذا دليل على قدم الثاء العربية وأنها رغم اختلاف

مقابلاتها في اللغات السامية الأخرى تعد امتداداً مباشراً للثاء في اللغة السامية الأولى أي قبل الهجرات السامية.

(199/1)

الضاد العربية ومقابلاتها في اللغات السامية:

وصفت العربية بأنها لغة الضاد وكأن الضاد لم تأت إلا في العربية. والواقع أن الضاد من الأصوات التي تشترك فيها العربية الشمالية مع العربية الجنوبية القديمة. ويقابلها في اللغات السامية الشمالية الضاد في العبرية والآرامية، والعين في الآرامية يتضح هذا من المثال التالي 1:

وتعد الضاد هنا سمة من سمات العربية الشمالية والعربية الجنوبية. ويرى أكثر الباحثين أن الضاد تمثل الصوت الأقدم في هذه المجموعة، ولكن هناك اختلافاً في معرفة كيفية نطق تلك الضاد في اللغة السامية الأولى فضلاً عن نطقها العربي القديم الذي لا يزال موضوع خلاف بين الباحثين. ويعد التقابل بين الضاد العربية والعين الآرامية من الظواهر المؤكدة التي يصعب إيجاد تفسير صوتي لها. وفي كل الأمثلة السابقة لاحظنا وجود ضمة الرفع في الصيغة الآرامية. ويعد الإعراب رفعاً ونصباً وجرّاً من السمات المشتركة للعربية والآرامية مما

1 انظر Bergatasser, Einfuhrung s.185.

(199/1)

يشير إلى كونه موروثاً من اللغة السامية الأولى، كما لوحظ في الأمثلة السابقة انتهاء الصيغة الآرامية بفتحة طويلة كانت تدل على كون الكلمة معرفة. وبغض النظر عن عدد من الأصوات التي تغيرت في اللغة العربية عنها في السامية الأولى، فإن أصوات العربية تعد بصفة عامة امتداداً مباشراً للأصوات التي افترض العلماء وجودها في اللغة السامية الأولى قبل الهجرات السامية.

(200/1)

أصوات عربية تختلف عن السامية الأولى

مدخل

...

3- أصوات عربية تختلف عن السامية الأولى:

تعد الأصوات العربية عمومًا امتدادًا مباشرًا للأصوات في السامية الأولى وأغلب الظن أن بضعة أصوات في العربية قد اختلفت عنها في اللغة السامية الأولى. ومن هذه الأصوات العربية الفاء ومجموعة أصوات السين والشين 1.

1 انظر: brockelmann, grundriss I 136

براجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية ص 14.

bergstrasser, einfuehrung 148.

(200/1)

الفاء العربية والباء المهموسة السامية:

يقابل الفاء في العربية صوت آخر في اللغات السامية الأخرى وهذا الصوت الآخر هو الباء المهموسة "P" ويتضح هذا التقابل من الجدول التالي لكلمة فم العربية وما يقابلها اشتقاقًا في اللغات السامية الأخرى.

وهنا نلاحظ اتفاق اللغات السامية -عدا العربية- في وجود صوت الباء

(200/1)

المهموسة في هذه الكلمة، مما يرجح أن هذا الصوت كان موجودًا على هذا النحو في اللغة السامية الأولى، ومعنى هذا أن صوت الفاء العربية ليس امتدادًا مباشرًا للغة السامية بل هو ثمرة تغير صوتي؛ فقد تحولت الباء المهموسة وهي صوت شفوي ينطق بالتقاء الشفتين تمام الالتقاء إلى صوت الفاء، وهو صوت شفوي أسناني ينطق بالتقاء الشفة السفلى والأسنان العليا، أي أن الباء المهموسة والفاء لا تختلفان إلا من ناحية المخرج بدرجة ما، فالشفة السفلى تشترك في نطقها ولذا لم يكن من الصعب حدوث

هذا التغير. فالفاء العربية إذن صوت نتج عن صوت الباء المهموسة في اللغة السامية الأولى.

(201/1)

السين والشين العربيتان وأصولهما السامية:

وهناك فرق آخر بين الأصوات العربية والأصوات التي افترض الباحثون وجودها في اللغة السامية الأولى، ويتعلق هذا الفرق بمجموعة أصوات السين والشين، وتضم هذه المجموعة في العربية صوتين فقط هما السين والشين، ولكنها تضم في لغات سامية أخرى مثل المهرية ثلاثة أصوات هما السين الجانبية والسين والشين، وتضم الكتابة العبرية رمزاً للسين ورمزاً للشين ورمزاً ثالثاً لحرف السامخ مما يشير إلى وجود ثلاثة أصوات في هذه المجموعة في العبرية، وقد أثبت البحث المقارن أن اللغة السامية الأولى كانت تضم ثلاثة أصوات تحولت في العربية إلى صوتين اثنين¹ لقد نشأت السين العربية عن صوتين اثنين أحدهما السين السامية الأولى والثاني الشين السامية الأولى. أما ذلك الصوت الثالث الذي افترض وجوده في اللغة السامية الأولى فقد ظل موجوداً في المهرية، وتحول في العربية والحبشية والأكدية إلى شين. ويتضح توزيع هذه الأصوات من الجدول التالي

1 انظر Bergatasser, Einfuhrung I, 128

برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية ص 14-15

(201/1)

ويوضح هذا الجدول مدى تعقد العلاقات بين هذه الأصوات ونكتفي هنا بملاحظة أن السين العربية تمثل السين السامية الأولى من جانب كما تمثل الشين السامية الأولى من الجانب الآخر، أما الشين العربية فتمثل السين الجانبية المفترضة في اللغة السامية الأولى. وهكذا أوضحت الدراسة المقارنة لأصوات اللغات السامية عدة قوانين تلخص التقابل الصوتي وأثبتت هذه القوانين الصوتية أن اللغة العربية تمثل بصفة عامة أصوات اللغة السامية الأولى، غير أن بعض أصوات العربية ثمة تغير لغوي في العربية جعلها تختلف عن السامية الأولى.

4- الضمائر:

يتناول التحليل المقارن لبنية الكلمة كل مفردات اللغة، وبهذا يتناول المنهج المقارن أنواعًا من الكلمات كانت خارج إطار التحليل الصرفي عند النحاة العرب. وأهم هذه الأنواع **الضمائر** وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأسماء الاستفهام ويصنف علم اللغة الحديث كل هذه الأنواع تحت اسم

"الضمائر"، وتضم الضمائر بالمعنى الحديث الضمائر الشخصية وضمائر الإشارة والضمائر الموصولة وضمائر الاستفهام¹ وإذا كان التحليل الصرفي عند النحاة العرب لا يتناول هذه الكلمات، فإنها تكون أحد موضوعات البحث في علم اللغة المقارن إلى جانب البحث في الأسماء "الأخرى" والأفعال والأدوات. ويقوم تحليل الضمائر العربية في ضوء اللغات السامية على أساس تحليل صيغة كل ضمير إلى مكوناتها.

1 انظر القسم الخاص ببحث **pronomina** في كتاب: brockelmann, grundriss I 297 ff.

وكذلك: برجشتر اسر: التطور النحوي للغة العربية ص 47 وما بعدها.

يلاحظ من الجدول السابق أن الضمائر الشخصية المنفصلة للمفرد ترتبط عناصرها المكونة بأحرف المضارعة. ويتضح أيضا من مقارنة صيغ الضمائر الشخصية المنفصلة في اللغات السامية أنها تتكون بعناصر مأخوذة من السوابق التي يتكون بها صيغ الفعل المضارع "أحرف المضارعة" أو من اللواحق التي يتكون بها صيغ الفعل الماضي "ضمائر الرفع المتصلة"

ومعنى هذا أن صيغ الضمائر الشخصية المنفصلة في اللغات السامية تضم عناصر أساسية تشترك فيها اللغات السامية، وهذه عناصر موروثية مغرقة في القدم، وقد كونت اللغات المختلفة الصيغ المختلفة للضمائر الشخصية المنفصلة من عناصر مأخوذة من سوابق المضارع كما هي حال الصيغ العربية المذكورة أو من عناصر مأخوذة من الضمائر الشخصية المتصلة كما هي حال الضمير الأكادي المذكور. وتختلف صيغ الضمير الشخصي المتصل بالماضي للمتكلم المفرد من لغة سامية لأخرى، فهو في بعض اللغات يتكون من الكاف وفي لغات أخرى يتكون من التاء

(204/1)

ويرجح الباحثون هنا أن اللغة السامية الأولى كانت تستخدم الكاف في هذا الموضع وأن العربية والعبرية اختلفتا بذلك من هذا الجانب عن اللغة السامية الأم. ويقوم هذا الرأي على أساس أن الكاف كانت ضمير المخاطب وأن التاء كانت ضمير المتكلم في اللغة السامية الأم، ثم استخدمت العربية التاء للمتكلم والمخاطب معا، وميزت بعد التاء بالضممة والفتحة والكسرة بين الصيغ المختلفة. وهكذا يوضح المنهج المقارن العناصر المكونة لصيغ الضمير من جانب كما يوضح عناصرها القديمة الموروثة عن اللغة السامية الأولى، وعناصرها المتكونة في إطار اللغة العربية.

(205/1)

5- الأسماء الثنائية:

تقوم فكرة الميزان الصرفي عند النحاة العرب على أساس أن أكثر الألفاظ العربية من أصل ثلاثي وقد أثبت البحث المقارن في اللغة السامية أن الأصل الثلاثي كامن وراء أكثر كلمات اللغات السامية وفي نفس الوقت ظهر عن طريق المقارنة بين مجموعة من الكلمات يمكن أن ترد إلى أصول ثنائية. والأصل هنا هو الصيغة الأقدم التي خرجت عنها الصيغ الأخرى الأحدث وهنا فرق بين منهج النحاة العرب ومنهج علماء اللغات السامية بخصوص تحديد الأصل، كان العلماء العرب يحاولون التوصل إلى أصل الكلمة بتقليب الكلمات المشتقة من نفس المادة في العربية، ولكن علم اللغة المقارن يحاول

التعرف على الأصل التاريخي بمقارنة كل الكلمات السامية المنتمية إلى جذر واحد في محاولة لتحديد

(205/1)

الأصل الذي صدرت عنه كل هذه الكلمات. ولا شك أن الضمائر وأكثر الأدوات تخرج عن إطار الأصل الثلاثي. والبحث في قضية الثلاثية والثنائية يتناول الأسماء والأفعال التي يمكن أن ترد إلى أصل ثنائي¹. ويمكن تصنيف الألفاظ التي يردها العلماء إلى أصل ثنائي إلى عدة مجموعات من أهمها مجموعة الأسماء الدالة على القرابة، ومجموعة الأسماء الدالة على أعضاء جسم الإنسان. تعد الكلمات أب، أم، أخ، حم، ابن، من أصل ثنائي وقد تطورت هذه الكلمات في اتجاه الثلاثي لإحداث هذا التطور في عدة اتجاهات أحدها يجعل حركة الإعراب طويلة فيكون الرفع بضمة طويلة أبوك والنصب بفتحة طويلة أباك والجر بكسرة طويلة أبيك غير أن هذه الكلمات تحتفظ بثنائيتها عندما تضاف إلى ضمير المتكلم أي، حمي، أخي والاتجاه الثاني لجعل هذه الكلمات متوازنة مع الثلاثي كان بتشديد الصامت الثاني في الكلمات أب أم أخ حم. ونجد هذا في لهجات عربية كثيرة، أما كلمة "بن" فقد وسعت صيغتها بألف الوصل وتظهر هذه الكلمة بالباء والنون في الآشورية والعبرية والعربية ولكنها في الآرامية والمهربية بالباء والراء، وتدل صيغ الجمع في الآرامية والمهربية بالإضافة إلى صيغ المفرد والجمع في اللغات السامية الأخرى على أن أصل هذه الكلمة هو الباء والنون كما في العربية، وأما صيغة المفرد في الآرامية والمهربية فهي تطور خاص باللغتين ولا يعكس الصيغة الموروثة من اللغة السامية الأم. هناك مجموعة ألفاظ ذات أصل ثنائي في اللغات السامية وتدل على أعضاء

¹أهم الدراسات حول قضية الأسماء ذات الأصل الثنائي ما كتبه نولدكه:

Noldeke, zweiradikalige substantive, in: neue beitrage zur semitischen sprachwissenschaft, s. 109–178.

(206/1)

جسم الإنسان منها كلمة "يد" وكلمة "دم" وكلمة "رئة" وكلمة "لثة".
ترد كلمة يد في اللغات السامية كلها مكونة من الباء والذال مما يشير إلى ثنائية أصل هذه الكلمة. غير أن بعض اللهجات العربية حاولت جعل هذه الكلمة في شكل الثلاثي بأن شددت الدال، وحاولت لهجات عربية أخرى جعلها ثلاثية بإضافة همزة في أول الكلمة.

أما كلمة "دم" فهي من أصل ثنائي أيضا كما تشهد بذلك الصيغ في العربية الفصحى وغيرها من اللغات السامية. أما الصيغة التي تعرفها بعض اللهجات العربية بتثنية الميم فترجع إلى الاتجاه العام لجعل هذه الكلمة الثنائية الأصل في شكل ثلاثي مثل أكثر الكلمات العربية.

أما الكلمات "رئة" و"لثة" و"شفة" فتعد من أصل ثنائي تطور بإضافة تاء التأنيث إلى الأصل الثنائي.

وهناك كلمة ترد إلى أصل أحادي وهي كلمة الفم: فوك، فيك، فاك فالأصل المشترك هو الفاء التي ترد في اللغات السامية أصلا لهذه الكلمة وقد تكونت الصيغ العربية من هذه الفاء مع حركة طويلة في الرفع والنصب والجر، أما الميم التي تظهر في كلمة فم فيمكن أن تكون راسبا من رواسب ظاهرة التميم وهي ظاهرة تقابل التنوين في بعض اللغات السامية.

وقد أوضح البحث ثنائية كلمات أخرى كانت موضع خلاف بين النحاة العرب. وقد اختلفوا قديما في كلمة اسم أهي مشتقة من السممة أم من السمو¹، وأثبت البحث المقارن أن الأصل ثنائي هو الشين والميم في اللغة السامية الأم بدليل الصيغ السامية المختلفة. وبمراعاة أن الشين السامية الأم قد تغيرت إلى سين عربية يتضح أن الصيغة ذات أصل ثنائي، أما ألف الوصل التي أدخلت على الصيغة العربية فكانت لجعل الكلمة مشابة للألفاظ الثلاثية ولإحداث نوع من التوازن مع أكثر الكلمات العربية.

1 انظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، "المسألة الأولى" في تحقيق قابل ص 1-6

ونولده "البحث المذكور في 9" ص 140-143.

6- الأفعال

هناك مجموعة من الأفعال التي نعرفها في شكل ثلاثي، ويمكن ردها بالمقارنة إلى أصل ثنائي. وتنظم هذه الأفعال في مجموعتين:

- أ- أفعال تبدأ بالسين مثل: سكب بالمقارنة مع كب، فواضح هنا تقارب المعنيين وتقارب الصيغة مما يشير إلى كون الأصل الكاف والباء وأن الصيغة قد وسعت في اتجاه الثلاثي بإضافة السين في أولها أو بتشديد الحرف الثاني "قارن خف، سحف".
- ب- أفعال تبدأ بالنون مثل: نقص بالمقارنة مع قص، فمعنى الكلمتين متقارب، والصيغتان ترجعان إلى أصل ثنائي وسَّع بإضافة النون قبل الأصل الثنائي أو بتشديد الحرف الثاني من الأصل. "قارن جس ونجس وكذلك ذل ونذل"، ويمكن جمع مزيد من الأمثلة بتتبع الظاهرتين في المعجم العربي

(208/1)

7- تحديد الجذور في ضوء المقارنات:

توضح الدراسات المقارنة عدة حقائق تجاه تحديد الجذور في بعض الكلمات. لقد ورد الفعل "هرق" في اللغة العربية وكأنه من الجذر "هرق" 1 والواقع

1 انظر: فصيح ثعلب. مادة هرق.

في باب: "فعلت بغير ألف".

(208/1)

أن الهاء هنا ليست أصلية، بل هي هاء وزن "هَفْعَل"، وهذا الوزن قياسي في العربية والعربية الجنوبية في مقابل وزن "أَفْعَل" في العربية الشمالية، ولعل مقارنة كلمة أراق وكلمة هراق بنفس المعنى توضح لنا أن الأولى بوزن أَفْعَل وأن الثانية بوزن هَفْعَل، وكلا الوزنين للتعدية في اللغات السامية. وعلى ذلك فكلمة هراق بوزن هفعل، ومن الممكن أن تكون دخيلة من العربية الجنوبية، ومن الممكن أيضاً أن تكون راسباً من اللغة السامية الأولى إذا افترضنا أنها عرفت أيضاً وزن هفعل للتعدية، ويصدق ما ذكرناه حول كلمة هراق على كلمات أخرى في العربية مثل: هجرع، هيلع ... إلخ. وقد يكشف

بحث الكلمات المبدوءة بالهاء في العربية عن أمثلة كثيرة من هذا النوع الهاء فيها زائدة لا أصلية.

وإذا كان ثمة خلافا في تحديد الحروف الأصول في كلمة مدينة¹ فإن بحثها في ضوء اللغات السامية يوضح أن الميم زائدة، ففي العربية والعبرية نجد كلمة "دين" بمعنى القانون وفي الآرامية "دينا". كما نجد في العبرية "بيت دين" بمعنى المحكمة، وفي العربية والعبرية ديان بمعنى القاضي، وقد ظهرت كلمة مدينة في الآرامية في منطقة الشام قبل الإسلام بمعنى المنطقة الإدارية أو الدائرة القضائية مرتبطة بهذا المعنى القضائي الذي ما زلنا نجد في كلمات عربية مثل دائن، مدين، أدان، إدانة... إلخ.

وعندما أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم على يثرب اسم المدينة كان هذا الاستخدام مرتبطاً بظهور الدولة الإسلامية الصغيرة حول الرسول وهو يحكم في المدينة وهكذا توضح الدراسة المقارنة جوانب مختلفة في تحديد الجذور في كلمات عربية مختلفة.

1 انظر: مادة: مدن، دين، في المعاجم العربية.

(209/1)

8- الألفاظ المشتركة:

العلاقة بين الألفاظ العربية وما يقابلها اشتقاقياً في اللغات السامية الأخرى تتناول موضوعين اثنين. فهناك ألفاظ تشترك فيها اللغات السامية بصفة عامة

(209/1)

وترجع إلى اللغة السامية الأم. وإلى جانب هذا فهناك ألفاظ دخلت من إحدى اللغات السامية إلى لغة سامية أخرى، كأن تدخل كلمة عربية إلى الحبشية أو كلمة عبرية إلى الآرامية.. إلخ. ومعنى هذا أن البحث يتناول الألفاظ السامية المشتركة من جانب. والألفاظ الدخيلة من لغة سامية لأخرى من الجانب الآخر.

هناك مجموعة من الألفاظ المشتركة في اللغات السامية، والمقصود بذلك أن جذورها الاشتقاقية مشتركة، وليس معنى هذا أن معناها متفق في اللغات السامية المختلفة كل الاتفاق، فالنغير الدلالي ظاهرة معروفة في إطار اللغة الواحدة فضلاً عنه في إطار الأسرة

اللغوية الواحدة، فكلمة "لحم" تعني في العربية شيئاً مخالفاً لما تعنيه كلمة **Lehem** في العربية، فالأخيرة تعني الحبز واضح أن الكلمتين العربية والعبرية من جذر اشتقاقي واحد هو ل ح م. ويتفق معنى هذا الجذر اتفاقاً بعيداً في أن المقصود هو الأكل اليابس غير السائل، ولكن اختلاف معنى الكلمتين قد جعل كلا منهما تتخصص بمعنى آخر يوضح فكرة وحدة الأصل الاشتقاقي وتغير دلالات الكلمات المشتقة منه في اللغات السامية المختلفة. فكلمة "أهل" في العربية يقابلها في العبرية **Ohel** هما من أصل واحد هو همزة وهاء ولام. ولكن الكلمة العبرية تعني "الخيمة" ولا تعني أي شيء آخر، أما الكلمة العربية فتعني الأسرة عموماً أو الزوجة بصفة خاصة. وهناك علاقة بين المعنيين يمكن تصورها بأن المجتمع البدوي أشبه وصف الخيمة أو الزوجة التي بها أو الزوجة أو الأولاد الذين بها بنفس الكلمة، لقد تغير المعنى وتحدد باختلاف دلالة الكلمة العبرية عن الكلمة العربية المقابلة لها اشتقاقاً، فلا شك أن الزوجة تختلف عن الخيمة فالمعجم الاشتقاقي للغات السامية وأية دراسة للمقابلات السامية من ناحية المفردات تبحث الكلمات التي انحدرت من أصل اشتقاقي واحد ثم يبحث مدى الاتفاق أو الاختلاف الدلالي بعد ذلك.

(210/1)

9- الدخيل في ضوء القوانين الصوتية:

وتحديد أية كلمة مشتركة في لغتين ساميتين موروثه فيهما من اللغة السامية الأم أو دخيلة من إحدى اللغتين إلى اللغة الأخرى، إنما يتم بمعيار لغوي في المقام الأول. وهذا المعيار الذي ارتضاه البحث الحديث يدخل في إطار التطبيقات المباشرة لفكرة القوانين الصوتية وليس هذا المعيار جديداً كل الجدة فقد عرف اللغويون العرب وجود مقابلات مطردة بين العربية والآرامية. وهناك مثالان ذكرهما الجواليقي، ت540هـ، في كتابه "المُعَرَّب"1 يوضحان أنه طبق فكرة القوانين الصوتية لإثبات كون الكلمة دخيلة في العربية، ذكر الجواليقي أن كلمة "الناطور" من المعرب وأنها تعني حافظ النخل والشجر وقد استدل على كونها عربية الأصل بما ذكره الأصمعي أن المقابل العربي لهذه الكلمة هو "الناطور" بالطاء والواقع أن الطاء العربية يقابلها طاء في الآرامية، وهذا قانون من القوانين الصوتية المطردة، وكان الجواليقي قد لاحظ اطراد التقابل بين الطاء العربية والطاء الآرامية فالمادة "نظر" في العربية لا بد وأن يقابلها "نطر" في الآرامية؛ يقول الجواليقي والنبط تجعل الطاء

طاء وتدل كلمة النبط عند الجواليقي على البيئة اللغوية الآرامية ويبدو أن هذا يرجع إلى أن النبط كانوا من أقرب مستخدمي اللغة الآرامية إلى العرب، واستدل الجواليقي على اطراد هذا القانون الصوتي بكلمة: "برطلة" وتعني ابن الظل والواقع أن كلمة "بر" في الآرامية تعني "ابن" في العربية وأما الكلمة الثانية فتنتهي بفتحة طويلة، دونت تاء مربوطة للدلالة على التعريف وباقي الكلمة متفق مع الكلمة العربية ظل إلا في التقابل بين الطاء العربية والطاء الآرامية. وبهذا عرف الجواليقي معتمدًا على ملاحظات اللغويين في القرن الثاني الهجري مثل الأصمعي فكرة القوانين الصوتية بين العربية والآرامية وطبقها تطبيقًا محدودًا للتعرف على عدم

1 انظر: المعرب للجواليقي، ص 334، ص 68

(211/1)

أصالة الكلمة في العربية ولتحديد أصلها. وقد ارتضى البحث الحديث تطبيق فكرة القوانين الصوتية باعتبارها المعيار الأول لتحديد أصالة الكلمة أو عدم أصلتها من الناحية الاشتقاقية¹ ونوضح هذه الفكرة بمجموعة أمثلة تنتمي إلى المادة العربية "ثغر" وما يقابلها وفق القوانين الصوتية في اللغات السامية المختلفة. الثاء العربية تعبر عن الثاء في اللغة السامية الأم. ويقابلها الشين في العبرية والطاء في الآرامية، أما الغين العربية فيقابلها في الآرامية والعبرية صوت العين ومعنى هذا أن المقابل الاشتقاقي المباشر للمادة العربية "ث غ ر" هو "ش ع ر" في العبرية و"ت ع ر" في الآرامية. وهذا ما نجده في الكلمات "ثغر" في العربية وsaar في العبرية. و tara في الآرامية، وواضح أن هذه الكلمات من جذر اشتقاقي واحد وقد طرأ على الكلمة الآرامية قلب مكاني وألحقت بها الفتحة الطويلة التي كانت أداة التعريف في الآرامية أما معنى هذه الكلمات فمتقارب لكنه غير متفق مثل كثير من الكلمات ذات الأصل الاشتقاقي الواحد، المعنى الأساسي لكل هذه الكلمات هو معنى الفتحة فتدل كلمة ثغر في العربية على منافذ الدولة نحو الخارج ونقط الحدود، فكانت توصف منطقة الحدود العربية البيزنطية بأنها الثغور. وعندما تطورت دلالة هذه الكلمة إلى معناها الحديث في العربية تحدد معناها بالمنافذ البحرية للدولة وكانت من قبل تدل على المنافذ البحرية أو البرية دون تخصيص. يضاف إلى هذا استخدام كلمة "ثغر"

بمعنى فتحة الفم، أما في العبرية فتدل كلمة "شعر" على الباب أو المدخل، وتدل الكلمة الآرامية "ترعا" على الباب أو المدخل أو الشيء الموصل إلى شيء آخر، وعندما انتقلت الصيغة الآرامية المذكورة إلى العربية احتفظت بسمتين أساسيتين دلتا على كونها غير أصلية في العربية ودخيلة من الآرامية، وهما وجود التاء - لا التاء

1 انظر مثلاً:

برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية ص 140-154

(212/1)

وجود الفتحة الطويلة في آخر الصيغة وكلاهما من السمات المميزة للصيغة الآرامية وحدث تخصيص دلالي عندنا انتقلت هذه الصيغة الآرامية إلى العربية فأصبحت تدل في العربية على المجرى المائي الموصل من منطقة إلى منطقة.

(213/1)

10- المقارنات اللغوية وتاريخ الألفاظ:

وتوضح المقارنات اللغوية تاريخ كثير من الألفاظ العربية. فالألفاظ التي وردت في الشعر الجاهلي أو في المعاجم العربية أو في القرآن الكريم لا ترجع من الناحية الاشتقاقية التاريخية إلى مرحلة واحدة. ففيها ألفاظ مغرقة في القدم وفيها ألفاظ أحدث عهداً. ويمكن بصفة عامة اعتبار الألفاظ المشتركة في اللغات السامية عمومًا أو المشتركة بين العربية والآكادية بصفة خاصة من ذلك التراث اللغوي الذي عرفته اللغة الأساسية الأم قبل أن تبدأ الهجرات إلى العراق والشام، أي أن هذه الألفاظ ترجع إلى ما قبل سنة 2500 ق. م أما الألفاظ التي تجدها في الشعر الجاهلي أو القرآن الكريم أو المعاجم العربية ولا نجد مقابلها الاشتقاقي في اللغات السامية القديمة فهذه ألفاظ دخلت العربية أو كونتها العربية في الفترة ما بين الهجرات وتأليف الشعر الجاهلي أو نزول القرآن الكريم، ونوضح هذه القضية ببحث مجموعة ألفاظ دلت في مستويات لغوية متعاقبة على الرجل والمرأة وعلاقتهم. تشترك اللغات السامية كلها في كلمتي "ذكر" و"أنثى" وينطبق على صيغ الكلمتين في الآكادية والعبرية والآرامية القوانين الصوتية الخاصة

بالأصوات المكونة دون أدنى شذوذ وهذا يدل على أن كلمتي "ذكر" و"أنثى" من المعجم السامي المغرق في القدم الذي عرفته اللغة السامية الأم قبل أن تبدأ الهجرات السامية حوالي سنة 2500ق. م ولكننا نجد في العربية كلمتين آخرين هما "بعل" و"زوج" ولكل كلمة من الكلمتين نشأة مغايرة ولكن معناهما يفهم كوحدة تضاد دلالي، وترجع كلمة "بعل" إلى المعجم.

(213/1)

السامي القديم وهي معروفة في أكثر اللغات السامية وتعني الإله أو الرب أو السيد. ولكن استخدامها بمعنى الرجل المتزوج ارتبط بوجود كلمة "زوج" وترجع كلمة زوج إلى أصل غير سام فهي من الكلمة اليونانية **Zeugos** التي دخلت الآرامية أول الأمر فكانت بصيغة تنتهي لا بالنهاية اليونانية **os** بل بالنهاية الآرامية وهي الفتحة الطويلة ولذا فالصيغة الآرامية "زوجًا" تكونت إلى جانب الصيغة غير المنتهية بأداة التعريف "زوج" ثم انتقلت هذه الكلمة إلى العربية واتخذت فيها ذلك المعنى المقابل لمعنى كلمة "بعل" فالبعل هو الرجل المتزوج وزوجته هي "الزوجة" وظل هذا الاستخدام سائدًا إلى أن لاحظ الأصمعي أن بعض أبناء عصره يستخدمون كلمة زوجة وأنكر الأصمعي هذه الصيغة واعتبرها لحنا¹. ويمكن تفسير ظهور هذه الصيغة أحد تفسيرين: أحدهما أنها الصيغة العامة التي استمرت من الآرامية. والثاني أنها محاولة لإضافة علامة التأنيث إلى الصيغة دالة على المؤنث. وفي القرون التالية لما لاحظ الأصمعي أصبح التقابل الدلالي بين كلمة زوج الدالة على الرجل المتزوج وكلمة زوجة الدالة على المرأة المتزوجة أي أن وجود كلمتي زوج وزوجة جنبًا إلى جنب أدى إلى أن تختص الكلمة الأولى بالمذكر والثانية بالمؤنث. وبهذا المعنى استمر استخدام الكلمتين في النصوص العربية إلى اليوم. ويعكس التحول في التسمية من "ذكر، أنثى" إلى "بعل، زوج" تحول الإنسان من الوصف البيولوجي البسيط الذي حددته الطبيعة إلى العلاقة الاجتماعية التي جعلت منه إنسانًا يسهم في تكوين الحضارة. أما التحول في "بعل، زوج" إلى "زوج، زوجة" فقد أدى إلى اختفاء كلمة بعل فلم يبق لها وجود حي في اللغة العربية إلا في بعض أسماء الأماكن في لبنان مثل بعلبك إله البقاع أو الإله باخوس وبعل شمية = إله السماء

1 حول رأي الأصمعي في هذه الكلمة، انظر:
الموشح للموزباني ص 283-284

(214/1)

واختفت الكلمة 1 عندما ظهر التقابل الجديد بين "زوج، زوجة".
ولكن اللغة العربية ذات قدرة كبيرة على الاستفادة من الجذور الأصلية والدخيلة فيها
ولذا صيغت كلمات كثيرة من مادة "ز - و - ج" كما لو كانت هذه المادة عربية
سامية. ولذا ظهرت الكلمات التالية: زوج - تزويج - زواج - مزاج - مزدوج -
ازدواج..... إلخ
وبهذا يمكن عن طريق القوانين الصوتية وتتبع المجموعات الدلالية وانتقال الألفاظ من
اللغات السامية وغير السامية إلى العربية تأريخ جوانب مختلفة من حياة الألفاظ العربية.

1 لم أدخل في الاعتبار وجود كلمة "بعل" في لهجات العراق، وفي اللغة المهرية - دون
عين، وفي صيغة النسبة: بعلي الموجودة في لهجات منطقة الشام وصفًا للأراضي التي
تروى بمياه الأمطار. وفي هذه الأمثلة نجد كلمة "بعل" بمعنى السيد الزوج، أو الإله،
"بعلي" بمعنى ما يأتي به الإله.

(215/1)

الفصل الثاني عشر: العربية في جزيرة العرب

النقوش العربية القديمة

مدخل

...

الفصل الثاني عشر: العربية في جزيرة العرب

1- النقوش العربية القديمة:

كشفت الدراسات الميدانية التي قام بها عدد من الأوروبيين في منطقة شمال الجزيرة العربية
ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم عن عدة آلاف من النقوش 1. وقد
لوحظ أن بعض هذه النقوش مكتوب بعناية وبإتقان، فلكل حرف شكله الواضح

المتميز، ولكن بعض هذه النقوش لم تكتب بعناية، ولذا لا يتخذ كل حرف ملامح واضحة متميزة، ويطلق على النوع الأول مصطلح نقش **inscription**، بينما يسمى النوع الثاني باسم الجرافيتي

1 بدأ اكتشاف هذه النقوش على يد **Doughty** "1867-1877"
ونشرت أقدم مجموعة من هذه النقوش في **Ch. Doughty**
documents epigraphiques recueillis dans le nord
.l'arabia paris 1884
وحول تاريخ هذه الكشوف انظر ما كتبه ليتمان:
E. Littmann, thamud und safa, s. 1-6, 92, 92-95
leipzig 1940

(217/1)

Craffiti1

أي المخريشات. وقد أمكن تقسيم هذه النقوش الكثيرة إلى عدة مجموعات أهمها:
مجموعة النقوش الثمودية، مجموعة النقوش الصفوية، ومجموعة النقوش اللحيانية. ويقوم
هذا التقسيم على عدة معايير متكاملة، أهمها: أماكن وجود النقوش، الخصائص اللغوية،
خصائص الكتابة. ومجموع هذه المعايير يحدد لنا كون نقش بعينه صفويًا أو ثموديًا أو
لحيانيًا.

1 يرجع مصطلح **inscriptions** إلى الكلمة اللاتينية المركبة **inscriptio**
وتعني الكتابة أو الكتابة الغائرة. أما كلمة **graffito** فهي اصطلاح أوربي يرجع إلى
الإيطالية.

(218/1)

النقوش الثمودية:

تنسب النقوش الثمودية 1 إلى قبيلة ثمود، التي ورد اسمها في هذه النقوش كما ورد اسمها

في آيات كثيرة من القرآن الكريم وجاءت قصة أهلها فيه. وقد أثار بعض الباحثين قضية كون كتاب هذه النقوش قبيلة واحدة أو عدة قبائل تعاملت بنفس اللغة² وليس لهذا التساؤل أية إجابة، لأن النقوش هي مصدرنا الوحيد للتأريخ لكتاب هذه النقوش، وليس هناك تحديد واضح لكلمة قبيلة، فإذا كان كل تجمع بشري يحس بنوع من الانتماء العرقي يمكن أن يعد قبيلة، فمن الممكن أن تنشطر القبيلة الواحدة إلى قبيلتين أو أكثر. ولكن الثابت أن الثموديين كونوا جماعة لغوية واحدة، وهذا ما يهمنا في إطار البحث اللغوي.

وجدت **النقوش الثمودية** في منطقة مدائن صالح غرب الجزيرة

1 أهم مجموعات النقوش الثمودية المنشورة:

A. van den branden. les inscriptions
.thamoudeennes. louvain 1950

2 حول هذه القضية انظر ما كتبه:

A. van den branden. histoire de thamoud. p. 21.
.bayrouth 1966

(218/1)

العربية في مناطق أخرى محددة مجاورة لها مثل مدينة العلا " = ديدان، في التاريخ القديم" كما وجدت في حائل وتيماء وتبوك، وهناك عدة نقوش ثمودية تتناول أشياء شخصية لا ترتبط بقرائن تاريخية أو أحداث مهمة تمكن من تأريخ هذه النقوش، ولذا فليس من الممكن تحديد زمن تدوين أكثر هذه النقوش على نحو مباشر، والتاريخ الوحيد المؤكد هو تاريخ نقش ثمودي مواز لنقش نبطي وكلاهما من سنة 162 بعد سقوط دولة النبط فقد كان عرب شمال الجزيرة العربية يؤرخون بسقوط دولة النبط سنة 105م، أي أن النقش الثمودي المقصود يرجع إلى سنة 267م ويميل الباحثون إلى تأريخ النقوش الثمودية اعتماداً على قرائن أخرى خاصة بأشكال الحروف، فالحروف المتشابهة تكون من فترة زمنية واحدة، وكلما تباينت أشكال الحروف كانت من فترات زمنية متباعدة، ووفق هذا المعيار يؤرخ أقدم النقوش الثمودية بالقرن الخامس قبل الميلاد ويؤرخ أحدثها بالقرن الرابع الميلادي، أي أنها امتدت وفق هذا التقدير حوالي تسعة قرون¹.

1 حول أماكن وجود النقوش الثمودية وقضية تأريخها انظر:

.E. Litmann, Theamud und Safa. Leipzig 1940

وقد تناول ليتمان في كتابه المذكور الموضوعات الأساسية الخاصة ببحث هذه النقوش
ص 1-39 ثم جاء بمجموعة من النقوش المختارة مع شرحها والتعليق عليها ص 40-
91

(219/1)

النقوش الصفوية:

تنسب **النقوش الصفوية** إلى المكان الذي وجدت فيه، فبالقرب من منطقة جبل الصفا
الواقع جنوب شرق دمشق وجدت مجموعة كبيرة من هذه النقوش فسميت باسم
النقوش الصفوية وقد وجدت بعد ذلك نقوش كثيرة في مناطق مجاورة لهذه المنطقة،
ولكنها تتفق معها في الخط والخصائص.

(219/1)

اللغوية، ولذا عدت أيضا من النقوش الصفوية 1 وأكثر النقوش الصفوية يخلو من أية
إشارة تاريخية ولكن بعضها يشير إلى بعض الأحداث المعروفة. فقد ذكرت النقوش
أحداثاً كثيرة من القرن الثاني الميلادي. ولا شك أن الصفويين كانوا في هذه المنطقة قبل
هذه الأحداث بوقت طويل. وهناك مجموعة من النقوش بها أسماء بعض الشخصيات
المعروفة في تاريخ المنطقة. فالملك أذينة كان يحكم في تدمر في منتصف القرن الثالث
الميلادي. وقد جاء اسمه في نقوش معاصرة له، وترجع نقوش أخرى جاءت فيها بعض
أسماء شخصيات رومانية مثل **Alexander Severus, Septimus Severus**
إلى القرن الثالث الميلادي أيضاً. وهناك نقش به ذكر لامرئ القيس ملك
العرب، فإن صح هذا فهو من أوائل القرن الرابع الميلادي وهكذا تمكن بعض النقوش
من تحديد زمن تدوينها في القرن الثاني أو الثالث أو أوائل الرابع بعد الميلاد، ولكن
بداية كتابة النقوش الصفوية لا يزال يكتنفها الغموض.

1 حول النقوش الصفوية وقضايا البحث فيها انظر الكتاب المذكور لليتمان الصفحات 92-120، وقد وجاء ليتمان بمجموعة نصوص مختارة مع شرحها والتعليق عليها 121-143.

(220/1)

النقوش اللحيانية:

تنسب النقوش اللحيانية¹ إلى دولة لحيان التي تذكرها النقوش باعتبارها كياناً سياسياً يحكم منطقة في شمال غرب الجزيرة العربية، وقد وجدت مجموعة من هذه النقوش في منطقة العلا " = ديدان". ويبدو أن ظهور مملكة لحيان ارتبط بسقوط الدولة المعينية، وهي دولة عربية جنوبية كانت لها مستعمراتها في الشمال، وفي القرن الثاني قبل الميلاد أخذت منطقة ديدان تحس باستقلالها.

1 حول النقوش اللحيانية ودولة لحيان، انظر:

.W. Caskel, Lihyan und Lihyanish, Koln 1954

ويضم الكتاب المذكور مجموعة مختارة من النقوش مع شرحها.

(220/1)

فبدءوا يكتبون على نحو متميز وهناك نقوش لحيانية تمضي بنا حتى أواخر القرن الثالث الميلادي. أي أن هذه النقوش كتبت على مدى خمسة قرون بدأت باستقلال لحيان وانتهت بنهاية مملكة لحيان على يد الرومان.

(221/1)

الخط:

كتبت النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية بخط أبجدي يقوم على أساس الخط العربي الجنوبي القديم¹. ورغم الاختلاف الكبير في شكل الحرف الواحد في كل مجموعة من مجموعات النقوش الكثيرة إلا أن كل هذه الأشكال تعد امتداداً مباشراً لشكل الحرف

في الخط العربي الجنوبي القديم، هناك نقوش مدونة من اليمين إلى اليسار وأخرى من اليسار إلى اليمين فاتجاه الكتابة يختلف من نقش لآخر. وهناك نقوش مكتوبة بخط الحراث **boustrophedon** بأن يكتب السطر الأول من اليمين إلى اليسار ثم يكتب السطر الثاني من اليسار إلى اليمين ثم يكتب السطر الثالث من اليمين إلى اليسار وهكذا؟

تتفق كل النقوش العربية القديمة في تدوينها للصوامت مثل الباء والتاء والسين. لكل صوت منها حرف متميز، ولكن الفرق الأساسي بين كتابة هذه النقوش والخط العربي الحالي أن هذه النقوش لا تدون الحركات الطويلة، فضلاً عن عدم تدوينها للحركات القصيرة، فعندما يرد في أحد النقوش "أل" فقد يكون المقصود كلمة "آل" الدالة على الانتماء القبلي، وقد يكون المقصود كلمة "ايل" الدالة على الإله، وقد يكون المقصود حرف الجر "إلى" ومعنى هذا أنه من الصعب التعرف على النطق الكامل لأية كلمة وردت في هذه النقوش، فالحركات الطويلة ناقصة والحركات القصيرة ناقصة أيضاً. وتؤثر هذه السمة في عدم بروز أوزان كاملة، فالفرق بين وزن "فَعَل" ووزن "فَاعَل" يقتصر على وجود فتحة

1 انظر الفصول الخاصة بالكتابة في كتاب ليتمان المذكور.

(221/1)

قصيرة بعد فاء الأول وفتحة طويلة بعد فاء الثاني، وكلتاهما لا تدون في هذه النقوش وعلى ذلك فالعلان "سعد" و "ساعد" يكتبان بنفس الحروف س ع د. ومعنى هذا أنه إذا وجدت الواو مكتوبة فهي تدل بالضرورة على صوت صامت لا على حركة طويلة، فإذا دونت النقوش "ج ور" فالمقصود اسم العلم "جوهر" وبالمثل إذا دونت الياء فهي تدل على صوت صامت لا على حركة، فمثلاً "ي خ ل د" تدل فيها الياء على صوت صامت تعقبه فتحة ويؤدي عدم تدوين الحركات القصيرة إلى عدم معرفتنا بطبيعة هذه الحركات داخل الكلمة وفي آخرها، وعلى ذلك فلا يمكن بحث قضية النهايات الإعرابية وهل كانت موجودة أم لا في ضوء هذه النقوش، وبالمثل فالتنوين لا يدون في هذه النقوش، حتى إن افترضنا وجوده فيها. وعلى ذلك فكيفية تدوين هذه النقوش تجعل الإفادة منها للتعرف على الخصائص اللغوية محدودة وهي تفيد في التعرف على وجود

بعض الكلمات في هذه النقوش وفي التعرف من السياق على معانيها فيها، كما تفيد أيضاً في التعرف على بعض خصائص الجملة.

(222/1)

اللغة:

عندما يجد الباحث مجموعة من النقوش في شمال الجزيرة العربية بالقرب من منطقة الشام والعراق تطرح دائماً عدة فروض حول لغة هذه النقوش فقد تكون عربية وقد تكون كنعانية وقد تكون آرامية، وقد تكون امتداداً للغة أخرى من خارج هذه المنطقة مثل العربية الجنوبية. وقد أثبتت الدراسات المبدئية للغة هذه النقوش أنها عربية، ومن الممكن دون صعوبة قراءة هذه النقوش باعتبار أنها نصوص عربية. ترد في النقوش مجموعة أفعال تعرفها بصيغها ومعانيها في العربية، وأهم هذه الأفعال: علم، حل، بات، رعى، ذكر، نعم، خط، تشوق، كنم، ود، قنص، صاد، قاد، حب. ويضم معجم الأسماء في هذه النقوش

(222/1)

ألفاظاً كثيرة تعرفها الحياة الصحراوية مثل: وعل. جمل. فجع، أثر، دار وتضم هذه النقوش مجموعة من الحروف المعروفة في العربية منها: إلى من، لم، الباء، الفاء، اللام، وهكذا تتفق النقوش من الناحية المعجمية مع عربية الجاهلية¹. وثمة ظاهرتان جديرتان بالملاحظة في لغة هذه النقوش وهما: استخدام الاسم الموصول "ذ" واستخدام أداة التعريف "ه"، وكلتا السمتين موجودة في بعض اللهجات العربية. أما "ذ" المدونة في النقوش فقد تكون منصرفة إعرابياً "ذو، ذا، ذي" وقد تلزم حالة واحدة من الحالات المذكورة دون تصويب إعرابي ومع هذا فلا شك أن استخدام هذه الكلمة كاسم موصول هو ما عرف قديماً عند قبيلة طيء. فقد ذكر النحاة أن قبيلة طيء كانت تستخدم كلمة "ذو" اسماً موصولاً² وأما استخدام الهاء كأداة للتعريف تحمل الدلالة الإشارية فهو ما تعرفه لهجات عربية كثيرة في الشام وجزيرة العرب إلى اليوم عندما يقولون: "هالولد" و "هالبت". إن الخصائص اللغوية للنقوش الثمودية والصفوية والحيانية تثبت أن كتابها كانوا من

البيئة اللغوية العربية، وتثبت أسماء الأعلام الواردة في هذه النقوش أن كتابها عرب جاهليون وثيون نجد فيها أسماء عربية مثل: حبيب وذهل وقيس ومطر كما نجد فيها أسماء مركبة منسوبة إلى معبودات الجاهلية مثل: عبد مناة، وزيد شمس، وعبد ايل، وعبد يغوث، وتيم يغوث، وتيم اللات. فهذه أسماء عربية جاهلية، عاش أصحابها حياة تشهد النقوش بأنها

1 حول لغة النقوش الصفوية انظر ما كتبه ليتمان في:

.Semitic Inscriptions, Leiden 1904

وكذلك ما كتبه حول النقوش الثمودية في:

Thamud und Safa, s. 31-34

2 حول "ذو" الطائية انظر: ابن هشام: مغني اللبيب 2/ 470

(223/1)

قبلية. فأصحاب هذه النقوش يذكرون أنسابهم ويعرفونها معرفة تفصيلية، فسلاسل الأنساب أبرز ما تأتي به النقوش. وكتاب هذه النقوش ينسبون أنفسهم إلى قبائلهم في عدد كبير من النقوش مستخدمين كلمة "آل" المعبرة عن الانتماء القبلي. وهكذا تثبت الخصائص اللغوية لهذه النقوش وأسماء الأعلام الواردة فيها وسلاسل النسب فيها أن كتاب هذه النقوش عرب وأن لهجاتهم اليومية تدخل في إطار اللهجات العربية.

(224/1)

اللهجات العربية واللغة الفصحى

مدخل

...

2- اللهجات العربية واللغة الفصحى:

المصادر القديمة التي تمدنا ببعض الظواهر اللغوية في اللهجات العربية القديمة تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين، أولاهما: كتب النحو، الثانية: كتب اللغة والمعاجم. ومعظم المادة التي جاءت في كتب النحو واللغة إنما جمعت من لهجات البادية في القرنين الأول

والثاني. حاول اللغويون الذين جمعوا هذه المادة النظر بمعيار الخطأ والصواب إلى كل الظواهر اللغوية التي عرفها عصرهم، ولذا رفضوا أخذ اللغة عن القبائل التي عاشت في مناطق متاخمة للحضر في بادية الشام أو العراق، كما نظروا إلى اللهجات العربية في الجنوب بعين الشك، ولم يأخذوا اللغة عنها. لم يحاولوا جمع الظواهر بهدف بحثها بحثاً شاملاً ينسب لكل قبيلة كل ما عندها من ظواهر، وإنما قصروا همهم على تسجيل بعض الظواهر التي لفتت نظرهم عند بعض القبائل. ومن هنا نستطيع أن نقول أن كتب النحو واللغة لم تقدم لنا إلا قطاعاً صغيراً محدوداً من الحياة اللغوية حتى القرن الثاني للهجرة، وهذا القطاع هو بعض لهجات البدو.

أخذ النحاة واللغويون اللغة عن بعض قبائل شبه جزيرة العرب، واستبعدوا عدداً كبيراً من القبائل التي اختلطت في حياتها بغير العرب، واستبعدوا كذلك اللهجات الناشئة في الأمصار المفتوحة، كما رفضوا أخذ اللغة عن القبائل الجنوبية، والناظر في كتب النحو واللغة يلاحظ أن أكثر المادة التي جاءت بها

(224/1)

هذه الكتب تنسب إلى لهجات الحجاز وتقيم وهذيل وطى، وهناك ظواهر كثيرة جاءت دون نسبة إلى قبيلة بعينها. اتخذ جامعو اللغة موقفاً مختلفاً عن موقف الباحث اللغوي الحديث، فقد نظروا إلى هذه اللهجات وقاسوها بمعيار اللغة الفصحى واعتبروا أي اختلاف عنها خروجاً على النمط الصحيح وخروجاً على الضوابط وفساداً لغوياً لا يجوز أن يقبل ممن يندرج ضمن المثقفين. ومن ثم فقد أهملوا تلك اللهجات التي أصبح البون بينها وبين الفصحى شاسعاً ولم ينظروا ويهتموا إلا باللهجات التي تقترب في خصائصها من العربية الفصحى، وهذه هي لهجات الحجاز وتقيم وهذيل وطى.

وسنحاول دراسة بعض الظواهر التي جاءت في كتاب سيبويه منسوبة إلى هذه اللهجات دراسة لغوية وصفية وسنبدأ بالأصوات، ثم بعد ذلك إلى بناء الكلمة فبناء الجملة.

(225/1)

الهمز بين التحقيق والتخفيف:

أول ما يلفت النظر في لهجة الحجاز من الناحية الصوتية أنها لا تعرف تحقيق الهمز، أي

النطق بالهمزة باعتبارها صامتًا، والكتب العربية تتحدث دائمًا عن تحقيق الهمز وتنسبه إلى لهجة تميم، وعن تخفيف الهمز أو نطق الهمزة نطقًا بين بين، وتنسبه إلى لهجة الحجاز. قال سيبويه: "اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وذلك قولك سال في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم"1. وواضح من هذا النص أن تحقيق الهمزة عند بني تميم كان يقابله التخفيف عند أهل الحجاز، ويعبر سيبويه عن الهمزة المخففة قائلًا بأنها تنطق نطقًا يجعلها بين الهمزة والألف

1 الكتاب 2/ 163.

(225/1)

الساكنة. وإذا حاولنا فهم كلامه على نحو صوتي لاحظنا أن الهمزة، ويعني بها الهمزة المحققة. إنما تنطق نتيجة التقاء تام يحدث إغلاقًا لحظيًا في أقصى الحنجرة يتبعه انفراج مفاجئ فيصدر هذا الصوت الذي نعرفه بالهمزة. وهذا النطق يختلف اختلافًا أساسيًا عن نطق الفتحة الطويلة، وهو ما يطلق عليه سيبويه "الألف". فالفتحة الطويلة إحدى الحركات، والحركات تختلف عن الأصوات الساكنة في اتساع مخرجها، وأنه لا يحدث ضيق شديد يسبب عقبة في سبيل تيار الهواء، فظهور العقبة ثم انفراجها من خصائص النطق بالأصوات الصامتة، أما الحركات فيمضي في النطق بها تيار الهواء من الداخل إلى الخارج دون عقبة، والهمزة من الأصوات الصامتة، ولكن الحركة الطويلة التي تكتب في الخط العربي بالألف ليست من الأصوات الصامتة. ويبدو أن تخفيف الهمزة كان يعني عند سيبويه أن الالتقاء الذي يحدث إغلاقًا لحظيًا في أقصى الحنجرة لم يحدث، وأن الهواء المندفع إلى الحنجرة كان يمضي من دون أن يعترضه هذا الإغلاق الحنجري.

(226/1)

الإمالة:

من الظواهر التي ذكرها سيبويه ظاهرة الإمالة. والإمالة إحدى الظواهر الخاصة بنطق الفتحة الطويلة نطقًا يجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة، يقول سيبويه في

هذا:

"الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك: عابد، وعالم، ومساجد. ومفاتيح ... إنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها وجمع هذا لا يميله أهل الحجاز" 1.

ويتضح من هذا النص أن الإمالة ظاهرة من ظواهر المماثلة، وتعني المماثلة

1 الكتاب 2/ 259.

(226/1)

أن صوتاً من الأصوات في كلمة أو ما يشبه الكلمة أثر في صوت آخر في نفس الكلمة فجعل نطقه قريباً من نطقه، أي جعل نطقه مماثلاً لنطقه. وفي شرح سيبويه لهذه الظاهرة تعليل بأن إمالة الفتحة الطويلة إنما حدث نتيجة لقربها من الكسرة، فيتحدث سيبويه عن الألف وتحدث نحن عن الفتحة الطويلة، ويعتبر سيبويه الألف غير المماثلة أصلاً والمماثلة فرعاً، وتحدث -نحن- عن نطق الألف الطويلة بصورة ما تجعلها قريبة -نطقاً- من الكسرة التي تلي اللام والباء. وهذا يعني أن الفتحة الطويلة المماثلة إنما تأتي في محيط صوتي بعينه دون غيره، ومن هنا فنحن نتحدث عن صورة صوتية لا عن وحدة صوتية. فالفتحة الطويلة في تلك اللهجات لها صورتان: صورة بلا إمالة، وصورة بالإمالة، وكلتاهما وحدة صوتية واحدة، وكانت لهجة الحجاز القديمة لا تعرف الإمالة. بقي أن نشير إلى المثال الأخير الذي ذكره سيبويه وهو "مفاتيح"، فالإمالة هنا في تفسير سيبويه أثر للكسرة، وكأنه تصور -في كلمة مفاتيح- الكسرة شيئاً والباء شيئاً آخر، فالواقع أن نظرة النحويين العرب للخط جعلتهم يتصورون أن ما نطلق عليه كسرة طويلة هو كسرة ثم ياء ساكنة، ولهذا لم يلاحظ سيبويه أن الإمالة حدثت كأثر لمد الياء "الكسرة الطويلة" وكفاه أن وجد الكسرة هنا وهناك، والصحيح أن الإمالة حدثت كأثر للكسرة الطويلة. هذا وقد علل سيبويه ظاهرة الإمالة بالتماس الخفة، وهذا الرأي هو التفسير السائد في علم اللغة إلى عهد قريب، فكان كل تطور يفسر بعامل السهولة في كثير من اللغات. ولنحاول المضى قليلاً مع سيبويه وهو يتحدث عن الإمالة. يقول سيبويه: "هذا باب ما

يُمتنع من الإمالة من الألفات ... فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والحاء. إذا

(227/1)

كان حرف منها قبل الألف تليه، ذاك قولك: قاعد، غائب، خامد، صاعد، طائف، وضامن، وظالم، إنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ... ولا نعلم أحد يميل هذه الألف إلا من لا يؤخذ بلغته"1.

وهذا النص واضح في أن الإمالة صورة لنطق الفتحة الطويلة أن نطقها يتأثر بالحيث الصوتي، فهي ممالاة على مقربة من الكسرة أو الكسرة الطويلة، وهي غير ممالاة على مقربة من مجموعات من الأصوات. إذا نظرنا إلى تلك الأصوات التي ذكرها سيبويه مانعة للإمالة لاحظنا فيها وجود كل أصوات الإطباق، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والقاف، كما نجد من أصوات الحلق: الغين والحاء. يبدو أن اللهجات التي كانت تميل مع الكسرة والكسرة الطويلة كانت تنطق الفتحة الطويلة بلا إمالة إذا كانت تميل مع الكسرة والكسرة الطويلة كانت تنطق الفتحة الطويلة بلا إمالة إذا كانت قريبة من أصوات الإطباق أو الحلق. وهذا يؤكد ما ذكرناه من أن تلك اللهجات عرفت صورتين لنطق الفتحة الطويلة، كل واحدة منها تظهر في محيط صوتي بعينه. والعبارة الأخيرة في نص سيبويه السابق تشير إلى موقف اللغويين من بعض اللهجات فهو لم يسجل إلا بعض اللهجات، ورفض الأخذ عن البعض الآخر، ويبدو أن بعض اللهجات التي رفض سيبويه الأخذ عنها كانت تعرف الإمالة بصورة أكثر ولكن إلى أي حد؟ هذا ما لم نستطع أن نعرفه، فهذه من لغة من لا يؤخذ بلغته، ولذا لم يجد سيبويه نفسه مطالبًا بتسجيلها ودراستها.

1 الكتاب 2 / 264.

(228/1)

الاتباع = التوافق الحركي

مما سجله سيبويه في كتابه ظاهرة أطلق عليها "الاتباع"، ويطلق عليها

(228/1)

عند اللغويين الحديثين اسم **Vowel Harmony** أي التوافق الحركي. وهذه الظاهرة تدخل أيضاً في باب المماثلة، وهي هنا مماثلة حركة أخرى مماثلة تامة، فنحن نقول في العربية الفصحى: منه، فوقه، تحته، فنجعل الحركة التالية للهاء ضمة، ولكننا نقول: به، عليه، فيه، فنجعل الحركة التالية للهاء كسرة، والضمير هو الضمير، فلماذا حدث هذا الاختلاف؟ ولتقرأ الفصل الذي عنوانه سيبويه بقوله: هذا ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار: "اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو، لأنها في الكلام كله هكذا، إلا أن تدركها هذه العلة التي أذكرها لك. وليس يمنعهم ما أذكره لك أيضاً من أن يخرجوها على الأصل، فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة.. فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً، كذلك كسروا هذه الهاء.. فالكسرة هنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها نحو كلاب وعابد، وذلك قولك: مررت بجي وَلَدَيْهِ مال ومررت بدارِهِ ... وأهل الحجاز يقولون مررت بِهُو قبل، وَلَدَيْهُ مال، ويقرون "فخسفنا بِهُو وِبِدَارِهِو الأرض". فإذا لحقت الهاء الميم في علامة الجمع كسرتها كراهية الضمة بعد الكسرة، ألا ترى أنهما لا يلزمان حرفاً أبداً. فإذا كسرت الميم قلبت 1. وهذا النص مهم، فسيبويه اعتبر الأصل في ضمير الغائب أن تعقبه ضمة طويلة، وهو يتحدث دائماً عن الواو في هذا الصدد كما لو كان الضمير مكوناً من هاء تليها واو. وقد حدد سيبويه المواضع التي كسرت فيها هذه الهاء فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة، فهذه الظاهرة إذن من ظواهر المماثلة، ولكنها مماثلة حركة لحركة. عندما نتحدث عن "فيه" فالحركة التي بعد الفاء كسرة طويلة أتت بكسرة بعد الهاء. عندما نناقش كلمة "عليه" فالصوت المزدوج "ay" جعل الضمة كسرة، وهذا أيضاً ضرب من التوافق الحركي.

(229/1)

ويبدو أن التوافق الحركي كان يميز بعض اللهجات عن البعض الآخر. فبعض اللهجات كان يعرف التوافق الحركي على هذا النحو الذي تعرفه العربية الفصحى. ولكن لهجة الحجاز كانت بعيدة عنه كل البعد كما نرى في نص سيبويه عن التوافق الحركي بعدها عن الإمالة. فالحجازيون كانوا لا يقولون "بِه" بكسر الهاء، بل قالوا "بُهُ" بضمها، أو كما كتب في كتاب سيبويه "بُهو" وكانوا يقولون "لديهو" بواو مسبوقة بضممة. ولم يقتصر الأمر على هذا، بل إن قراءاتهم للقرآن الكريم كانت تعكس لهجتهم المحلية التي لا تعرف التوافق الحركي، فبينما كان غيرهم يقرأ: {فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضُ} بكسرة بعد الهاء كان الحجازيون يستخدمون الضم دون أن يستشعروا حاجة إلى التوافق الحركي. ويبدو أن التوافق الحركي كان من خصائص لهجة تميم، وهو ما نجده في الفصحى بينما كانت لهجة الحجاز بعيدة عن التوافق الحركي. ولكن بعض اللهجات مضت في التوافق الحركي شوطاً أبعد مما تعرفه اللغة الفصحى. يقول سيبويه: "واعلم أن قومًا من ربيعة يقولون: مِنْهُمْ، بكسر الميم والهاء والميم أتبعوها الكسرة، ولم يكن المسكن حاجزا عندهم. وهذه لغة رديئة، إذا فصلت بين الهاء والكسرة فالزم الأصل"1.

فلهجة ربيعة كانت تستخدم صيغة، مِنْهُمْ، بكسر الهاء والميم، بينما لا تعرف الفصحى اليوم إلا ضم الهاء وضم الميم، وهو ما قرره سيبويه أيضًا، فلهجة ربيعة تمثل طورًا أبعد من الفصحى في التوافق الحركي. فالكسرة بعد الميم في: مِنْهُمْ، جعلت حركتي الضمير كسرتين رغم البعد. وهنا يظهر سيبويه الذي يريد أن يشرع للحياة اللغوية فيقول وهذه لغة رديئة.

لاحظ سيبويه أيضًا وجود التوافق الحركي في بعض أبنية الأسماء، يقول سيبويه: وفي: فَعِيل، لغتان، فَعِيل، وفَعِيل. إذا كان الثاني من الحروف الستة

1 الكتاب 2/ 294.

(230/1)

"حروف الحلق" مطرد ذلك فيهما لا ينكسر في فعيل ولا فعل. وإذا كان كذلك في فعيل أو فعل كسرت الفاء في لغة تميم وذلك قولك لئيم "بكسر اللام" وشهيد وسعيد ونخيف ورغيف وبخيل، وشهد "بكسر الشين والهاء ولعب وضحك.... أما أهل الحجاز فيجرون جميع هذا على القياس"1.

وهذا النص على صعوبته في الصياغة واضح المضمون، فالكتب العربية تقدم لنا فعيل "بفتح الفاء" وفعيل "بكسر الفاء" لعدد كبير من المفردات. والصيغة الأخيرة تمثل صورة من صور التوافق الحركي، فالكسرة الطويلة بعد العين جلبت كسرة سابقة على العين عند من يعرفون التوافق الحركي، ومن ثم فهم يقولون: فعيل، وهذا خاص بلهجة تميم. أما لهجة الحجاز التي لا تعرف الإمالة أو التوافق الحركي فتقدم لنا صيغة فعيل بفتح الفاء.

وشبيه بهذا وزن فعل عند الحجازيين مثل شهد لعب ضحك، يقابل هذا الوزن في لهجة تميم كسر الفاء وكسر العين. وهنا تتفق اللغة الفصحى كما نعرفها اليوم مع لهجة الحجاز، ومن الجدير بالبحث أن ننظر إلى المعجم العربي المتوارث في ضوء هذه الاختلافات.

1 الكتاب 2 / 255.

(231/1)

كسر أحرف المضارعة:

كانت كل اللهجات التي اعترف سيبويه بصحة أخذ اللغات عنها تكسر حروف المضارعة على عكس ما نعرفه في العربية الفصحى اليوم. وكان أهل الحجاز هم من لم يعرفوا كسر حروف المضارعة. قال سيبويه:

"هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحروف حين قلت فعل وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز وذلك قولهم:

(231/1)

أنت تعلم ذلك "بكسر التاء" وأنا أعلم "بكسر الهمزة" وهي تعلم "بكسر التاء" ونحن نعلم "بكسر النون".... وكذلك كل شيء من بنات الواو والياء التي الواو والواو فيهن لام أو عين والمضاعف، وذلك قولك: شقيت فأنت تشقى "بكسر التاء" وخشيت فأنا إخشى "بكسر الهمزة" وخلصنا فنحن نخال "بكسر النون".... وجميع ذلك مفتوح في لغة أهل الحجاز وهو الأصل"1.

وواضح من الأمثلة التي ذكرها سيبويه أن كسر حرف المضارعة كان مطردًا في الفعل الثلاثي في كل اللهجات إلا لهجة الحجاز، وأن الفعل الناقص أو الأجوف ذا الواو أو الياء كان يعرف كسر حرف المضارعة أيضًا. ولهجة الحجاز أقرب في هذا الجانب إلى العربية الفصحى.

1 الكتاب 2 / 256.

(232/1)

مطابقة الفعل والفاعل:

من أهم الظواهر اللهجية التي سجلها سيبويه وألقت الضوء على بناء الجملة ظاهرة تطابق الفعل الماضي المقدم مع فاعله في التثنية والجمع. من المعروف في كتب النحو العربي أن الفعل الذي تلاه فاعله يأتي بصيغة واحدة قبل الفاعل المفرد والمتن والجمع، وهذه الصيغة هي صيغة المفرد الغائب، مثل: قال رجل، قال رجلان، قال الرجال. قال نسوة، أما المطابقة الكاملة في العدد والجنسين بين الفاعل والفعل فتتسب في كتب النحو العربي إلى بعض اللهجات، ذكر البعض أن المطابقة الكاملة من خصائص لهجة طيبي. وأطلقوا على هذه الخاصية اسم "لغة أكلوني البراغيث". قال سيبويه: "اعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومك، ضرباني أخواك فشبهوا هذا بالتاء التي يظهروها في قالت فلانة"1، فهذه الظاهرة إذن مثلما

1 الكتاب 1 / 237.

(232/1)

نجد في بعض اللهجات العربية الحديثة. ولم تكن هذه الظاهرة مقصورة على الحديث اليومي عند طيبي. فالواقع أن هذه الظاهرة وجدت في بعض اللهجات القديمة، وفي أبيات من الشعر الجاهلي والإسلامي، وهي مطردة في اللهجات العربية الحديثة.

(233/1)

ما الحجازية:

اختلفت اللهجات القديمة في الحالة الإعرابية للاسم الثاني بعد "ما" النافية، فلهجة الحجاز تجعل اسم الثاني بعد "ما" وهو خبرها منصوبًا، أما لهجة تميم فتستخدم هذا الاسم مرفوعًا. قال سيبويه: "هذا باب ما أجرى مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز، ثم يصير إلى أصله. وذلك الحرف هو ما، نقول: ما عبد الله أخاك، ما زيد منطلقًا. وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل، وهو القياس لأنه بفعل كليس، ولا يكون فيه إضمار. وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس، إذ كان معناها كمعناها.... ومثل ذلك قوله عز وجل: {مَا هَذَا بَشَرًا} في لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يرفعونها إلا من عرف كيف هي في المصحف"1.

وبجانب الآية التي ذكرها سيبويه نجد هذه الظاهرة في آية أخرى هي: {مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ} قرأها الحجازيون بكسر التاء وذلك باعتبار خبرها منصوبًا. أما التميميون فكانوا يرفعون عملاً برفع الخبر بعد ما.

وهكذا نلاحظ أن لهجة الحجاز تتفق مع العربية الفصحى التي نعرفها مطردة في الشعر الجاهلي والقرآن في ظواهر، وتختلف معها في ظواهر أخرى، كما أن لهجة تميم لا تمثل العربية الفصحى في كل مظاهرها.

1 الكتاب 1/ 28.

(233/1)

3- قضية الاستخدام اللغوي للفصحى واللهجات:

تثبت كتب اللغة والنحو وجود اختلافات في اللهجات التي سادت شمال الجزيرة العربية ووسطها في فجر الإسلام والقرنين الأول والثاني للهجرة وتختلف العربية الفصحى كما نعرفها في الشعر الجاهلي اختلافات بعينها عن كل لهجة من اللهجات العربية القديمة، حتى إنه من الصعب اعتبار العربية الفصحى امتدادًا مباشرًا لإحدى هذه اللهجات فالثابت أنها كانت لغة الشعر. وقد أثار بعض الباحثين منذ أواخر القرن التاسع عشر قضية لغة الحديث اليومي في جزيرة العرب في هذه الفترة، تسائل البعض هل كانت اللغة الفصحى لغة الشعر فقط أم أنها كانت أيضًا لغة التعامل في الأمور غير اليومية

ولغة التعامل بين القبائل. وارتبط بهذا التساؤل تساؤل آخر حول اللغة التي كان الرسول يستخدمها في قراءته للقرآن، هل كان يقرأ القرآن بلهجة الحجاز، أم وفق الخصائص الصوتية للغة الفصحى أي لغة الشعر الجاهلي.

كان المتعارف عليه عند اللغويين العرب قديماً واللغويين المحدثين حتى أواخر القرن التاسع عشر أن لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم تمثلان العربية الفصحى¹ والمقصود بهذا أن هذه اللغة لم تكن مجرد لغة أدبية، بل كانت أيضاً لغة التعامل الراقي ولغة التعامل بين أبناء القبائل المختلفة. وقد أثار فولرز وهو متخصص ألماني في اللغة العربية كثيراً من الشكوك حول كون هذه اللغة قد استخدمت في الحديث اليومي أو في التعامل الشفوي في الفترة التي ألف فيها الشعر الجاهلي. ولذا رفض فولرز تسمية هذه اللغة باسم: "العربية الفصحى"، واقترح تسميتها باسم اللغة "المكتوبة الأقدم"². وبهذا عد فولرز المعايير المتعارف

1 وصف نولدكه اللغة الفصحى كما جاءت إلينا في الشعر الجاهلي والقرآن بأنها هي العربية الكلاسيكية أي العربية الفصحى، ولذا أطلق نولدكه على أحد كتبه اسم:

Th. Noldeke, Zur Grammatik des Klassischen Arabisch 1896

2 أطلق فولرز على لغة الشعر الجاهلي: **alteste schriftsprache**

وانظر تفاصيل رأي فولرز في: **K. Vollers, Volkssprache und**

.Schriftsprache im alten Arabien Strassburg 1906

(234/1)

عليها حول العربية الفصحى والتي سجلتها الأمثلة الواردة في كتب النحو شيئاً مصنوعاً أقامه النحاة ودعوا إليه. ومعنى هذا في رأي فولرز. أن لغة الحديث اليومي في عصر تأليف الشعر الجاهلي وفي صدر الإسلام كانت تخلو من عدد كبير من السمات التي تنسب للعربية الفصحى، ومنها مثلاً الإعراب. فيرى فولرز أن اللغويين العرب صنعوا ظاهرة الإعراب، ولم يكن لها وجود حقيقي من قبل. أما القرآن الكريم فرأى فولرز اعتماداً على المصاحف المخالفة للمصحف المتداول، واعتماداً على بعض القراءات – أنه كان يقرأ في صدر الإسلام على نحو محلي، أي وفق العادات الصوتية لأهل الحجاز

في مكة والمدينة، أما قراءته وفق معايير اللغة الفصحى فقد كان عملاً متأخراً، هذه خلاصة رأي فولرز.

ويقوم هذا الرأي على بعض المعلومات التي جاءت بها كتب اللغة والنحو وكتب الطبقات، مع تجاهل البعض الآخر. فاللغويون العرب في القرن الثاني الهجري لم يعتمدوا على الشعر والقرآن فقط، بل اعتمدوا أيضاً على لغة الإعراب الفصحاء. وكان الإعراب من أهم السمات التي لاحظها اللغويون العرب عند روايتهم، واعترفوا بصحة لغة مجموعة من القبائل، فعدوا أبناءها حجة في قضايا اللغة، ولو كانت لغة الحديث اليومي عند هذه القبائل تخلو من الإعراب في الشعر والقرآن الكريم على هذا النحو المطرد وفي قراءة القرآن الكريم على نحو يجعلنا نقتنع بأنه ليس من عمل النحاة بل هو انعكاس للواقع اللغوي الحي وأغلب الظن أن اللغة الفصحى كانت مستخدمة في الأغراض الفنية وفي التعامل الرفيع بين أصحاب المكانة في القبائل وفي التعامل بين أبناء القبائل المختلفة. فإذا كانت لغة الشعر الجاهلي لا تختلف باختلاف القبائل، بل يقتصر الاختلاف على الاستخدام

(235/1)

اللغوي من شاعر لآخر في إطار المستوى اللغوي الواحد فإن الطبيعي أن يكون ترتيل القرآن بهذه اللغة الفصحى التي يحترمها ويتعامل بها أبناء القبائل المختلفة في الأمور الجادة. وإذا كان القرآن ينص على أنه "بلسان عربي مبين" فمن غير المتوقع أن يكون بعد هذا ذا لون محلي والأقرب إلى طبيعة الأمور أن تكون قراءة القرآن وأن يكون الاستخدام اللغوي في القرآن مطابقاً بصفة عامة للمتعارف عليه في اللغة الفصحى آنذاك.

لقد عرفت اللهجات القديمة مجموعة من الظواهر المغرقة في المحلية مثل الكشكشة والكسكسة والعجعة. إلخ. والمقصود بالكشكشة إبدال الشين من كان الخطاب المؤنثة فبدلاً من "عليك" يكون نطق هذه الكلمة في اللهجات التي تعرف الكشكشة "عليش"، وبالمثل "منش" و "بش". وهناك أشكال للكشكشة لا تزال مسموعة في اللهجات البدوية الحالية. وقريب من الكشكشة ظاهرة الكسكسة وهي استخدام السين مع ضمير المؤنث بديلاً للكاف أو ملحقة بالكاف، فبدلاً من: "رأيتك" تكون الصيغة عند بعض القبائل "رأيتكس"، وبدلاً من "أخوك" تنطق بعض القبائل "أخوس".

أما العجعة فهي ثمرة اختلاط نطق الجيم مع نطق الياء فبدلاً من "تيمي" كانت بعض القبائل تقول "تميمج"1. فهذه الظواهر الصوتية المحلية كانت مما أثار انتباه اللغويين العرب. ولكن الشواهد التي جاءوا بها لبيان هذه الخصائص شواهد شعرية محدودة العدد تتكرر في كل الكتب، وكأنها انعكاس خافت للهجات المحلية. وبغض النظر عن هذه الظواهر المحدودة الأثر في الشعر الجاهلي فإن لغته لا تختلف باختلاف القبائل، ويبدو أن اللغة الفصحى وفق ما تعارف عليه القوم آنذاك كان ينبغي لها أن تخلو من مثل الظواهر المحلية. ولذا كان من الطبيعي أن يحاول المسلمون في صدر الإسلام تجنب استخدام هذه

1 انظر "الصاحبي في فقه اللغة" لابن فارس ص52-54.
وكذلك: السيوطي: المزهري 1/ 221-222.

(236/1)

السمات المعروفة في المحلية في قراءتهم للقرآن الكريم، وأن يكون المثل اللغوي المنشود في لغة القرآن الكريم بعيداً عن المحلية في الخصائص اللغوية بمثل ما هو بعيد عن المحلية في المضمون الفكري. ولذا فليس من الممكن تصور أن لغة القرآن الكريم تعكس لهجة الحجاز وأية لهجة أخرى، بل الأقرب إلى واقع الأمر أن يكون بتلك اللغة الفصحى المحترمة من الجميع.

لقد شك فولرز في كون اللغة المنطوقة في فجر الإسلام ذات نظام إعرابي واضح المعالم، وظنها تخلو من النهايات الإعرابية. وقد ورد نولده على فولرز بمجموعة من الأدلة اللغوية مثبتاً عدم صحة ما قال به فولرز1. فعلامات الإعراب رفعاً ونصباً وجراً مطردة في اللغة الأكاديمية على نحو أطرادها في لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ولغة القبائل التي أخذت عنها شواهد كتب النحو. والصحيح أن العربية ورثتها كما ورثتها الأكاديمية عن اللغة السامية الأولى. وقد بقيت من علامات الإعراب في اللغة الحبشية علامة النصب، وهي تطابق تمام المطابقة علامة النصب في العربية فما جاء عند النحاة العرب يعد تسجيلاً لواقع يفسره ما جاء في النقوش الأكاديمية والنصوص الحبشية. وإذا كانت ثمة شك في الحركات النهائية للفعل الماضي، فهو ينتهي مثلاً بالفتحة في "كتب" بينما ينتهي دون هذه الفتحة في اللهجات العربية، فإن العربية الفصحى كانت تعرف نهاية

هذه الصيغة بالفتحة كما تعرفها اللغة الأمهرية إلى اليوم. لقد أثبت "نولدكه" أن الشك في النهايات الإعرابية للأسماء أو الحركات النهائية للأفعال لا يقوم على دليل، وأثبت بمقارنة العربية بالأكدية بالحبشية من هذا الجانب أن هذه النهايات لا يمكن أن تكون من صنع النحاة، بل كان جهد النحاة تسجيلاً لها كما وجدوها في الشعر الجاهلي والإسلامي وفي القرآن الكريم وعند القبائل المعترف بفصاحتها.

1 انظر: رد "نولدكه" على فولرز في المقال التالي:

**Das Kiassische Arabisch und die arabischen
Dialekte, in: Beitrage zur semitischen
Sperachwissenschaft, 1910**

(237/1)

الفصل الثالث عشر: العربية في المشرق الآسيوي

مدخل

...

الفصل الثالث عشر: العربية في المشرق الآسيوي

اتسعت رقعة اللغة العربية بعد تكوين الدولة الإسلامية اتساعاً كبيراً، فمع الفتوح الإسلامية بدأت الهجرات العربية إلى المناطق المفتوحة، ومع ازدياد الهجرات بدأ استخدام اللغة العربية في هذه المناطق، ومهد هذا لانتشار العربية في هذه الأقاليم مما أدى إلى تغير الحدود الجغرافية للمنطقة اللغوية العربية تغيراً حاسماً. ولذا تعد دراسة موجات انتشار العرب في المناطق المفتوحة أساساً ضرورياً لفهم موجات انتشار اللغة العربية.

(239/1)

1- موجات التعريب في المشرق:

خرجت بطون كثيرة من القبائل العربية في السنوات التالية للفتح الإسلامي إلى مناطق مختلفة من الشام والعراق وإيران لقد كانت جماعات عربية تعيش في بادية الشام وبادية

العراق قبل الفتح الإسلامي، ولكن دخول هذه المناطق وغيرها في إطار الدول الإسلامية جعل هذه القبائل وغيرها تتوغل وتستقر في

(239/1)

مناطق لم تكن مجالا لها من قبل. لقد هاجرت هذه القبائل واستقرت في الأمصار المفتوحة داخل معسكرات، ثم أدى اختلاط هؤلاء العرب الوافدين مع السكان الأصليين في هذه المناطق إلى تعريف العراق والشام شيئاً فشيئاً كانت اللهجات الآرامية المختلفة تسود الحياة اللغوية في هذه المناطق، وهي لهجات قريبة من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية من اللغة العربية، فالآرامية لغة سامية مثل العربية، ولذا لم يكن التحول من الآرامية إلى العربية أمراً صعباً. وليس معنى هذا أن التحول اللغوي تم دون صعوبات، بل لا تزال هذه الصعوبات النسبية واضحة في التأثيرات الآرامية في اللهجات العربية في هذه المناطق. لقد سهل عليهم أن يتحولوا من الآرامية إلى العربية، ولكن عربيتهم تأثرت بالآرامية فاختلفت عن عربية البدو في الجزيرة العربية. ولكن درجة التعريب في الشام والعراق اختلفت من منطقة لأخرى ومن جماعة بشرية لأخرى فالمناطق السهلية تعربت على نحو أسرع من تعريب المناطق الجبلية، ولا تزال المناطق الجبلية في شمال العراق وفي بعض أنحاء منطقة الشام تضم جماعات لغوية احتفظت بلغتها القديمة منذ الفترة السابقة على الفتح الإسلامي، فالأقليات الآرامية في هذه المناطق تعيش في مناطق جبلية وعرة، وكأن صعوبة الاتصال بهذه المناطق قد حال دون تعريبها. فلم تصل الهجرات العربية إلى هذه المناطق الوعرة، وبذلك ظلت بعيدة عن تأثيرات التعريب وقتاً طويلاً، ولا يزال بعضها محتفظاً بلغته القديمة إلى اليوم. ولم تقتصر الهجرات في المشرق على الشام والعراق، بل امتدت أيضاً إلى أنحاء الدول الفارسية التي دخلت في إطار الدول الإسلامية المنتصرة. فإذا كانت المصادر تشير إلى وجود جماعات عربية على الساحل الإيراني للخليج منذ العصر الجاهلي فإن عدد هذه الجماعات العربية زاد في صدر الإسلام بإطراد الهجرات زيادة ملحوظة. فقد هاجرت قبائل من عبد القيس كانت تقيم في منطقة ساحل عمان إلى إيران عن طريق الخليج، استقرت بعض هذه القبائل على الساحل

(240/1)

وتوغلت بعضها في الداخل، وظلوا هناك متميزين لغويًا عدة قرون حتى العصر المغولي¹. ودخلت موجات عربية أخرى إلى إيران عن طريق العراق. وقد تكونت جاليات عربية كبيرة في القرن الثاني الهجري في مناطق مختلفة من إيران. فقد كانت هناك جماعات عربية كثيرة العدد في كاشان وهمدان وأصفهان. بل وكان العنصر العربي سائدًا في منطقة "قم" ولكن أكبر تجمع عربي دخل إلى هذه المناطق استقر في منطقة خراسان، ففي منتصف القرن الأول الهجري هاجر عدة آلاف البصرة إلى خراسان، وعدة آلاف من الكوفة إلى خراسان أيضًا. وتتابع الهجرات، وزادت نسبة العرب في خراسان، وما نكاد نصل إلى أوائل القرن الثاني الهجري حتى نجد عدد العرب في خراسان يقدر بمائتي ألف². لم يعيش العرب في خراسان في المدن فحسب، بل عاش بعضهم في الريف الإيراني أيضًا، واختلطوا بصورة متزايدة مع السكان الأصليين. لقد كان العرب المهاجرون إلى هذه المناطق منتمين إلى قبائل مختلفة، ففيهم عرب من بكر ومن تميم ومن عبد القيس ومن الأزد³، ولكن استقرار هؤلاء العرب في الريف الإيراني واختلاطهم المتزايد مع أبناء اللغات واللهجات الإيرانية خلق في هذه المناطق ظاهرتين متوازيتين عدة قرون، فقد تعلم كثير من

1 حول العرب وهجراتهم إلى إيران انظر:

A, Christensen, *L'Iran sous les sassanides*, pp. 87-126.

Spuler, *Die Mongolen in Iran*, Leipzig 1955, 142-49

وكذلك المصادر المذكورة في مادة "Arab" في الطبعة الانجليزية الثانية من
،*Encyclopeadia of Islam*

2 انظر تاريخ الطبري 2/ 1929. وفي عهد قتيبة بن مسلم كان العرب في خراسان على نحو ما وصف البلاذري: "وبخراسان يومئذ من مقاتلة أهل البصرة أربعون ألفًا ومن أهل الكوفة سبعة آلاف ومن الموالي سبعة آلاف"، فتوح البلدان 596.
3 فتوح البلدان 584، 405

الإيرانيين اللغة العربية كما تعلم كثير من العرب لغة هؤلاء الإيرانيين. وقد كان أكثر العرب في جيش أبي مسلم الخراساني يتحدثون الفارسية. وزادت درجة انتشار الفارسية بين هؤلاء العرب بزيادة ارتباطهم بالمناطق التي عاشوا فيها وانفصالهم عن الارتباط القبلي بجزيرة العرب. لقد كانت هناك قبائل عربية في القرن الرابع الهجري في إيران، ولكن هذه القبائل ذابت شيئاً فشيئاً وأصبح أبناؤها من أبناء اللغة الفارسية، وما أن أصبحت اللغة الفارسية اللغة الرسمية في البلاد حتى قل تمسك هؤلاء العرب باللغة العربية، وبذلك لم يؤد تيار الهجرة العربية إلى إيران إلى النتيجة التي أحدثها تيار الهجرة العربية إلى الشام والعراق.

(242/1)

2- العربية في العصر الأموي:

وكان العرب يمثلون في ظل الحكم الأموي طبقة أرستقراطية مترفّة، وهذه الطبقة تعتمد على أمرين يربطان أفرادها، أولهما: الأصل البدوي، والثاني: القدرة على التحدث بالعربية كأحد أبناء البادية. وفي ظل هذا المجتمع كانت الطبقات الدنيا والوسطى لا تزال مرتبطة إن قليلاً أو كثيراً باللغات التي سادت المنطقة قبل الفتح الإسلامي، كانت القبطية لغة الطبقات الدنيا في المجتمع المصري وكانت اللهجات الآرامية تسود لدى معظم سكان الشام وبعض مناطق العراق، وكان المغرب العربي يستخدم عدداً من اللهجات البربرية. وفي شرق الدولة الإسلامية أي في أقاليم إيران والمناطق التي بعدها كانت لغات الحديث مجموعة من اللهجات الإيرانية. وفوق هذا وذاك فقد كانت العربية الجنوبية وهي لغة تختلف اختلافاً كبيراً عن العربية الشمالية لا تزال سائدة في مناطق شاسعة في جنوب جزيرة العرب. ولذا فقد كان التحدث بالعربية دليلاً على التفوق الاجتماعي، بينما كان استخدام اللغات أو اللهجات

(242/1)

الأخرى دليلاً على الضعة الاجتماعية¹.

في ظل هذه الظروف كان من الطبيعي أن يحرص سادة المجتمع على تنشئة أبنائهم في بيئة عربية بدوية حتى يستقيم لهم الانتظام في الطبقة الحاكمة وحتى يتضح تميزهم عن

الطبقات الدنيا. والكتب العربية حافلة بروايات تروى لنا أن سادة المجتمع وأمراء البيت الأموي كانوا ينظرون نظرة فرع إلى أي خطأ لغوي يقع فيه أبنائهم، وكانوا يحرصون كل الحرص على أن يستخدم أبنائهم اللغة العربية وينطقون بها على النحو الذي يعرفه البدو الذين لم تفسد لغتهم بالاختلاط بالأعاجم.²

وأهم ما يلاحظ في تاريخ اللغة العربية ابتداء من الثلث الأخير من القرن الأول الهجري أنها أصبحت ذات مكانة مرموقة وطيدة في الدولة الإسلامية، وذلك لعدة أسباب أهمها أن:

1- العربية أصبحت اللغة الرسمية للدولة الإسلامية، فقد عربت الدواوين حوالي سنة 87هـ/705م.

2- العربية كانت لغة الطبقات الحاكمة في المجتمع واستخدام الفصحى دليل على الرقي وعلى المكانة الاجتماعية.

3- العربية المولدة أي التي بها أخطاء كانت لغات الطبقات الدنيا في المجتمع.

4- العربية الفصحى ظلت لغة الشعر الذي تعز به الطبقات العليا من المجتمع.

1 حكى البلاذري: لما قدم "الوالي" أمر كاتبه بقراءة عهده، وكان لحناً، فقال سعيد "الوالي" أيها الناس: إن الأمير بريء مما تسمعون من هذا اللحن"، فتوح البلدان 601.

2 انظر المواضع المذكورة في كتاب "العربية" ليوهان فك 26-27.

(243/1)

5- العربية هي لغة الدين ولغة القرآن الكريم ولغة العبادات¹.

كان تعلم العربية هو أساس العمل في الدواوين وأقبل كثير من غير العرب على هذه الأعمال بعد تعلمهم للعربية وإجادتهم للكتابة بها، مما دفع أقرانهم إلى محاكاتهم، وكان ينظر طوال العصر الأموي إلى إجادة النطق بالعربية على أنها صفة من صفات الأرستقراطية العربية. ولذا كان سادة البيت الأموي يرسلون أبناءهم إلى البداية لينشئوا في جو عربي بدوي وحتى يدرجوا على استخدام العربية على النحو الذي كان معروفاً عند البدو. وكان سادة البيت الأموي يفرعون أشد الفرع عند ملاحظاتهم لبعض الأخطاء اللغوية عند الناشئة من أبنائهم فقد كانوا يعتزون بالعربية في صورتها البدوية

اعتزازهم بأصلهم البدوي.
وأقبل كثير من الأعاجم على العربية لا لمجرد التعبير بها تعبيراً يفني بمطالب الحياة اليومية بل كي يرتفع في المجتمع. فزياد الأعجم -وهو كما يبدو من اسمه من أصل غير عربي- تعلم العربية لينطلق إلى التأليف في الشعر. وكان ينظم الشعر رغم أن نطقه مشوب بلكنة أجنبية، حتى إن أحد الولاة أهدها غلاماً سليم النطق ليقوم بإلقاء شعره². وقد كان شعره القديم على النمط القديم حتى إن سيبويه لم يجد غضاضة في الاستشهاد بأبيات من شعره، ويبدو أن ابن قتيبة حين ذكر أن زياد الأعجم كثير اللحن، كان يعني عدم قدرته على التعامل الشفوي بلغة عربية سليمة.
حاولت الطبقات غير العربية في المجتمع الإسلامي تعلم اللغة العربية، فالعربية لغة القرآن الكريم ولغة الصلاة. وقد أدى دخول أكثر سكان المناطق المفتوحة في الإسلام إلى ظهور الرغبة لدى هؤلاء لدراسة القرآن الكريم لفهم أحكام الإسلام وللعمل في ضوئها، ولذا كان الاشتغال بنص القرآن الكريم

-
- 1 انظر الدراسة الممتازة التي خصصها يوهان فك J.Fuck لهذا الموضوع في كتابه:
"العربية دراسات في اللغة والهجات والأساليب" ص 50 وما بعدها.
2 الأغاني 14 / 102-103.

(244/1)

ومحاولة فهمه وتقريبه أول مظهر للبحث العلمي في المجتمع الإسلامي.
وقد حدث الانتقال إلى العربية شيئاً فشيئاً، فالتحول اللغوي سواء في لغة الكتابة أم في لغة الحديث لا يحدث في جيل واحد بل يمتد إلى أكثر من جيل وتعتمد سرعة الانتقال أو التحول من لغة إلى أخرى على مجموعة من العوامل منها مدى القرابة بين اللغة القديمة واللغة الوافدة. ومن المعروف أن الانتقال من لغة سامية إلى لغة سامية أخرى أمر سهل ميسور، ولذا، فقد تعربت منطقة الشام والعراق في مرحلة مبكرة نسبياً، فقد كانت اللهجات الآرامية المختلفة الكثيرة عدداً والمتقاربة في بنيتها تسود هذه المنطقة. وهذه اللهجات قريبة من العربية في أكثر من جانب، وكان من السهل على المتحدث بالآرامية أن يتعلم العربية بينما لم يكن الانتقال من القبطية أو البربرية إلى العربية سهلاً قريب المنال. ولذا تم تعريب مصر في فترة استمرت أطول من الفترة التي عربت فيها

سوريا والعراق والجنوب العربي. وينبغي أن نشير إلى أن المناطق الجبلية تستعصي على التحول اللغوي والديني، ولذا فالمناطق غير السهلة في العراق لا تزال تحتفظ بلغات قديمة سبقت العربية في هذه المنطقة، وأكثر سكان هذه القرى غير العربية لم يدخلوا الدين الإسلامي. ويلاحظ أن القرى الآرامية في سوريا مثل المعلولة، وفي العراق مثل القوش تقع في مناطق جبلية وعرة. ويبدو أن تعريب المناطق الجبلية أو النائية في سوريا والعراق امتد وقتاً أطول من زمن تعريب المدن ومناطق السهول.

(245/1)

3- الجاحظ وملاحظاته اللغوية:

سجل الجاحظ إعجابه وإعجاب عصره بحديث الأعراب، يقول: "ليس في الأرض كلام هو أمتع، ولا آنق، ولا ألد في الأسماع، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقديماً للبيان، من طول استماع

(245/1)

حديث الأعراب الفصحاء العقلاء، والعلماء البلغاء"1. وهذا الكلام يعلن موقفاً عاماً في القرن الثاني للهجرة.

وقد لاحظ الجاحظ اختلاف لهجات الأمصار الجديدة، وعلل هذا تعليلاً علمياً سليماً، فقال بأن الاختلاف يرجع إلى لهجات القبائل الوافدة التي احتك بها واتصل بها السكان الأصليون في تلك المناطق. يقول الجاحظ: "وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر"2. فسكان البصرة يستخدمون كلمة "قدر" والجمع "قدور" لأن العرب الذين نزلوا البصرة كانوا يستخدمون الكلمتين، بينما يستعمل أهل مكة كلمة "برمة" والجمع "برام"3.

وسمى أهل مكة "البيت إذا كان فوق البيت عليّة" وجمعها "علالي"، بينما أطلق عليها أهل البصرة: "الغرفة"، والجمع: "الغرفات والغرف" ويستخدم أهل مكة كلمة "الكافور" بينما يتحدث أهل البصرة عن الطلع"4.

وفوق هذا وذاك فإن الجاحظ لاحظ انتشار الألفاظ الفارسية في المدينة والبصرة

والكوفة. يقول: "ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم أناس من الفرس، في قديم من الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم. لذلك يسمون البطيخ "الخربز" ويسمون السميط "الرزق" ويسمون المصوص "المزوز" ويسمون الشطرنج "الأشترنج"5.... كما يسجل الجاحظ أيضاً أن: أهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة، ويسميها أهل الكوفة الجهار سوك والجهارسوك بالفارسية، ويسمون السوق أو السوقية وازار، والوازار بالفارسية، ويسمون القشاء خياراً، والخيار فارسية"6.

1 البيان والتبين: 1/ 145.

2 البيان: 1/ 18.

3 البيان: 1/ 19.

4 البيان: 1/ 19.

5 البيان: 1/ 19.

6 البيان: 1/ 20.

(246/1)

سجل الجاحظ بعض العبارات التي استخدمت في لغة الحديث اليومي بين الجيش العربي الفاتح وبين المتعاونين معه من الأمصار المفتوحة، وهذه العبارات على قلتها تعكس صورة من الحياة اللغوية في ذلك العصر، ورغم أنها ممسوخة إلا أنها طريفة. يحكى الجاحظ أن الحجاج قال لأحد تجار الدواب الخراسانيين الذين كانوا يبيعون الدواب للجيش الإسلامي:

الحجاج: أتبيع الدواب المعيبة إلى جند السلطان؟

التاجر: شريكنا في هوازها، وشريكنا في مداينها، وكما تيجي تكون.

الحجاج: ما تقول ويلك ...

فقال بعض من كان قد اعتاد سماع الخطأ.... حتى صار يفهم مثل ذلك يقول: شركاؤنا

بالأهواز والمدائن يبعثون إليها بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها1.

يلاحظ في هذا النص أن الحجاج لم يفهم ما قاله التاجر الخراساني، وهذا أمر لا

نستبعده، فمن درج على استخدام اللغة متحدثاً وسامعاً وفق نسق معين لا يفهم نفس

اللغة إذا استخدمت بطريقة مختلفة عما درج عليه ... اللهم إلا إذا كان لديه مران على

فهم هذه اللغة المهجين المختلفة. وإذا نظرنا إلى الجملة التي قالها التاجر نلاحظ أنه استخدم كلمة "شريكنا" بدلا من "شركاؤنا"، وبذلك لم يعرف المتحدث صيغة الجمع الصحيحة "شركاء"، وهي صيغة جمع تكسير. وجمع التكسير ذو صيغ متعددة في العربية، ولذا كان صعباً عليه. ولكنه لم يجمع هذه الكلمة على نحو عربي، بل أضاف علامة الجمع في الفارسية "آن"، وبذلك نشأت هذه الصيغة المهجين، كلمة عربية ونهاية جمع فارسية. نلاحظ أيضاً في الجملة التي قالها التاجر استخدام النسبة إلى الأهواز بأن قال: "هوازا" على نحو لم تعرفه العربية، والجملة مختصرة اختصاراً شديداً لا تكاد تمضي على

1 البيان: 1/ 161-162.

(247/1)

النسق الذي عرفته لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم. سجل الجاحظ أيضاً عبارة مشابهة، يقول الجاحظ: "وقلت لخدم لي: في أي صناعة أسلموا هذا الغلام؟ قال أصحاب سند نعال. يريد في أصحاب النعال السندية"¹. نلاحظ هنا التعبير المركب "سند نعال" بدلا من التعبير العربي النعال السندية أو نعال السند، والعربية لا تعرف هذه التعبيرات المركبة وإنما تعبر عن هذا المعنى بالموصوف والصفة أو المضاف والمضاف إليه. ولكن بعض اللغات الهندية الأوروبية، والفارسية لغة منها تعرف التعبيرات المركبة. وواضح أن مستخدم التعبير "سند نعال" متأثر بالأساس اللغوي الفارسي.

ويلاحظ الجاحظ أن هذه العبارة الغريبة عن الذوق العربي لم تكن سهلة الفهم على من لم يعتد سماع مثل هذا ويمضي الجاحظ فيقول: "ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم: ذهبت إلى أبو زيد، ورأيت أبي عمرو، ومتى وجد النحويون أعرابياً يفهم هذا وأشباهه بمرجوه ولم يسمعو منه؛ لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان"².

ومن الطريف أن نجد عند الجاحظ ملاحظات قيمة عن أثر الأساس اللغوي في نطق متعلمي العربية من الشعوب المفتوحة. يقول الجاحظ: "وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، وقد يكون لفظة متخيراً فاحراً، ومعناه شريفاً كريماً، ويعلم

مع ذلك السامع من الكلام ومخارج حروفه أنه نبطي. وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة فإنك تعرف من إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خراساني، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز. ومع هذا فإننا نجد الحاكية من الناس من يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً، وكذلك تكون حكايته للخراساني،

1 البيان: 1/ 162.

2 البيان: 1/ 162-1963.

(248/1)

والأهوازي، والزنجي، والسندي، والأجناس وغير ذلك، نعم حتى تجده كنه أطبع منه"1. وفي موضع آخر يفصل الجاحظ بطريقة أدق ما لوحظ من أثر للأساس اللغوي الأجنبي فيقول: ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زائياً، ولو أقام في عليا تميم، وسفلى قيس، وبين عجز هوزان خمسين عاماً. وكذلك النبطي القح خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط، لأن النبطي القح يجعل الزاي سيناً، فإذا أراد أن يقول زروق قال سوزق ويجعل العين همزة"2.

وفي مواضع أخرى يسجل الجاحظ أن أبا مسلم الخراساني لم يكن يستطيع النطق بالقاف، فكان يقول بدلاً من: قلت قلت، ومن: قمر كمر3، والملاحظ أن القاف من أصوات الإطباق التي لا تعرفها الفارسية، ولذا كانت صعبة النطق على فارسي يتعلم العربية، ويروي الجاحظ أن زياداً الأعجم كان يجعل السين شيئاً4، ويفهم من هذا النص أنه لم يكن يميز بينهما تمييزاً واضحاً وكان زياد الأعجم لا ينطق الطاء كما ينبغي أن يكون، بل يجعلها تاء أي أنه لم يستطع نطق الطاء المطبقة وأبدلها بصوت غير مطبق، كما لاحظنا عند أبي مسلم الخراساني، وذكر الجاحظ أن بعض مواطني الدولة الإسلامية من غير العرب لم يكونوا يميزون تمييزاً واضحاً بين الدال والذال5. ولا شك أن هؤلاء كانوا من بيئة لغوية لا تميز بين الدال والذال فالذال والذال في الآرامية مثلاً صورتان صوتيتان لوحدة صوتية واحدة. ونظراً لأن استخدام صورة

1 البيان: 1/ 69.

2 البيان: 1/ 70.

3 البيان: 1/ 71.

4 انظر أيضاً، فك: العربية 33-34، البيان: 1/ 71.

5 البيان: 1/ 74.

(249/1)

صوتية في أي لغة محل صورة صوتية أخرى لنفس الوحدة الصوتية لا يغير المعنى، فلم يكن المتحدث بالآرامية يجد فرقاً في المعنى بين استخدام الدال محل الدال أو الدال محل الدال.

ويطلق الجاحظ على هذه الظاهرة ظاهرة عدم قدرة المستعربين على النطق بالأصوات العربية اسم: اللكنة، بضم اللام. يقول الجاحظ: "ويقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول"1. فاصطلاح اللكنة محدد بهذا النوع من الخطأ في النطق، واللكنة أثر مباشر للأساس اللغوي وكل الأصوات العربية التي لم تعرفها لغات الأساس اللغوي تشكل نوعاً من الصعوبة وتنطق بلكنة.

ينبغي أن نقف قليلاً عند المصطلحات الأخرى المعبرة عن العجز في الأداء النطقي عند الجاحظ. أهم هذه المصطلحات الحبسة والحكلة واللثغة، وكلها بوزن فُعْلَة، بضم الفاء. يقول الجاحظ: ويقال في لسانه حُبْسَة إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام.... وإذا قالوا في لسانه حكلة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق"2. ويعني الجاحظ بكل من الحبسة والحكلة عيبين من عيوب النطق على المستوى الفردي، وينبغي أن نذكر أن كليهما مرتبط بالظروف الخاصة للفرد ويخرج عن نطاق البحث في اللغة كنظام إلى البحث في اللغة كظاهرة نفسية، أي أن دراسة اللكنة والحبسة ليست من البحث في اللغة كظاهرة نفسية، أي أن دراسة اللكنة والحبسة ليست من البحث في علم اللغة بل هما من علم النفس اللغوي وعلم الأصوات العلاجي. فعلم اللغة يعني باللغة كظاهرة اجتماعية، ولا يهتم بالاختلافات الفردية إلا إذا أصبحت سارية المفعول في المجتمع. معنى الحبسة عند الجاحظ عدم السلاسة في النطق، ومعنى الحكلة عدم اكتمال العادات الصوتية وعدم قدرة الجهاز الصوتي، أو كما يقول الجاحظ "نقصان آلة المنطق" عن النطق الواضح المبين.

1 البيان: 1/ 39-40.

2 البيان: 1/ 40.

(250/1)

4- العربية بين البداوة والحضارة:

كانت لغة البدو لا تزال حتى القرن الثاني من الهجرة موضع إعجاب، وكان البدو حجة في أمور اللغة، وكان إليهم المرجع إذا اختلفت النحاة، وكثيراً ما اختلفوا، فعرفت مجتمعات العراق عدداً من البدو الوافدين المعتمدين على ثقة المجتمع في صحة لغتهم، جاء هؤلاء واستقروا على مقربة من المدن يبيعون الغريب لكل نحوي يلجأ إليهم وكل لغوي ينشدهم مادة لكتاب أو لرسالة. وعندما اختلف سيبويه مع الكسائي في مدى صحة التعبيرين: "إذا هو إياها" أو "إذا هو هي" احتكما إلى البدو ليجدا عندهم الخبر اليقين¹. ويفسر البعض اختلاف الضوابط البصرية في النحو عما قال به الكوفيون بأن هذا يرجع لاختلاف لهجات البدو الذين أخذ عنهم كل فريق. ومن المعروف أن النحاة العرب لم يحاولوا توزيع الظواهر اللغوية واقعياً بأن يقرروا لكل قبيلة ما عندها من أصوات وأبنية، بل نظروا إلى كل هذا بمقياس الصحة والخطأ، واعتبروا البدو حجة لا يرقى إليها الشك. وكان ينظر إليه كل اختلاف بين اللهجات بمقياس الصحة والخطأ ويهدف المفاضلة بين الصور اللغوية إن كانت كلها بدوية، بأن يقال هذا فصيح وهذا أفصح.

كان الأمويون مرتبطين بالبادية مؤمنين بتنشئة الأبناء في بيئة لغوية بدوية، ولكن العباسيين آمنوا بضرورة إجادة الأبناء للعربية، غير أنهم لم يكونوا

1 ياقوت الحموي: إرشاد الأريب 13/ 187، وعبرة الكسائي: "هذه العرب في بابك قد جمعهم من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع، وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم فيحضرون ويسألون".

(251/1)

مرتبطين فكرياً أو عاطفياً بالمجتمع البدوي، وأرادوا لأبنائهم حياة رغدة في قصور بغداد ومعرفة جيدة بالعربية، ولهذا ظهر الأعراب في قصور السادة الجدد يعلمون اللغة، وهكذا اختلفت الصورة، قديماً كان الأبناء يرسلون إلى البادية، وفي القرن الثاني كان الأعراب يقدون إلى القصور يعلمون اللغة.

ويبدو أن المثقفين في القرن الثاني من الهجرة كانوا يحاولون استخدام العربية الفصحى في حديثهم ولم يقصروها على الكتابة، وهناك مجموعة من الأخبار تروي أن حماداً الراوية "كان يكذب ويلحن ويكسر" أو أنه "لحنه لحانة". ويروي عن حماد أنه قال عن نفسه: "إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها". ويرى البعض أن هذه الاتهام إنما نشأ من التأثر بالخصومة التي كانت بين حماد وبين غيره من الرواة¹. كما يروي أن الفراء، وهو نحوي كوفي، لحن مرة بمحضر هارون واعتذر قائلاً بأن اللحن عند سكان المدن كالأعراب عند أهل البادية.

وإذا نظرنا إلى طبيعة الأخطاء التي تنسب إلى المثقفين في القرن الثاني لاحظنا أنها تتناول الخلط بين الحالات الإعرابية، كأن يقول أحدهم: "أن نغم" بالجزم بدلاً من "أن نقوم" بالنصب، أو أن يستخدم متحدث حالة النصب بعد حرف جر كان يقول "بخيراً" وكأنه يقول "خيراً"، أو أن يخلط المتحدث بين صيغ الممدود وصيغ المقصور كأن يقول "قفاء" بدلاً من "قفا"². وهذه الأمثلة نادرة ولكنها تعكس أمراً مأخوذاً من لغة الحديث اليومي، لا لغة الكتابة. وندرة هذه الأمثلة دليل على أن لغة الحديث عند مثقفي القرن الثاني كانت هي الفصحى أو أنهم حاولوا استخدام الفصحى، ولو كان

1 انظر طبقات الشعراء لابن سلام ص 15 "ط أوروبا" والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 13/ 145، والأغاني "دار الكتب 6/ 71"، وقد جمع هذه المواضع يوهان فك في كتابه: العربية 62-63.

2 انظر: فك العربية 68-7، والمرجع المذكورة به.

حديثهم باللهجات المحلية لما لوحظت هذه الأخطاء. كانت لغة المثقفين هي الفصحى، بينما كانت اللهجات المحلية المختلفة وسيلة التفاهم عند السواد الأعظم من سكان الدولة الإسلامية.

على أن محاولة الابتعاد عن اللهجات المحلية وتوهم الاختلاف الشاسع بين الفصحى واللهجات المحلية في غير أماكن هذا الاختلاف دفع إلى عدد من الأخطاء وإلى خروج على ضوابط البنية اللغوية الفصحى. فالفقار نافع يجمع كلمة "معيشة" على معائش" بينما الصيغة القياسية "معاش"، لأن الأخيرة لا تعرف الهمز 1. والهمز من الظواهر التي تميز العربية الفصحى عن بعض اللهجات القديمة، فأراد نافع أن يجعل الكلمة فصيحة فأضاف إليها الهمزة في غير موضع لها. فقد اعتقد أن المفرد "معيشة" على وزن "فعيلة" دون أن يعلم بأن الميم هنا ليست من أصل الكلمة، وجمع فعيلة فعائل، مثل: كريمة كرائم، ولكن معيشة هي في واقع اللغة بوزن مفعلة الذي يجمع على مفاعل، فتكون صيغة الجمع القياسية معاش بلا همزة، ولكن هذا لم يدر في ذهن من جمع معيشة على معائش لأنه يعتقد أن الهمزة تكسب الكلمة طابعا فصيحاً، فأضافها في غير موضعها، ويطلق على هذه الظاهرة اسم **Overcorrectness**، أي المبالغة في تقليد الفصحاء أو التفاسيح.

ودفع الإعجاب بلغة البدو إلى محاولتهم إظهار اختلافهم في النطق عن أهل الحضر، فكانوا يتشددون أو يتشادقون وكانوا يحتفلون بالغريب ويهتمون به غاية الاهتمام، ولذا نجد في كتب اللغويين اهتماماً بالغريب، أي بالألفاظ الغريبة النادرة، وحاول بعض البدو إرضاء رغبة اللغويين في استخدام الغريب وولعهم به. وفي هذا الإطار اخترعت بعض الشخصيات الأسطورية ونسبوا لها بعض الأقايصيص 2. يروى عن أبي علقمة أنه كان نحويًا، ولا تذكر كتب

1 سورة الأعراف /10، شرح المفصل لابن يعيش 1434.

2 ياقوت الحموي: إرشاد الأريب 12 / 205-215.

(253/1)

الطبقات أي شيء عنه، أو عن تلاميذه، أو عن مؤلفاته، أو عن آرائه. إنها لا تذكر أي شيء إلا أنه كان مريضاً، وذهب للطبيب فأخبره بعبارات غريبة لا تفهم، فرد عليه الطبيب بعبارات لا تقل غموضاً، وعندما رد أبو علقمة قائلاً للطبيب: لم أفهم ما قلت، قال الطبيب: وهل فهمت أنا ما قلت!. وهناك رواية أخرى عن عبارات تنسب لأبي علقمة هي عبارات اخترعت اختراعاً، ولكنها تعبر عن روح العصر. كان هذا في إطار

ولعهم بالغريب والألفاظ النادرة البدوية، وتعبيراً عن روح العصر في تمجيده للحياة البدوية.

دخلت العربية في العصر الأموي مجالاً جديداً هو مجال التأليف، فإذا نظرنا في التراث العربي قبل ذلك العصر لاحظنا أن يتركز في الشعر القديم والأمثال. يضاف إلى هذا أن القرآن الكريم بالعربية. لم يعرف المجتمع التأليف بالعربية واستخدامها كلغة كتابة إلا في العصر الأموي. وكان ابن المقفع المتوفى سنة 142هـ من أوائل من استخدم العربية لغة كتابة. وقد ترجم من البهلوية إلى العربية مجموعة من الكتب منها "خداي نامه" أي "أخبار الملوك"، كما ترجم أيضاً كتاب: "كليلة ودمنة"1، وبذا دخلت العربية إلى مستوى جديد من مستويات الاستخدام اللغوي، فلم تعد العربية لغة الشعر فقط بل أصبحت أيضاً لغة التأليف والثقافة. فكان على كل من يعيش في الدولة الإسلامية ويرغب في الإسهام بالتأليف أو بالترجمة أن يتعلم العربية ليترجم إليها أو يكتب بها أو يفهم المأثور الذي كتب بها. ولا شك أن استخدام العربية في مستويات جديدة دفع إلى تجديدات لغوية بعيدة المدى، فسيبويه يتحدث عن "الاسم" و"الفعل" و"الحرف" كاصطلاحات ذات معنى محدد، وشتان بين المعنى القديم لهذه المفردات في لغة البادية اليومية وبين المعنى الاصطلاحي المحدد، فسيبويه خلع على هذه الكلمات مدلولاً علمياً. وهو حين يتحدث عن "الهمس" و"الجهر" و"المخارج" ابتكر اصطلاحات استقها وانتقها من لغة الحديث، واستخدمها كاصطلاحات.

1 الفهرست: 67، وفك: العربية 55-57.

(254/1)

علمية، محدداً معناها تحديداً يتفق وطبيعة الاصطلاح العلمي. وعندما اكتشف الخليل أوزان الشعر العربي وضع لهذه الأوزان أسماء لم تكن تخطر للشعراء على بال، لقد أخذ اصطلاحات "الطويل" و"الخفيف" و"البسيط" و"الكامل" ... إلخ، من لغة الحياة العامة، واستخدمها بدلالة جديدة. وفي كل فروع المعرفة نجد ظهور اصطلاحات علمية مع ظهور العلم نفسه.

ومن الطريف ما لاحظة الجاحظ بشأن المصطلحات التي استدعت وجودها العلوم المختلفة التي جدت في العصر العباسي، فلاحظ أن المتكلمين "اشتقوا منك كلام

العرب تلك الأسماء، وهم اصطالحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع. ولذلك قالوا العرض والجوهر وأيس وليس، وفرقوا بين البطلان والتلاشي وذكروا الهذية والهوية وأشبه ذلك، كما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقاباً ولم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب وتلك الأوزان بتلك الأسماء، كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكمال وأشبه ذلك، كما ذكر الأوتاد والأسباب والخرم والزحاف ... وكما سمي النحويون فذكروا الحال والظرف وما أشبه ذلك ... وأصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء وجعلوها علامة للتفاهم"1. فالجاحظ لاحظ وضع هذه الأسماء كمصطلحات علمية، وهذه الكلمات إما جديدة في الصياغة مثل الماهية أو ذات معنى اصطلاحى جديد مثل البسيط والكمال.

وهكذا دخلت العربية عصر الثقافة الإسلامية، كانت لغة بعض القبائل البدوية في شمال جزيرة العرب فصارت لغة الدولة الإسلامية من إيران إلى الأندلس ومن الشام إلى اليمن، وكانت لغة الحياة اليومية البسيطة فأصبحت لغة العلوم وأداة حضارة راقية. عندما كانت العربية لغة بعض القبائل البدوية في شمال ووسط جزيرة

1 البيان والتبيين: 1/ 139-140.

(255/1)

العرب كانت اللغة تعيش دون موقف مدرسي أو تقنين نظري، كانت في مرحلتها البدوية المتأثرة بما تتأثر به الحياة اللغوية، من مؤثرات غير مدرسية. لم يكن هناك موقف مدرسي أو ديني تجاه اللغة، ولكن خروج القبائل مع الجيوش الإسلامية داعية معربة الأقاليم المفتوحة أحدث تغييراً لغوياً، وظهرت عند المستعربين ظواهر جديدة أزعجت الحس اللغوي لمن كان قد أعجب بالعربية البدوية ومن وجد في لغة القرآن الكريم اللغة المثلى والنموذج الممتاز للتعبير اللغوي. خرج اللغويون لجمع اللغة من القبائل التي أعجب العصر بفصاحتها، ورفضوا أخذ اللغة وتعلمها عن باقي القبائل، ومعنى هذا أن تعلم اللغة الفصحى متاح لمن أراد إذا اتجه هادفاً لذلك نحو بعض القبائل. كان مجتمع الشام والعراق يريد العربية، ولكن إعجابه بالبداءة وبحياة البادية قل مع الأجيال التي لم تعرف حياة البادية، لقد أرادوا العربية وحياة الحضارة.

وما أن بدأت حركة التأليف العلمي في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة حتى بدأ التأليف أيضًا في تعليم اللغة العربية. فقد ظهرت الرسائل اللغوية التعليمية الأولى في ذلك الوقت، وكتبت رسالة صغيرة في "لحن العامة" تنسب للغوي الكوفي الكسائي¹. يضم هذا الكتيب مجموعة من المفردات التي شاعت في القرن الثاني في صورة رفضها اللغويون لمخالفتها للمأثور عن لغة فصحاء البادية. فالمؤلف يعتبر صيغة فعلول بفتح الفاء مثل عصفور برغوت صيغة فاسدة، لأن المأثور عن لغة فصحاء البادية وزن فعلول بضم الفاء لا بفتحها.

أكد الكسائي أيضًا أن وزن فاعيل يستخدم للمؤنث دون تاء التأنيث، وأن إضافة التاء خطأ. والكتاب يعكس بهذه الملاحظات الصورة المضادة للاستخدام اللغوي كما عرفه القرن الثاني للهجرة. ونحن لا ننظر نظرة الكسائي بأن نحكم عليها بالخطأ أو بالصواب، بل نحاول أن ننظر إليها كجزء من واقع لغوي عرفه القرن الثاني للهجرة.

1 طبعت هذه الرسائل: ثلاث رسائل، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة 1387.

(256/1)

أراد الكسائي أن يعلم برسائلته في "لحن العامة" الاستخدام اللغوي الصحيح، وهذا ما أراده ثعلب أيضًا بكتابه "الفصيح"¹. ويعد ثعلب أهم نحوي ولغوي عرفته مدرسة الكوفة في القرن الثالث للهجرة، وقد ألف عدة كتب منها كتاب "الفصيح" الذي يسمى كثيرًا باسم "فصيح ثعلب"، ذكر ثعلب فيه الألفاظ الفصيحة التي يود تقديمها لمن أراد تعلم اللغة الفصحى في صورتها المأثورة القديمة البدوية. أما ابن قتيبة وهو مؤلف آخر من القرن الثالث الهجري فله كتاب بعنوان "أدب الكاتب"، خصص المؤلف فيه فصلاً عن اللغة وذكر فيه بعض إرشادات تعليمية تعين على استخدام اللغة الفصحى في صورتها المأثورة².

وظهور هذه المؤلفات يعكس أمرًا جديدًا، فلم تعد اللغة تتعلم سماعًا، وإنما أصبحت تؤخذ عن طريق الكتب، وفي هذا تحول جديد بدأ مع أواخر القرن الثاني، واستمر في القرون التالية. وهكذا تغيرت الصورة، فأصبحت اللغة العربية مادة تعليمية تؤلف فيها الكتب.

- 1 ذكر ثعلب في خاتمة كتاب الفصيح الهدف من كتابه: "ليعرف به فصيح الكلام، ولم نكثر بالتوسعة في اللغات وغريب الكلام، ولكن ألفناه على نحو ما ألف الناس ونسبوه إلى ما تلحن فيه العوام". "ص104، خفاجي".
- 2 هذا القسم بعنوان: "كتاب تقويم اللسان" 238-332 ط القاهرة 1963".

(257/1)

5- العربية في القرن الرابع:

وفي القرن الرابع الهجري كانت العربية تؤخذ تعلمًا من الكتب لا بمخالطة الأعراب، ولذا فقد ظهرت مجموعة من الكتب منها كتاب قدامة بن جعفر: "جواهر الألفاظ"، وكتاب "الألفاظ" لابن السكيت، وكتاب عبد الرحمن الهمداني: "الألفاظ الكتابية"، وكلها كتب تعليمية من القرن الرابع الهجري. ولنقف قليلاً عند مقدمة الكتاب الأخير لنجد المؤلف يقول: "..... ووجدت من المتأخرين في الآلة قومًا أخطأهم الاتساع في الكلام، فهم

(257/1)

متعلقون في مخاطباتهم وكتبهم باللفظة الغريبة والحرف الشاذ، ليميزوا بذلك من العامة ويرتفعوا عن الأغبياء عن طبقة الحشو.... فجمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناسًا من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين والبعيدة من الاشتباه والالتباس، السليمة من التقعير، المحمولة على الاستعارة والتلويح على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة، دون مذاهب المتشدقين والمتفاسحين،.... ولا غنى بالكاتب البليغ ولا الشاعر المفلح ولا الخطيب المصقع عن الاقتداء بالأولين والاقتباس من المتقدمين1....

ويبدو من مضمون هذا الكتاب أنه تعليمي انتقائي وأن المؤلف يعتبر اللغة العربية مما ينبغي أخذه تعلمًا، واللغة العربية هنا هي لغة الكتابة التي تبعد عن التشادق والغريب وترتفع عن الكلام العامي. فلم تعد محاكاة البدو في تشادقهم أمرًا محمودًا، ولم يعد الاختلاط بهم وسيلة تعلم اللغة. فالهمداني يرى أن قراءة كتب تعليم اللغة هي الطريق إلى استخدام العربية في الكتابة، وها هو يقدم مجموعة من التعبيرات المختلفة في كل موضوع، فهو يذكر في معنى "صلح الشيء" ما يأتي: "وإذا صلح الفاسد قلت استقام

المائل، وانشعب الصدع، وانجبر الوهي، وانحسم الداء، ارتفق الفتق، واعتدل الميل، واندمل الكلم". وعلى هذا النحو ذكر الهمداني في كل باب التعبيرات المختلفة، وقد اعتمد الهمداني في انتقائه مادته من البدو وإنما هي "متخيرة من بطون الدفاتر، ومصنفات العلماء"2. وهذا تعبير عن موقف جديد، فاللغة العربية أصبحت لغة كتابة، وأصبحت تطويرها مرتبطاً باستخدامها على المستوى الإداري والثقافي، ولم تعد لغة بعض القبائل هي الفيصل، لم يذكر الهمداني الأعراب الفصحاء كما كان لغويو القرن الثاني يذكرونهم في فخر واعتزاز.

1 انظر مقدمة الألفاظ الكتابية للهمداني.

2 انظر مقدمة الألفاظ الكتابية ص VIII.

(258/1)

فقدت لغة البدو في القرن الرابع الهجري قيمتها كمثال أعلى للاستخدام اللغوي، وقد خصص اللغوي ابن جني فصلاً في كتابه الخصائص بعنوان "أغلاط الأعراب"1. وعقد فصل بهذا العنوان في كتاب من كتب اللغة معناه أن نظرة القرن الرابع تختلف عن موقف اللغويين الأوائل في القرن الثاني. فعندما اختلف الكسائي وسيبويه في صحة العبارة "إذا هو هي" أو "إذا هو إياها". أي: هل يعتبر الضمير الثاني في حالة الرفع أم في حالة النصب؟ كان البدو هم الحكم في القضية. ورغم اختلاف الروايات في هذه القصة إلا أنها تجمع على أن البدو كان الحكم في هذه القضية، وشتان هذا الموقف وموقف ابن جني الذي يجعل نفسه حكماً يفصل في مدى الصحة اللغوية للغة البدو، ويقضي بأن بعض ما عندهم ليس صحيحاً.

وهذا الموقف الجديد يرجع إلى مجموعة من العوامل، أهمها أن العربية في القرن الرابع الهجري كانت قد استقرت كلغة للثقافة. واستدعى هذا بالضرورة معجماً متنوعاً جديداً، فلم تعد لغة البدو بمعجمها البدوي وأفقهها الصحراوي كافية للتعبير عن الثقافة العربية الإسلامية الراقية. لم يعد من الممكن أن تكفي لغة الثقافة بالمعجم البدوي، فماذا يفعل الفيلسوف أو المنطقي أو عالم الرياضيات بمائة اسم للجمل أو مائتي اسم للأسد. إن اللغة العربية في القرن الرابع الهجري كانت قد استقرت لغة للثقافة، وأصبحت لغة كتابة تنمو على المستوى الثقافي، فظهرت المصطلحات والتعبيرات

المختلفة، ولم يعد مثقفو القرن الرابع الهجري يلوذون بالبداية بحثاً عن الغريب، بل كانوا يشتقون المصطلحات والتعبيرات المعبرة عن فكرهم وتخصصهم. ولكن الشعر ظل داخل الضوابط اللغوية القديمة أو على الأقل حاول الشعراء أن يلزموا الخصائص اللغوية للشعر القديم، كما قننها النحاة المبكرون.

1 الخصائص 3/ 283-232. وانظر أيضاً ج2 ص5 وما بعدها.

(259/1)

اعتبر اللغويون أي خروج على الضوابط القديمة غير جائز في لغة الشعر، وحاول الشعراء دراسة النحو، ومنهم من تعمق هذه الدراسة وأظهر ذلك عن عمد في شعره. آمن شعراء العربية الفصحى بأن اللغة القديمة أي اللغة التي سجلها النحاة هي المثل الأعلى، فكل الصيغ التي جاءت من عصور الاحتجاج صحيحة وجديرة بالاحتذاء، ومنها صيغ نادرة جاءت في أبيات مفردة فقدت قصائدها وسجلها النحاة. وهناك عدد من الصيغ اعترف الكوفيون وحدهم بصحتها، ولم يعرفها أو يعترف بصحتها البصريون. وهنا ظهرت أهمية الثقافة اللغوية والإعداد النحوي للشاعر، والمتنبّي من أوضح الأمثلة على هذا.

فقد حاول أن يظهر في شعره براعته اللغوية، وكأنه كان يستعرض معرفته بالمعجم القديم وهو يتفاح بالنادر والغريب، ويثير ثائرة النحاة ليثبت بعد ذلك صحة ما قال من الناحية اللغوية. استخدم المتنبّي صيغة الجمع "آخاء" جمعاً لكلمة "أخ" لأنه عرف أن هذه الكلمة استخدمت في بيت من الشعر القديم¹.

وقد أثار المتنبّي غضب أنصار المذهب البصري ليثبت لهم بعد هذا أنه على صواب، أي: سداس، متحدّياً بذلك ضوابط النحاة إذ إنهم أجازوا وزن فعال من العدد واحد إلى العدد أربعة، ورفضوا قياس هذا الوزن من الأعداد الأخرى². وكان المتنبّي يعلم أن بعض اللهجات القديمة استخدمت كلمة "التوراب" بدلا من كلمة التراب، ولذا استخدم هذه الكلمة النادرة³. ولهذا كله فقد اهتم به اللغويون، ولا نعلم شاعراً عربياً في عصر المتنبّي أو بعد عصره أثار انتباه اللغويين مثله. فقد كثرت الشروح اللغوية على ديوان المتنبّي. ومن هذه الشروح: شرح العكبري، وشروح ابن جني، وشرح المعري، وشرح التبريزي، وهكذا اهتم المتنبّي بالصيغ القديمة النادرة، فأثار اللغويون واهتموا به.

-
- 1 انظر حول الاستخدام اللغوي عند المتنبي: فك: العربية ص 168-181.
 - 2 الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه "ط القاهرة 1966" 91، 99، 457.
 - 3 الوساطة 86.

(260/1)

6- الهمداني والحياة اللغوية في القرن الرابع الهجري:
وصف الهمداني "ت 334" الحياة اللغوية في جزيرة العرب في أوائل القرن الرابع الهجري
وخصص لها فصلاً مستقلاً عنوانه "لغات أهل هذه الجزيرة" 1. ويتضح من عبارات
الهمداني في هذا الفصل صورة التنوع اللغوي في الجزيرة العربية آنذاك. لقد قاس
الهمداني اللهجات واللغات المختلفة في الجزيرة العربية وفق معايير العربية الفصحى،
فبقدر قرب اللهجة من الفصحى تكون هذه اللهجة رديئة. إننا نلاحظ من وصف
الهمداني لطبيعة التنوع اللغوي في الجزيرة العربية في أوائل القرن الرابع الهجري عدة أنماط
لغوية. ففي أقصى الجنوب وبالتحديد في منطقة الشحر لاحظ الهمداني أن أهلها "ليسوا
بفصحاء" مهرة غشم يشاكلون العجم" 2. والواقع أنهم يمثلون جماعة لغوية متميزة لغتها
الأول هي اللغة المهرية وليست اللغة العربية، فالعربية بالنسبة لهم لغة تكتسب تعلمًا
كما تكتسب أية لغة أجنبية أخرى. ولاحظ الهمداني أن منطقة حضرموت القريبة من
منطقة المهرة تسودها لغة ليست بفصيحة "وربما كان فيهم الفصحى، وأفصحهم كندة
وهمدان" 3. ومعنى هذا أن منطقة حضرموت كانت قطعت في ميدان التعريب بعربية
الشمال شوطاً بعيداً، وأن قبيلة كندة بصفة خاصة كانت قد تعربت بدرجة أكبر، ومعنى
هذا بالنسبة لعربي مثل الهمداني أنه كان يستطيع التعامل مع أبناء قبيلته بلغته العربية
ويستطيع كذلك التعامل مع أبناء قبيلة كندة بالعربية أيضاً، بينما يصعب عليه أن يفهم
كلام أهل الشحر، فلغتهم هي اللغة المهرية. ويعكس وصف الهمداني لبعض اللهجات
بأنها غير فصيحة أن هذه اللهجات عربية شمالية ولكنها تختلف

-
- 1 الهمداني: صفة جزيرة العرب "ط القاهرة 1953 هـ" ص 134-136.
 - 2 الهمداني 134.
 - 3 الهمداني 134.

اختلافًا بينًا عن العربية الفصحى.

وقد ذكر الهمداني إلى جانب لغة المهرة لغة أخرى تختلف عن العربية الشمالية، وهي اللغة الحميرية. فذكر أن أهل شبام أقيان والمصانع وتُحلى يستخدمون "الحميرية الخضة" 1، وذكر في مواضع أخرى أن بعض القبائل تتعامل "باللسان الحميري" 2 أو بالحميرية القحة المتعقدة 3. ومن هذا كله يتضح أن القرن الرابع الهجري عرف جماعات بشرية تتعامل في اليمن بالمهريّة، وأخرى باللسان الحميري، وجماعات أخرى أخذت تتعرب بعربية الشمال.

لقد كان الهمداني يعلم أن منطقة اليمن عرفت لغة أخرى غير العربية الشمالية، وأن هذه اللغة الحميرية تركت أثرًا في استخدام اليمنيين المتعربين بعربية الشمال. فعندما تحدث الهمداني عن سرور حمير وجعده ذكر أنهم: "ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير.... فيقولون: يا بن مَعَم في يا بن العم وسمَع في اسمع" 4. وبهذا تعربت بعض الجماعات البشرية بعربية الشمال متأثرة بلغتها الأولى العربية الجنوبية. ويبدو أن لغة بعض المناطق في اليمن في القرن الرابع الهجري كانت تتعامل بلغة قريبة من الفصحى غير أنها مولدة أي بها بعض مظاهر اللحن. يقول الهمداني: "عدن لغتهم مولدة ردية" 5، "بنو مجيد وبنو واقد والأشعر لا بأس بلغتهم" 6 "سرو ومذحج ومأرب وبيحان وحريب فصحاء، ورديء

1 الهمداني 136.

2 الهمداني 135، السطر الأول.

3 الهمداني 135، السطر الثالث وكذلك السطر التاسع.

4 الهمداني 134.

5 الهمداني 134، الثالث من أسفل.

6 الهمداني 134.

اللغة منهم قليل"1. "خولان صَعَدَه.... فصحاء"2. ويبدو أن هذه المناطق كانت قد تعربت بعربية الشمال إلى حد كبير.

لقد ذكر الهمداني في عبارة موجزة لهجة كل قبيلة وكل منطقة اهتم بها. وقد جعل أقرب اللهجات إلى اللغة الفصحى تلك اللهجات العربية الشمالية في مناطق العروض والحجاز ونجد. يقول الهمداني "أما العروض ففيها الفصاحة ما خلا قراها، وكذلك الحجاز فنجد السفلى، فألى الشام وإلى ديار مضر وديار ربيعة ففيها الفصاحة إلا في قراها"3. ومن هذا يتضح أن مجموعة من اللهجات في هذه المناطق كانت قريبة من الفصحى ولكن لهجات الحضر المستقرين أي سكان القرى كانت مخالفة للفصحى.

وهكذا أوضح الهمداني في وصفه للحياة اللغوية في جزيرة العرب عبارات موجزة بعض جوانب التنوع اللغوي في القرن الرابع الهجري.

1 الهمداني 134.

2 الهمداني 136.

3 الهمداني 136.

(263/1)

7- المقدسي والحياة اللغوية في القرن الرابع الهجري

تضمن كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي معلومات مختلفة حول العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري. وقد ذكر في مقدمته أنه اهتم أيضاً "باختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم"1 وتقوم هذه الملاحظات على خبرة المؤلف في أثناء رحلاته وما دونه في أثناء هذه الرحلات حول كل إقليم من الأقاليم التي زارها2.

تناول المقدسي الحياة اللغوية في الأقاليم العربية من الدولة الإسلامية بمجموعة.

1المقدسي: أحسن التقاسيم ص1.

2 انظر أيضاً مجموعات المفردات التي تختلف فيها لهجات الأقاليم العربية 30-32.

(263/1)

من الملاحظات حول جزيرة العرب والعراق والشام ومصر والمغرب. لاحظ المقدسي أن العربية هي اللغات السائدة في جزيرة العرب عدا منطقة صُحار¹ وهي المنطقة الواقعة على المحيط الهندي والخليج العربي من عمان. فهذه المنطقة كانت تضم وفق وصف المقدسي جماعات من المتحدثين بالفارسية. وإلى جانب هذه المنطقة التي سادها فيما يبدو ضرب من الازدواج اللغوي، فقد ذكر المقدسي أن اليمن ضمت "قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم"²، ولا شك أن المقصود بمؤلاء العرب تلك الجماعات اللغوية التي كانت تتعامل في القرن الرابع الهجري باللغات العربية الجنوبية المختلفة، وقد أشار الهمداني إلى ذلك. وإذا كان الهمداني قد ذكر أن لغة عدن مولدة فإن المقدسي ذكر عدة أمثلة من لهجة عدن، يقول المقدسي: "وأهل عدن يقولون لرجليه رجلينه، وليديه يدينه وقس عليه، ويجعلون الجيم كافا فيقولون لرجب ركب ولرجل ركل"³. ومعنى هذا أن لهجة عدن في القرن الرابع الهجري لم تكن تميز بين الاسم المضاف والاسم غير المضاف وأن النون لم تكن تحذف من الاسم المثني المضاف إلى ما بعده. وملاحظة المقدسي حول نطق الجيم في عدن على نحو نطق الجيم في لهجة القاهرة المعاصرة واضحة من تدوينه لهذا الصوت بحرف الكاف، فقد أراد أن يعبر دون لبس عن صوت الجيم الشديدة فعبر عنه بالكاف، وهي في العربية صوت شديد أيضاً. ولا شك أن نطق الجيم على هذا النحو في عدن في القرن الرابع الهجري يعد امتداداً للجيم في اللغة السامية الأم وللجيم في اللغة العربية الجنوبية، وأن أهل عدن عندما تعربوا بعربية الشمال احتفظوا بهذا الصوت ولم ينطقوه النطق العربي الشمالي. ويبدو أن جماعات بشرية غير عربية الأصل كانت قد هاجرت إلى أنحاء من الجزيرة العربية ولكنها تعربت وأصبحت منتمة للإطار اللغوي العربي، يقول المقدسي: "وأكثر أهل عدن وجدة فرس إلا أن

1 المقدسي ص 96.

2 المقدسي ص 96.

3 المقدسي ص 96.

اللغة عربية"1. وعندما يلاحظ المقدسي أن تلك اللهجات العربية التي أشارت إليها كتب اللغة كانت لا تزال حية في بوادي الجزيرة العربية ذكر ذلك2، ولاحظ أن أقرب اللهجات العربية من الفصحى هي لهجات "هذيل ونجد وبقية الحجاز إلا الأحقاف فإن لسانهم وحش"3. فهذه اللهجات كانت قريبة من الاستخدام اللغوي الفصيح. فضل المقدسي الاستخدام اللغوي في مشرق الدولة الإسلامية على باقي أحنائها. والمقصود بالمشرق عنده المنطقة الواقعة شرقي العراق، وتضم إيران والمناطق التي بعدها. يقول المقدسي في تفسير ذلك: "لأنهم أصح الناس عربية؛ لأنهم تكلفوها تكلفاً وتعلموها تلقاً"4. ومعنى هذا أن اللغة العربية المنشودة في رأي المقدسي كانت لغة تؤخذ بالتعليم لا بالسليقة، ولذا فلم يبرز فيها أبناء الجزيرة العربية، بل اهتم بتعلمها المهتمون بذلك من أبناء لغات أخرى، فأجادوا العربية الفصحى وامتازوا بها. وعندما ذكر المقدسي إقليم العراق والمقصود به جنوب ووسط العراق – لاحظ كثرة اللهجات في هذه المنطقة وهي لهجات "حسنة فاسدة" أي حسنة نطقاً فاسدة نحوًا. لقد فضل المقدسي لهجة الكوفة عن باقي لهجات العراق، وفسر هذا بأن سكان الكوفة قريبون من البادية بعيدون نسبياً عن المنطقة اللغوية الآرامية. يقول المقدسي: "لغاتهم مختلفة، أصحها الكوفية لقربهم من البادية وبعدهم عن النبط، ثم هي بعد ذلك حسنة فاسدة، بخاصة بغداد، أما البطائح فنبط لا لسان ولا عقل"5. ويبدو أن المقصود بالبطائح المناطق الزراعية السهلة، وأن اللهجات الآرامية كانت لا تزال مسموعة في هذه الأنحاء وقد قارن المقدسي لهجة شمالي العراق بلهجات الشام

1 المقدسي 96.

2 المقدسي 97.

3 المقدسي 97.

4 أحسن التقاسيم 32.

5 المقدسي 128.

الشام. وفي كل هذه المنطقة كاد استخدام اللغة الفصحى يكون مقصوراً على التأليف والتدوين والإبداع الفني، ولم تكن لغة حديث عادي بين المثقفين، يقول المقدسي: "وكنيت إذا حضرت مجلس قاضي القضاة في بغداد أحجل من كثرة ما يلحن، ولا يرون ذلك عيباً"2. فالعربية الفصحى كانت قد استقرت آنذاك لغة ثقافة، أجادها أيضاً مؤلفون من غير أبناء اللغة العربية، ومن لم يعتمد إجادتها لم يستطع حسن استعمالها. وعندما زار المقدسي مصر والمغرب والأندلس لاحظ وجود لغات أخرى إلى جانب العربية. قال المقدسي عن مصر: "لغتهم عربية غير أنها ركيكة رخوة وذمتهم يتحدثون بالقبطية"3. ومعنى هذا أن اختلاف اللهجة العربية في مصر عن الفصحى جعل المقدسي يصفها على هذا النحو، وفي القرن الرابع الهجري كانت مصر قد قطعت في التعريب شوطاً بعيداً كاد أن يكون حاسماً، لكن المقدسي لاحظ معرفة بعض أهل الذمة وبالتحديد بعض المسيحيين، بالقبطية فسجل هذا. وذكر المقدسي أيضاً أن اللهجة العربية في المغرب والأندلس "منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم" ثم ذكر أيضاً أن "لهم لساناً آخر يقارب الرومي".

"والغالب على بوادي هذا الإقليم البربر.... لا يفهم لسانهم"4. ففي ذلك الوقت كانت موجة بني هلال وبني سليم لم تصل بعد، وكانت اللغة البربرية لا تزال تسود منطقة كبيرة من المغرب.

وقد فصل المقدسي الكلام عن اللغات الموجودة في المناطق غير العربية في

1 المقدسي 146.

2 المقدسي 183.

3 المقدسي 203.

4 المقدسي 234.

(266/1)

شرقي العالم الإسلامي، وذكر عددًا كبيراً من اللغات واللهجات1. ومن أهم هذه اللغات: اللغة الفارسية، واللغة الصغدية "السغدية" ولغة الديلم، ولغة الخزر، واللغة الأرمنية، واللغة الرانية، ولغة البلوش، بالإضافة إلى عدد كبير من اللهجات المحلية. وفي كل هذه المناطق وجد المقدسي معرفة باللغة العربية عند المثقفين، كما وجد أيضاً في

إقليم الديلم مجموعة من المتحدثين باللغة العربية واللغة الفارسية يعيشون في عزلة عن باقي أنحاء الدولة الإسلامية. وهكذا صور المقدسي بعبارات موجزة صورة للتنوع اللغوي في أنحاء العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري.

1 المقدسي 259، 443-446.

(267/1)

8- العلاقات اللغوية في القرن الخامس إلى فجر العصر الحديث

يلاحظ اتجاه هذه الفترة التي امتدت سبعة قرون أن العالم العربي كان واقعاً في قبضة عناصر غير عربية تشترك مع غالبية العرب في اعتناقها الدين الإسلامي، ورغم تغير الحكام فقد كانوا دائماً من غير العرب. كانت الطبقات الحاكمة من عناصر فارسية أو تركية أو شركسية، ويختلف توزيع العناصر من إقليم لآخر، وفي كل هذه الفترة كانت العربية لغة الطقوس الدينية ولغة الفقه الإسلامي مما جعل دراسة العربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدراسة الدين، فلم تكن العربية إلا لغة الدين. وهذا الأمر يشبه مركز العربية في إيران الحالية، فكل من أراد أن يشتغل بالدين كان عليه أن يدرس العربية. وظهر في هذا العصر عدد من الملخصات والشروح انتشرت انتشاراً كبيراً في المشرق والمغرب. وكان الهدف من هذه الملخصات تقريب ما توصل إليه الباحثون القدماء من نتائج في بحث اللغة العربية. كانت المعرفة بالعربية أداة لدراسة الدين، وكل المعاهد العلمية التي نشأت أو أخذت طابعها المميز في تلك الفترة مثل الأزهر والمعاهد المماثلة في العالم العربي والبلدان الإسلامية لا تزال تعتبر دراسة العربية والدين أمراً واحداً. وهذا الربط إنما يرجع إلى ظروف

(267/1)

تاريخية، فالعربية لم تكن إلا لغة الدين عندما كان العالم العربي واقعاً تحت السيطرة الإسلامية غير العربية، فلم تكن العربية لغة الإدارة أو السياسة، كانت الإدارة فارسية في أقصى المشرق الإسلامي وتركية في المناطق الواقعة تحت النفوذ التركي. بدأت هذه المرحلة بإبعاد العربية عن الإدارة عندما أعلن السلجوقيون في القرن الخامس

الهجري اللغة الفارسية لغة رسمية لدولتهم التي ضمت القسم الشرقي من الدولة الإسلامية. وفي ذلك العصر بدأ الإيرانيون يؤلفون بالفارسية وبدأ بعضهم يهجر العربية، وألف بعض المفكرين بالعربية والفارسية، فالغزالي مثلاً ألف كتابه "إحياء علوم الدين" بالعربية، وألف بالفارسية كتباً كثيرة منها "التبر المسبوك". ويلاحظ في المؤلفات الفارسية المبكرة أي في القرن الخامس أنها اعتمدت اعتماداً كلياً على المصطلحات العلمية العربية. فقد كان الإيرانيون يستخدمون العربية في القرون الأربعة الأولى للهجرة لغة للتعبير وللتأليف. كان كل ما كتبه الإيرانيون في القرون السابقة بالعربية، وكانت عندهم لغة التأليف، وعندما حاولوا استخدام الفارسية اعتبروا العربية لغة الأساس، وأخذوا منها المصطلحات العلمية المختلفة. أما الأفعال وأدوات الربط اللغوي والألفاظ الأساسية البسيطة فكانت من اللغة الفارسية وهذا يشبه الكتابة العلمية بالألمانية أو بالسويدية، فمعظم المصطلحات لاتينية أو يونانية وأدوات الربط والأفعال والمفردات البسيطة من اللغة التي يفترض أن يكتب الإنسان بها.

لقد تغير الموقف في القرن الخامس الهجري إذ دخلت اللغة الفارسية مجال التأليف مدعومة بدولة فارسية مسلمة، ورأت هذه الدولة أن تجعل من الفارسية لغة الإدارة والسياسة ومن العربية لغة الدين. ولعل من الغريب أن أول المدارس العالية التي أنشئت لتعليم العربية إنما ظهرت في القرن الخامس الهجري وهي: "المدرسة النظامية" المنسوبة إلى نظام الملك، فقد أسست سنة 459هـ. وكان تأسيس "المدرسة النظامية" في إطار الوضع اللغوي السائد، فقد اهتم السلجوقيون.

(268/1)

بالعربية الفصحى في عصورها المبكرة، لأن هذا يعين على فهم الدين، ولكنهم اعتبروا الفارسية لغة الحياة. وهذا يشبه موقف الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا في استخدامها اللغة اللاتينية في الطقوس الدينية. وقد درس في "المدرسة النظامية" أبو زكريا التبريزي المتوفى سنة 502هـ، ومن أهم مؤلفاته: "شرح ديوان الحماسة" ويلاحظ في مقدمات الكتب التي ألفها التبريزي وغيره أنه يعتبر دراسة العربية وسيلة فهم القرآن الكريم والسنة. ونلاحظ عند المشتغلين في ذلك الوقت تديناً شديداً جعلهم يذكرون أن أشرف العلوم علم الكتاب والسنة وأن مفتاح هذه الدراسة اللغة العربية.

إن الحديث عن العربية في العالم الإسلامي من القرون: الخامس عشر حتى التاسع عشر

ذو شجون لقد كان معظم أجزاء العالم العربي تحت السيطرة العثمانية المباشرة أو غير المباشرة، ومعنى هذا أن لغة الإدارة العليا كانت التركية، وأن لغة الإدارة المباشرة كانت التركية في كثير من الأقاليم، ولننظر إلى ألقاب الوظائف الكبرى في مصر في تلك الفترة، لقد كان الديوان الكبير وهو مجلس حكم البلاد يضم عن كل أوجاق موظفين ثلاثة: الأغا والدفتر دار والروز نامجي. والكلمات: أوجاق، أغا دفتر دار، روز نامجي ليست عربية لم تدخل مصر إلا مع الفتح العثماني، والأوجاق هو المنطقة، والأغا قائد الحامية، والدفتر دار مدير المالية، والروز نامجي حافظ السجلات. وكانت أهم وظائف الدولة في يد العناصر غير العربية، فالمماليك يتولون أهم الوظائف العسكرية والمدنية حتى أن شيخ البلد "المحافظ" كان منهم، وكان أعضاء الديوان والمماليك أصحاب الكلمة الأولى في البلاد، فإذا كان منهم، وكان أعضاء الديوان والمماليك أصحاب الكلمة الأولى في البلاد، فإذا أضفنا على ذلك مركز القوة الرابع في البلاد - بجانب الوالي الديوان والمماليك - وهو الحامية التركية والمتركة لتبيننا أن كل مراكز القوة كانت في يد غير العرب. كانت لغة الإدارة المركزية في الدولة العثمانية هي اللغة التركية، وكان أصحاب المراكز العليا يستخدمون في الإدارة اللغة التركية أيضاً، أما العربية فكانت في الإدارة المحلية.

(269/1)

لقد ارتبطت اللغة العربية طوال هذه الفترة بالطبقات غير الحاكمة في المجتمع، فالمتحدثون بالعربية كانوا يمثلون الطبقات المحكومة، وكانت العناصر الحاكمة من أصول غير عربية وكانت العناصر العسكرية المسيطرة من أصول غير عربية أيضاً. كانت الطبقات الأرستقراطية ذات النفوذ من غير العرب فالمماليك الذين حكموا وقتاً طويلاً إنما جلبوا من مناطق مختلفة في وسط آسيا وبعد دخول العثمانيين كانت الطبقات غير العربية في المجتمع تحتفظ لنفسها بكل الوظائف الراقية التي كانت وفقاً على المتحدثين بالتركية.

وهكذا ارتبطت دراسة العربية الفصحى في الوجدان الشعبي بدراسة الدين، وأصبح رجل الدين والمتخصص في العربية شخصاً واحداً هدفه الدين ووسيلته العربية. وأصبح الحديث باللهجات العربية واستخدام هذه اللهجات للإبداع الفني دليلاً على الصعوبة الاجتماعية، وكانت التركية لغة السياسة والإدارة والطبقات الحاكمة في المجتمع.

الفصل الرابع عشر: العربية في القارة الإفريقية

مدخل

...

الفصل الرابع عشر: العربية في القارة الإفريقية

العربية أكثر اللغات الوطنية انتشارًا في القارة الإفريقية، فأكثر من نصف سكان إفريقيا يتعاملون باللغة العربية. وإذا كانت اللغة العربية قد نشأت في آسيا وانتشرت في غربها بعد الفتح الإسلامي، فإن اللغة العربية قد انتشرت في القارة الإفريقية بصورة زادت مع الزمن حتى أصبح أبناء العربية في إفريقيا أكثر منهم في آسيا. وإذا كانت درجة انتشار اللغة العربية في إفريقيا تختلف من قطر لآخر، كما تختلف اللهجات العربية في القارة اختلافًا بعيدًا، فإن هذا يرجع إلى ظروف التعريب التي مرت بها كل منطقة من هذه المناطق.

1- تعريب مصر والنوبة والسودان:

ارتبطت بداية تعريب مصر بالفتوح العربية الإسلامية وما صاحب ذلك من هجرات بشرية تلتها موجات أخرى من القبائل العربية التي استقرت في مصر فذابت في أهلها، وبذلك أخذت هذه المجموعات الوافدة تتحول من النظام القبلي القائم على وحدة الدم إلى أنماط حضرية مغايرة تقوم على وحدة المكان.

وذوبان القبائل الوافدة وتحولها عن النظام القبلي يجعلها بالضرورة لا تهتم بأنسابها القائمة على الدم، وتجعل التجمعات البشرية الناجمة عن اختلاطهم بالسكان الأقدم تترابط وتتغير على أساس الموطن والمستقر، لا على أساس الأصل والنسب. وقد لاحظ المؤرخ الكبير المقرئ في هذه الحقيقة في الأسطر الأولى من كتابه: "البيان والإعراب عما

بمصر من الأعراب" قال: "اعلم أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر وجهلت أحوال أكثر أعقابهم". فلا شك أن الاستقرار ثم الاختلاط والإقامة في القرى والمدن مما يخلق ظروفًا موضوعية جديدة يصبح فيها الاهتمام بالأنساب أمرًا ثانويًا لا قيمة له، وفي مثل هذه الظروف يصبح تتبع أحوال أعقاب الموجة البشرية العربية المصاحبة للفتح أمرًا غير ممكن.

وقد سجل لنا المقريزي معلومات قيمة عن الموجات العربية المختلفة التي قدمت فاستقرت في أرض مصر، وحاول أن ينسب كل قبيلة إلى عرب الشمال أو على عرب الجنوب وذكر الخلاف في ذلك يقول المقريزي: "جذام من قدماء عربان مصر قدموا مع عمرو بن العاص"، وهذه القبيلة من عرب الجنوب الذين كانوا قد هاجروا إلى الشمال، يقول المقريزي: "لحقت بالشام فانتقلت إلى سبأ ولحقوا باليمن"¹. ويبدو أن قبائل الجنوب التي هاجرت إلى مصر كانت من الناحية اللغوية قد تعربت بعربية الشمال قبل رحيلها إلى مصر، فأسهمت في تعريب مصر بلغة الشمال لا بلغة الجنوب، ولا ينفي هذا إمكان وجود تأثيرات جنوبية في الاستخدام اللغوي لهذه القبائل الجنوبية أصلاً، الشمالية مهجراً، المصرية مستقرًا.

وتمثل قبيلة قضاة أكبر تجمع قبلي هاجر إلى مصر في عهد عمر بن الخطاب، وتهجير القبائل إجراء سياسي عرفه التاريخ الإسلامي، ففي عهد

1 المقريزي: البيان والإعراب ص 12 وحول تعريب مصر، انظر، أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية في مصر "القاهرة 1970".

(272/1)

عمر بن الخطاب هجر ثلث قبيلة قضاة إلى مصر، فقد ذكر المقريزي أن بلى قبيلة عظيمة فيها بطون كثيرة، وكانت بلى بالشام، فنادى رجل من بلى بالشام: "يا لقضاة! فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إلى عامل الشام أن يسير ثلث قضاة إلى مصر". ووضح من هذا الخبر أن عمر بن الخطاب رأى في الظروف التي أدت إلى استصراخ القبيلة وحدث ذلك رده نحو عصبية قبلية كامنة، فكان تهجير ثلث القبيلة إجراء سياسيًا يهدف إلى كسر حدة تكتل "قبيلة عظيمة فيها بطون كثيرة"، وهكذا جاءت هذه الموجة أرض مصر.

وقبيلة قضاة هذه مختلف في نسبتها إلى عرب الشمال أو عرب الجنوب. يقول ابن حزم: "وأما قضاة فمختلف فيها، يقولون: هو قضاة بن معد بن عدنان، وقوم يقولون: هو قضاة بن مالك بن حمير" ويشير ابن حزم بعد ذلك إلى كتب بطليموس وكتب العجم التي تذكر قضاة وتحدد مواضعها، قال: "وبلاد قضاة متصلة بالشام، وبلاد يونان والأمم التي بادت ممالكها بغلبة الروم عليها وبلاد عدنان، ولا تتصل ببلاد اليمن أصلاً¹" والواقع أن المصادر المتاحة لا تمكننا من الفصل في قضية أصل قضاة، وأغلب الظن أن قضاة من أصل جنوبي، وأنها قد هاجرت مع تلك القبائل العربية الجنوبية التي هاجرت إلى الشمال بعربية الشمال تعرباً ترك بعض السمات غير الشمالية في لهجتها، الأمر الذي جعل اللغويون ينصون على إعراضهم عن الاستشهاد بلهجتها، ولو كانت لهجتها جنوبية لما فكر فيهم أحد رفضاً أو قبولاً. ذكر الفارابي² أنه لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام، فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إباد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام.

1 ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 8 وقارن 440.

2 النص مقتبس عن كتاب الاقتراح للسيوطي ص 19.

(273/1)

وأكثرهم نصارى يقرءون في صلاتهم بغير العربية" فعربيتهم لم تكن إذن عربية جنوبية، بل كانت عربية شمالية مشوبة. هذا وقد كان اعتماد ابن مالك على لغة لحم وقضاة وغيرهم مما أثار عليه نقد أبي حيان النحوي: "وليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن¹" وينبغي لكل هذا ألا نبالغ في تصور الأثر الجنوبي في تعريب مصر، فهذه القبائل وإن كان بعضها -على ما يرجح من أصل جنوبي، فإنها كانت من الناحية اللغوية قد تعربت - بصفة عامة بعربية الشمال، قبل أن تخرج بإرادتها أو بأمر الخليفة مهاجرة إلى مصر، وهذا لا ينفي الانتماء الشعوري لهؤلاء، ولا ينفي ترابط القبائل ذات الأصل الجنوبي في عصبية واحدة جمعتهم فترة ما قبل أن يذوبوا مع السكان الأقدمين في مصر. وفي العصر الأموي حاولت الدوائر الحاكمة إحداث توازن بين عرب الشمال وعرب الجنوب في مصر، والمضي قدماً في تعريب مصر، فنقلت عدة قبائل شمالية إلى مصر كي

تحقق توازنًا مع هؤلاء الذين احتفظوا في وجدانهم الجماعي بأصولهم الجنوبية، وكي تمضي عملية التعريب في مصر على نحو أسرع. فتهجير قبائل شمالية إلى مصر إجراء سياسي اتخذته الخليفة هشام بن عبد الملك سنة 109 هجرية، ذكر المقرئزي: "وكان نزول سليم وعدة قبائل من قيس في أرض مصر سنة تسع ومائة.... ولم يكن بأرض مصر أحد من قيس قبل ذلك إلا من كان من فهم وعدوان فإنهما من قيس".

وقد ذكر المقرئزي أن هذا القرار السياسي ثم استجابة من الخليفة لرغبة عامل خراج مصر، إذ سأله أن ينقل إليها من قيس أبياتا، فأذن له هشام في الحاق ثلاثة آلاف منهم، وتحويل ديوانهم إلى مصر، على أن لا ينزلوا بالفسطاط.... فأنزلهم الحوف الشرقي وفرقهم فيه². وفي موضع آخر ذكر المقرئزي أنهم نزلوا منطقة بلييس، وهذا ما يدفعنا إلى افتراض أنهم نزلوا المنطقتين،

1 الاقتراح للسيوطي ص 20.

2 المقرئزي: البيان والإعراب ص 66.

(274/1)

ولعل تشابه بعض اللهجات في الشرقية مع لهجات في الصعيد إنما يرجع إلى هجرة نفس القبائل إلى كلتا المنطقتين.

واستمرت هجرات عرب الشمال إلى مصر في العصر الطولوني. فنزلت قبائل من اليمامة في صعيد مصر في العقد الخامس من القرن الثالث الهجري، وفي هذا يقول المقرئزي: "كانوا ينزلون اليمامة وقدموا مصر في خلافة المتوكل على الله أعوام بضع وأربعين ومائتين في عدد كثير، وانتشروا في النواحي، ونزل طائفة منهم بأعلى الصعيد، وسكنوا بيوت الشعر في براريها الجنوبية وأوديتها".

وفي العصر الفاطمي عرفت مصر موجتين بشريتين عربيتين، لهما أهمية كبرى في تاريخ التعريب في مصر والسودان والمغرب، لقد هاجرت إلى مصر "جهينة"، كما هاجر إليها بنو هلال وبنو سليم.

أما عرب "جهينة" الذين تنتسب إليهم اليوم، أكثر قبائل السودان العربية، فقد نقلوا إلى مصر بقرار سياسي اتخذته الساسة الفاطميون، يقول المقرئزي: "وأما جهينة فإنها من قبائل اليمن.... وهي قبيلة عظيمة وفيها بطون كثيرة.... وكانت مساكنهم في بلاد

قريش، فأخرجتها قريش بمساعدة عسكر الفاطميين، ونزلوا في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها". وهكذا كان تهجير عرب "جهينة" قرارًا سياسيًا اتخذته الفاطميون فأسهم في إضافة عنصر عربي إلى مصر.

وكانت العوامل السياسية كذلك وراء تهجير بني هلال وبني سليم إلى مصر وإخراجهم منها بعد ذلك، وكانت هذه الموجة العربية الشمالية مثار اهتمام ابن خلدون، وهو مصدرنا الأول في دراسة هذه الهجرة الضخمة ذات العدد الوفير. يذكر ابن خلدون أن "بطون هلال وسليم كانوا يجوبون قفر الحجاز ونجد.... فبنو سليم مما يلي المدينة، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف، وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء أطراف

(275/1)

العراق والشام"1. إن بني هلال وبني سليم من عرب الشمال، ولكن تحالف بني هلال وبني سليم مع القرامطة ثم اندحار القرامطة جعل بني هلال وبني سليم في مركز حرج لم ينقذهم منه إلا دعوتهم إلى مصر الفاطمية، يقول ابن خلدون: ".... ثم تحيز بنو سليم والكثير من ربيعة بن عامر إلى القرامطة عند ظهورهم، وصاروا جنودًا لهم بالبحرين وعمان.... ولما تغلب شيعة ابن عبيد الله المهدي على مصر والشام نقل أشياءهم من العرب من بني هلال وسليم فأنزلهم بالصعيد وفي العدو الشرقية من بحر النيل، فأقاموا هناك"2. وهكذا جاء الفاطميون الشيعة بأنصار القرامطة الشيعة إلى مصر، وسنشير - بعد- إلى خروج الهلالية من مصر إلى المغرب "تغريبة بني هلال"، ولا بد هنا أن نتحفظ قليلًا، فلم يهاجر كل الهلالية إلى المغرب "تغريبة بني هلال"، ولا بد هنا أن نتحفظ قليلًا، فلم يهاجر كل الهلالية إلى المغرب، بل بقيت بطون منهم في مصر، ذكر المقرئ في وقت لاحق للتغريبة أن "ببلاد الصعيد عدة قبائل من العرب، ففي بلاد أسوان وما تحتها بنو هلال"3.

وأغلب الظن أن الموجات البشرية استمرت بعد ذلك، ففي عهد صلاح الدين جاءت هجرة كان العدوان الصليبي قد قطع عليها الطريق إلى مصر، يقول المقرئ: "فلما فتح صلاح الدين.... بلاد غزة، وأعادها من أيدي الفرنج إلى المسلمين جاءت ثعلبة وطائفة من جرهم إلى مصر، وبقيت بقايا جرهم في مكانها"4، وليس من مجال بحثنا هنا أن ننظر في حركات بشرية تالية، فما شأننا بها في وقت كانت مصر قد تعربت تعريبًا كاملاً. غير أن نود أن نشير هنا إلى أحداث جعلت العرب الوافدين يذوبون في الكيان

المصري، فلم يكونوا مجموعة لغوية متميزة كما حدث مثلاً عندما.

1 ابن خلدون: العبر 6 / 27.

2 المرجع السابق 6 / 28.

3 المقرئزي: 27 – 28.

4 المقرئزي: 5 – 6.

(276/1)

هاجرت جماعات جرمانية من وسط أوروبا إلى شرقها، بل ساعدت عوامل مختلفة على انصهارهم في بوتقة واحدة مع السكان الأقدمين. لقد احتفظت القبائل الوافدة فترة من الزمن بالبدواة، إذ نزلوا في مناطق خاصة بهم، عاشوا في فخر الغزاة المحاربين ذوي الرواتب. كان عمر بن الخطاب قد حرم عليهم امتلاك الأرض، فأقاموا في معسكرات خاصة بهم أبقت لهم شخصيتهم متميزة وصقلت لغتهم على نحو قضى على كثير من الفروق المحلية غير الشائعة، وظلت لهم روايتهم باعتبارهم طبقة عسكرية فاتحة حتى انتهى العصر الأموي.

ودفعت عدة عوامل السكان الأصليين إلى تعلم العربية، فهي لغة الدين ولغة القرآن، وهي منذ حوالي 87هـ اللغة الرسمية للدولة، وهي لغة الطبقة العربية الحاكمة، وكل هذا جعل الطامحين في مكانة اجتماعية رفيعة أو في التعامل والتكامل في الدولة الإسلامية يحاولون تعلم العربية. وفي القرن الثاني الهجري زاد الاختلاط بين العرب والسكان الأصليين في مصر، إذ سمح للعرب الوافدين بامتلاك الأرض، وفي هذا يقول المقرئزي: "ولم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة". وهنا نسجل اتجاه كثير من العرب -في وقت كانت مكانة العربية قد استقرت فيه- إلى الاستقرار في الريف، وهذا ما أتاح مزيداً من التعريب ونشر الدين خارج مراكز الثقل في المدن والتجمعات العسكرية.

ولا نكاد نمضي طويلاً حتى نصل في خلافة المعتصم العباسي "218 – 227هـ" إلى نقطة تحول مهمة في وضع العرب في مصر، لقد انتقل الحكم إلى العباسيين اعتماداً على العناصر غير البدوية، فتكون الجيش الإسلامي من غير البدو، وهنا فقد العرب وظيفتهم كطبقة عسكرية في مصر، ولم تعد لهم أهمية بالنسبة للدولة، فحرم البدو من

رواتب الدولة التي كانت تؤدي إليهم باعتبارهم جنوداً¹. وفي هذا يقول المقرئزي:
"فانقرضت دولة العرب"

1 انظر مقدمة عبد المجيد عابدين لتحقيق كتاب المقرئزي ص 104.

(277/1)

من مصر، وصار جندھا العجم والموالي من عهد المعتصم". وأدى هذا الموقف الجديد إلى توطين كثير من البدو المسرحين في الريف فأسهموا في تعريب الريف، ورفض بعضهم احترام الزراعة وفضل الهجرة جنوباً إلى منطقة تشاد - وهو ما نشير إليه فيما بعد. وهاجر بعض هؤلاء الوافدين إلى الجنوب الشرقي لصعيد مصر. وكانت قبائل ربيعة قد نزلت أرض مصر في العصر الطولوني، ثم هجرتهم الدولة جنوباً لوقف إغارات البجة الذين كانوا يتحكمون في المنطقة ويرهبون الحجاج، وما أن قتلوا حاكم فقط - على البحر الأحمر - ومن معه من الحجاج حتى دفعت الدولة قبائل ربيعة لكبح جماح البجة، فقاوموهم، ثم تزوجوا منهم واستولوا على معدن الذهب بالعلاقي، فكثرت أمواهم واتسعوا في أحوالهم". وعن هذا الزواج بين البجة وربيعه نجمت أسرة "أولاد الكنز" نسبة إلى جدهم صاحب النفوذ في العصر الفاطمي الملقب بكنز الدولة، وظل الكنوز أصحاب نفوذ في جنوب مصر حتى قضى العادل أبو بكر بن أيوب عليهم سنة 570هـ،¹ وبذلك أسهم تهجير ربيعة واختلاطها بالبجة في تعريب هذا القطاع البشري بين الوادي والبحر الأحمر.

وقد ظلت منطقة النوبة بعيدة عن موجات تعريب مصر، ولهذا تفسير تاريخي واضح المعالم، فقد عرف النوبيون في فجر الفتح الإسلامي مملكة نوبية متحدة عاصمتها دنقلة "تنطق: دنجلة بحيم مصرية"، ومملكة علوه وعاصمتها سوبه. وظل النوبيون وثنيين حتى القرن السادس الميلادي عندما انتشرت المسيحية بين النوبة والبجة. ولم تتجاوز الجيوش العربية الفاتحة حدود مملكة النوبة، بل وقفت دونها وارتبطت النوبة مع مسلمي الشمال بمعاهدة عقدت سنة 651هـ عرفت باسم البقط "عن الكلمة اللاتينية Pactum وتعني التعاهد أو الحلف" وقد نصت هذه الاتفاقية على عدم إقامة العرب في النوبة مقابل التزامات أخرى يلتزم بها النوبيون²، والملاحظ هنا أن البقط منع إقامة

1 المقريري: 44.

2 انظر كتاب مصطفى مسعد "الإسلام والنوبة" وكذلك: المقريري في المواعظ والاعتبار "بولاق" 1/ 200، والبلاذري في: فتوح البلدان "نشرة دي خويه، ليدن 1866" ص 396، والمسعودي في: التنبيه والإشراف "نشرة دي خويه ليدن 1897" ص 329-330. والنص عند المقريري: "على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه".

(278/1)

العرب في المنطقة فحال دون تعريبها. واستمرت مملكة النوبة في عزلتها عن العربية حتى أن ابن سليم الأسواني الذي زار النوبة سنة 365هـ لاحظ أن العرب الذين اختلطوا بالنوبة، قد تعلموا النوبية وكادوا ينسون العربية. واستمرت الحال في النوبة على هذا النحو إلى أن تحولت إلى منطقة تابعة لمصر في القرن الثالث عشر الميلادي على أثر خلاف على عرش مملكة النوبة أدى بنفوذ القاهرة إلى تعيين حاكم من الكنوز المتعربين. ويبدو أن تحول النوبة إلى الإسلام كان بطيئاً، ففي القرن الرابع عشر ذكر ابن بطوطة¹ أن حاكمهم مسلم وأنهم مسيحيون. أما تعريب المناطق الواقعة بين وادي النيل والبحر الأحمر فقد زاد، إذ اهتم الفاطميون بتحويل التجارة إلى البحر الأحمر كي ينافسوا العباسيين، فازدهرت المحطات التجارية على الساحل السوداني للبحر الأحمر، وازدهر كذلك ثغر عيذاب. وبعد تخلص المماليك من الاحتلال الصليبي في الشام عادت التجارة إلى طريقها القديم. كانت الحركة التجارية قد دفعت بكثير من العرب إلى منطقة ساحل البحر الأحمر فأسهلوا في تعريبها، وعندما كسدت الحركة التجارية عبر البحر الأحمر أخذوا يسلبون العابرين، وكان أن انقضوا على ركب يمضي قادم إلى مصر يحمل هدايا لسلطان المماليك، فتحرك جيش السلطان وهزم هؤلاء البدو في معركة أسوان سنة 754هـ، فهرب بعضهم مهاجراً إلى السودان وهنا حدثت خلخلة بشرية في هذه المنطقة جعلت السلطان يعمل على نقل الهوارة -وسياقي ذكرهم- إلى المنطقة.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي كان عدد كبير من

1 رحلة ابن بطوطة ص 68.

القبائل العربية قد تجاوز حدود النوبة جنوباً، يقول ابن خلدون: "وبالصعيد الأعلى من أسوان وما وراءها إلى أرض النوبة إلى بلاد الحبشة قبائل متعددة وأحياء متفرقة، كلهم من جهينة -إحدى بطون قضاة- ملئوا تلك القفار وغلبوا النوبة على مواطنهم وملكهم، وزاحموا الحبشة في بلادهم وشاركوهم في أطرافها¹". والواقع أن هجرة بطون كثيرة من جهينة إلى السودان كانت قد تمت في عصر ابن خلدون، ولا تزال آثار هذه الهجرات واضحة في السودان العربي، فالتجمعات البشرية المسماة باسم: رفاعة والكبابيش ودار حامد والبقارة في كوردفان ودارفور والمناطق الغربية تنسب نفسها إلى جهينة. وينبغي أن نوضح هنا أن هذه التجمعات البشرية إنما نتجت عن الاختلاط بين العرب المهاجرين والسكان الأقدم. وهذه أيضاً حال التجمع البشري العربي الثاني في السودان، ويطلق عليهم اسم "الجعليين"، وهؤلاء الجعليون منتشرون في المنطقة الممتدة من الحبشة إلى تشاد، وهكذا كان تعريب السودان مرتبطاً بالهجرات الوافدة عبر مصر، ولم يتضح بعد دور الهجرات عبر مضيق باب المندب والتي تفترض أنها أمدت السودات كذلك بدماء عربية ولسان عربي، ولكننا لا نستطيع القول بالرأي في هذا لنقص المصادر.

1 ابن خلدون 6 / 10.

2- المغرب وتعريب البربر:

كانت هجرة بني هلال وبني سليم هي العامل الحاسم في تعريب المغرب في القرن الحادي عشر الميلادي، فالفتح الإسلامي كان ذا أثر في تعريب منطقة الساحل، وفي هذا يقول ابن خلدون: "العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن، وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفريق من بني هلال وسليم اختلطوا في الدول هناك"¹. وفي موضع آخر يقول ابن خلدون:

1 المرجع السابق 6 / 8.

العرب لم يوطنوا المغرب، ثم إنهم دخلوا إليه في منتصف المائة الخامسة وأوطنوه، وافترقوا بأحيائهم وحللهم في جهانة¹. والعبارتان تحملان قدرًا من التعميم الذي لا تبرره القرائن التاريخية التي نستقي بعضها من كتابات ابن خلدون نفسه، وعنصر التعميم هنا نفي ابن خلدون وجود تعريب في المغرب قبل الهجرة الهلالية.

وقد لاحظ اللغوي الفرنسي وليام مارسبي وجود مجموعتين اثنتين من اللهجات العربية في المغرب² فالمدن الساحلية مثل القيروان وتونس وتلمسان وفاس تختلف في لهجاتها - وهي متشابهة متقاربة - عن لهجات البدو والمناطق الريفية ومنخفضات برقة وجنوب تونس والريف الجزائري وجنوب المغرب والسواحل الجنوبية. وبهذا تنقسم لهجات المغرب إلى مجموعتين متميزتين، تمثل كل مجموعة منهما مرحلة بعينها من مرحلتَي تعريب المغرب. فالجموعة الأولى وريث اللغة المشتركة التي تكونت في القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة مع قيام المدن العربية في المغرب، والمجموعة الثانية وريث لهجات بني هلال وبني سليم.

المجموعة الأولى - في المقام الأول - لهجات مدن، ويدعم هذا قول ابن خلدون عن عرب الفتح في المغرب: "إن الملك الذي حصل لهم يمنعهم من سكنى الضاحية ويعدل بهم إلى المدن والأمصار". وينبغي أن نلاحظ هنا أن هذه المجموعة من اللهجات تضم كذلك عددًا من اللهجات التي أثبتتها الدراسات الميدانية الحديثة للمناطق الزراعية التالية: الساحل التونسي، المنطقة الساحلية شمال قسطنطينة، ومنطقة تراه شمال قسطنطينة، وكذلك مرتفعات

1 المرجع السابق 6 / 27.

2 انظر البحث التالي: W. Marcais, Comment Lafrique du

Nord s'est arabisee, dans amales de l'Inst. Det.

."Orient. Facult, Lettres d'alger 1938, t. IV

جباله في شمال فارس، وكل هذه اللهجات تكون مجموعة واحدة تتفق في عدد من الخصائص التي تميزها عن اللهجات العربية الأخرى في المغرب. فالمجموعة الأولى أقدم من المجموعة الثانية، يتضح هذا من كثرة الألفاظ البربرية بها، كما يتضح من أثر اللغة البربرية في هذه اللهجات.

إن هذه اللهجات كانت في القرون الأولى جزراً لغوية عربية في منطقة تحيط بها لهجات بربرية مختلفة.

ومع هذا فقد تم في وقت مبكر تعريب قسم من البربر، فلا شك أن التعامل بالعربية مع مراكز الحكم جعل بعض البربر المحيطين بتلك المراكز يقبلون على تعلم العربية، وليس صحيحاً أن المناطق التي تعربت قبل الموجة الهلالية في القرن الحادي عشر الميلادي كانت تضم عرب الفتح وحدهم، فالبربر الذين بادروا إلى الإسلام وانتظموا في جيوش الفتح الإسلامي الزاحف إلى الأندلس اختلطوا بالعرب وتزاوجوا معهم، فالتخذت كثرة من الأسر الإسلامية الجديدة أنساباً عربية ليدخلوا في الأرستقراطية الحاكمة. وبعد تأسيس مدينة فاس سنة 193هـ أصبحت هذه المدينة مركزاً للعرب والمتعربين في المغرب ولمن اضطروا لهجر الأندلس أو تونس في الظروف السياسية المضطربة.

وفي نفس الوقت كانت العلاقات بين الأندلس والمغرب الأقصى تدعم مكانة العربية باعتبارها لغة التعامل المشتركة فضلاً عن كونها لغة القرآن الكريم، وبذلك أسهمت هذه العلاقات في تعريب المنطقة. وقد لاحظ الباحثون تشابه ما عرف عن اللهجات العربية في أسبانيا والاستخدام اللغوي في هذه المدن المغربية الأولى.

أما المجموعة الثانية من اللهجات العربية في المغرب فهي لهجات تتحدث بها مجموعات بشرية تنتسب إلى بني هلال وبني سليم. ومعروف أن هجرة بني هلال وبني سليم على المغرب "تغربية بني هلال" أحدثت أكبر تحول بشري عرفته المنطقة في العصور الوسطى. وينبغي أن نقف قليلاً لتتابع ظروف تحركاتهم وخط

(282/1)

سيرهم، فقد دخل الهلاليون مصر الفاطمية بدعوة من حكامها وعاشوا في الصعيد حياة بدوية، الغزو أحد مقوماتها "فعم ضرهم، وأحرق البلاد والدولة شرهم". وما لبث الفاطميون أن فكروا في دفعهم إلى المغرب ليقفوا في وجه البربر من صنهاجة الذين ثاروا على التبعية للفاطمين. وفي هذا يقول ابن خلدون: "دفعهم إلى حرب صنهاجة،

ليكونوا عند نصر الشيعة والسبب في الدفاع عن الدولة، فإن صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا أولياء للدعوة وعمالا بتلك القاصية، وارتفع عدوانهم عن ساحة الخلافة، وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها"1. وترغيبًا لبني هلال في دخول المغرب "وصل عامتهم بعير ودينار لكل منهم، وأباح لهم إجازة النيل، وقال لهم أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقروا"2. وهكذا تحركت بطون كثيرة من بني هلال متجهين إلى المغرب العربي، وفي هذا يقول ابن خلدون: "سارت ... جميع بطون هلال إلى أفريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا أفريقية سنة ثلاث وأربعين "443هـ"3. وهكذا بدأت "تغريبة بني هلال" وبدأت بذلك سلسلة طويلة من الصدام والصراع بين الغازين وأبناء المنطقة. وقد اهتم ابن خلدون بهذه الموجة، واستخدم مصطلح "عرب الفتح" للدلالة على الموجة العربية الأولى التي دخلت المغرب، فهو يقول: "ولما تراحم الفريقان انخزل بقية عرب الفتح وتحيزوا للهلالية للعصبية القديمة، وخائنه زناته وصنهاجة وكانت الهزيمة على المعز"4، وهكذا دخل بنو هلال وبنو سليم المغرب. وبعد فترة سادها الصدام البدوي المعتاد والغزوات المتجددة، لاحظ الهلالية والبربر أن نمط حياتهم ومثلهم متشابهة متماثلة، وفي هذا يقول ابن خلدون:

1 ابن خلدون 6 / 30.

2 المرجع السابق 6 / 30-31.

3 المرجع السابق 6 / 31.

4 المرجع السابق 6 / 32.

(283/1)

البربر "أشبه الخلق بالعرب" فالبدواة ليست ظاهرة عربية ينفرد بها العرب، وما زلنا نعرف إلى اليوم بدوًا من البربر في المغرب، بل ويعتبر الطوارج "بجيم مصرية" أكثر البربر تبديا، وهم لا يمتون بصلة مباشرة إلى العرب، فهم لا يستخدمون في التعامل اليومي المحلي البربرية.

كان البربر والعرب الغازون يمثلون نمطًا من أنماط الحياة يقوم على الرعي، ويدور داخل القبيلة، ويحتفل بالدم والأنساب. وأدى هذا التشابه إلى الاندماج بين العرب والبربر.

وكان من الممكن أن يؤدي هذا الاندماج إلى ذوبان العرب في البربر لولا أن اللقاء كان في إطار الإسلام والحضارة العربية الإسلامية وبذا كان هذا الاندماج مشجعاً على تعريب أكثر البربر في المغرب.

ونستطيع تتبع مراحل التعريب في ضوء ما كتبه المؤرخ ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي، فهو يصور لنا ثلاثة قرون من الانتقال المكاني والاندماج البشري والتحول اللغوي في المغرب.

لقد صور ابن خلدون انتشار العرب في المغرب قبل تغريبة بني هلال قائلاً: "إن آخر مواطن العرب كانت برقة، وكان فيها بنو قرّة بن هلال بن عامر.... ولما أجاز بنو هلال وسليم إلى المغرب خالطوهم في تلك المواطن، ثم ارتحلوا معهم إلى المغرب.... وبقي في مواطنهم لهذا العهد -القرن الرابع عشر الميلادي- أحياء بن جعفر"1. ومضت تحركات الهلالية وزاد اندماجهم لا مع عرب الفتح فحسب، بل مع البربر كذلك. ويهمنا هنا أن كثيراً من القبائل البربرية قد تعربت بين القرنين الحادي عشر عندما دخل الهلالية، والرابع عشر عندما دون ابن خلدون كتابه: العرب. لقد تعربت قبائل بربرية كثيرة، فقبيلة كتامة من قبائل البربر2 ولكنها كانت قد تعربت باندماج أهلها مع بني

1 المرجع السابق 6/ 8 - 9.

2 جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص51.

(284/1)

سليم، وأخذ التجمع البشري الناتج ينتسب إلى بني سليم، وفي هذا يقول ابن خلدون: وهم ينتفون من نسب كتامة ويفرون منه لما وقع من أربعمئة سنة من النكير على كتامة بانتحال الرافضة وعداوة الدول بعدهم فيتفادون الانتساب إليهم، وربما انتسبوا في سليم من قبل مضر، وليس بصحيح"1.

وذكر ابن خلدون بطوناً أخرى، كانت بربرية ثم اختلطت وتعربت فنسبت نفسها إلى العرب2. ومن أهم الأمثلة الدالة على تعريب قبائل من البربر بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر تعريباً كاملاً ما دونه ابن خلدون عن الهوارة3، فهذه القبيلة الكبرى كانت من بطون البرانس، يتفق في هذا نسابة البربر والعرب، وكانت مواطنهم في القرن العاشر الميلادي -كما نقل ابن خلدون عن البكري- بنواحي طرابلس وما يليها من برقة4،

ولكنهم اختلطوا أول الأمر ببعض الهذليين الذين "جاءوا من مواطنهم بالحجاز مع العرب الهذليين عند دخولهم إلى المغرب، واختلطوا بهوارة وحطوا في عدادهم"5. ويبدو أن اشتغالهم بالتجارة مع بلاد السودان عبر الصحراء ومع الإسكندرية عبر الساحل جعلهم ينتشرون في منطقة واسعة ويختلطون ببني سليم. وكانت بطون من بني سليم تعمّر المنطقة الممتدة من الإسكندرية إلى برقة، ويمضي الوقت اندمج الهوارة في بني سليم فأصبحت منازلهم جميعاً بين برقة والإسكندرية، وما نكاد نصل إلى القرن الرابع عشر الميلادي حتى نجد الهوارة "صاروا في عداد الناجعة -عرب بني سليم- في اللغة والزري وسكنى الخيام وركوب الخيل والإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلّوهم، قد نسوا رطانة البربر واستبدلوها بفصاحة العرب، فلا يكاد يفرق

1 ابن خلدون 6/ 304

2 المرجع السابق 6/ 380.

3 جمهرة أنساب العرب لابن حزم 500.

4 ابن خلدون 6/ 284.

5 المرجع السابق 6/ 289.

(285/1)

بينهم"1. وهكذا تحرك الهوارة شيئاً فشيئاً مقتربين من مصر وقد تعربوا باندماجهم مع بطون من بني سليم. ويبدو أن عدداً من الهوارة تحرك جنوباً إلى فزان فكانت لهم بها محطة تجارية عظيمة، أو كما يقول ابن خلدون: "كان لهم بها ملك ودولة"2. ولم تكن هواراة القبيلة البربرية الوحيدة التي اختلطت مع عرب بني سليم وبني هلال فتعربت، فابن خلدون يذكر أن المنطقة الممتدة غرب الدلتا كانت بها "قبائل رحالة ينتقلون في نواحي البحيرة هنا، ويعمرون أرضها بالسكنى والفلاح ويخرجون في المشاتي إلى نواحي العقبة وبرقة" ويذكر ابن خلدون من هذه القبائل "بعض بطون لواته" ثم يقول: "ويندرج فيهم أخلاط من العرب والبربر لا يحصون كثرة"3. ولنقف قليلاً عند نسب قبيلة لواته، فهي قبيلة من البربر تعربت شيئاً فشيئاً، وما نكاد نصل إلى عصر المقرئ حتى نجده يذكرهم بين القبائل العربية في مصر، ويقول: "وفي معظم بلاد البهنسا لواته، ومنهم طوائف بالجيزة وبالمخوفية"4. وهكذا نلاحظ تحرك البربر المتعربين من المغرب

الأوسط إلى البحيرة ثم إلى المنوفية والجيزة.
ولكن انتشار البربر المتعربين لم يقتصر على الوجه البحري، فقد ذكر المقرئى هواره،
وحار في أصلها بين العروبة والبربرية⁵. ثم حدد منازلهم في عصره قائلا: "ثم قدم منهم
طوائف إلى أرض مصر، ونزلوا بلاد البحيرة.... وهواره التي ببلاد الصعيد أنزلهم الظاهر
برقوق بعد وقعة بدر بن سلام هنا سنة

1 المرجع السابق 6/ 288.

2 المرجع السابق 6/ 191 – 192.

3 المرجع السابق 6/ 10.

4 البيان والإعراب للمقرئى 27 – 28.

5 المرجع السابق 58.

(286/1)

اثنين وثمانين وسبعمائة تخميناً¹، وهكذا دخلت مصر عدة قبائل عربية اللغة بربرية
الأصل، فأسهمت في تعريب مصر بعد أن عربهم بنو سليم وبنو هلال في تغريبتهم بعد
خروجهم من مصر.

ولننظر بعد هذا فيما كتبه ابن خلدون عن قبائل البربر المقيمين في المغرب في عصره،
فنلاحظ مع الباحثين أن عددًا من القبائل البربرية التي ذكرها ابن خلدون في المغرب
الأقصى والأوسط قد تعربت، فقبيلة زناتة البربرية² كانت في عصر ابن خلدون قبيلة
بربرية كبيرة، يقول: "وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها، وهي مشتهرة بنوعها
عن سائر رطانة البربر، ومواطنهم في سائر مواطن البربر بأفريقية والمغرب"³، ولكن أين
هم اليوم؟ لقد ظهرت في المنطقة تجمعات بشرية جديدة تنسب نفسها جميعًا إلى بني
هلال وبني سليم وتتوسل بالعربية، ولو سلمنا بأنهم جميعًا من أحفاد الهلالية والسليمية
لتصورنا المنطقة كانت خالية قبل التغريبة. والأدنى إلى الصواب أن نقول بأن هؤلاء
البربر، ومنهم القبيلة العظيمة زناتة قد تزاوجوا مع العرب، فتعربوا كما تعربت هواره
ولواته قبل ذلك، وبذلك تغيرت الصورة اللغوية للمغرب، فأصبحت، ربوعه - بعض
النظر عن الجزر اللغوية البربرية - عربية اللسان.

وختامًا لا بد أن نشير إلى أن المصادر التي ترسم لنا مراحل التعريب بعد القرن الخامس

عشر لم تر النور بعد، وربما تكون المخطوطات العربية المغربية حافلة بمعلومات في هذا. غير أنا نود أن نوضح أن أكثر التنظيمات العشائرية هناك إنما ترجع على الأرجح إلى فترة الحكم التركي، وهي لا تنسب نفسها إلى زناته أو لواته، بل هي أولاد سيدي.... واليوم لا نجد التوزيع القديم، ولا نجد

1 المرجع السابق 58.

2 جمهرة أنساب العرب لا بن حزم 495.

3 ابن خلدون 7 / 3 وكذلك 7 / 13-14.

(287/1)

اللهجات البربرية الباقية إلا في مناطق مرتفعة. وهنا يحضرنا قول ابن خلدون: "إن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط" أي على الأرض السهلة، فالواقع أن موجة التعريب وقفت عند جبال البربر العالية.

(288/1)

3- العربية جنوب دول المغرب:

لا تقتصر العربية على الدول التي توصف اليوم بأنها من الدول العربية،* فانتشار اللغة العربية في موريتانيا لا يكاد يقل عنه في المملكة المغربية. وفي حديثنا عن تعريب المغرب كنا نتناول كذلك منطقة موريتانيا التي تمر بنفس الظروف والموجات البشرية تقريباً، وعرفت الاختلاط بين العرب والبربر وغيرهم مما أتاح لها نوعاً من التعريب. ولا ينفي هذا أن اللهجات البربرية هي اللغات الأصلية لنصف سكان موريتانيا، فيما يقال، وأن نصف هؤلاء يستطيع التعامل بالعربية والبربرية، أي أن ثلاثة أرباع أبناء موريتانيا يستخدمون العربية لغة أساسية أو لغة تعامل أو لغة دين، رغم أن اللغة الفرنسية هي لغة الدولة الرسمية. ويواجهنا موقف مشابه إذا توجهنا في المنطقة الممتدة من السنغال ومالي إلى تشاد، فالعربية مستخدمة هناك في مناطق كثيرة تارة لغة أم وأخرى لغة تداول. وتختلف كثافة هذه المناطق العربية من منطقة لأخرى، فالبحث لا يزال قاصراً على استيعاب القارة الإفريقية لغوياً. غير أننا نكتفي هنا بملاحظة Barth

وناختيغال1 Nachtigal أن العربية منتشرة من شمال السنغال ومنطقة النيجر إلى تمبكتو، ثم من بورنو إلى دارفور، والمنطقة الوحيدة التي ينقطع فيها استخدام العربية هي المنطقة من بورنو إلى تمبكتو.

وأكبر تجمع بشري يستخدم العربية كلغة أم في هذه المنطقة هم ذوو حسان،

1 اعتمدنا في هذا على بحث

G.Kampffmeyer, Materialien Zum Studium der
arabischen Beduinendialekte Innerafrikas, in:
.MSOS II 1899 II pp. 143 – 221

* دخلت موريتانيا -في أثناء طبع هذا الكتاب- عضوًا في جامعة الدول العربية وذلك
سنة 1973.

(288/1)

وتسمى لهجتهم العربية باسم "الحسانية". وهو الحسانية أو بنو حسان أو ذوو حسان يتحدثون العربية في حياتهم الخاصة. وقد دون ابن خلدون أول إشارة وصلت إلينا عن هؤلاء العرب الذين يطلق عليهم "عرب المعقل"، وقد عد ليو الإفريقي ذوي حسان أحد فروع ثلاثة كان عرب المعقل ينقسمون إليها1. يقول ابن خلدون: "كان عرب المعقل منذ دخول عرب الهلاليين إلى صحراء المغرب الأقصى أحلافًا وشيعًا لزناتة" العبر 7/ 175". فهؤلاء العرب ربما جاءوا هذه المنطقة مع الهلالية، وربما جاءوا المغرب قبل الهلالية، أو قبيل الهلالية، غير أنا لا نستطيع لقلة المصادر الفصل في هذا، ولكن عبارة ابن خلدون تشير إلى كون عرب المعقل هناك عند دخول الهلالية صحراء المغرب الأقصى.

لقد ألف بنو حسان بالعربية تراثًا لا تزال صورته غير واضحة المعالم، ولعل المكتبات الخاصة والعامة تميّط اللثام قريبًا عن هذا التراث غير أنا نود هنا الإشارة على كتاب ألفه محمد بن أحمد يور العاقل الديماي بعنوان: "أخبار الأخبار بأخبار الآبار"2. يقول المؤلف في كتابه بالأصل العربي لبني حسان، يقول: "لا خلاف

1 في القرن السادس عشر الميلادي ألف الحسن الوزان، المعروف باسم Leo

Afrikanus لبو الإفريقي كتابًا ضخمًا في "وصف أفريقية" باللغة العربية، لم يصل إلينا إلا في ترجمته الإيطالية وفي الترجمات الفرنسية واللاتينية والإنجليزية والهولندية المنقولة عن الترجمة الإيطالية. وأغلب الظن أن هذا الكتاب ثمرة معايشة وملاحظة استمرت سنين طويلة، وإلا ما استطاع مؤلفه أن يدون ملاحظات مفصلة بعد عشر سنوات من مفارقتة القارة الإفريقية دون أن يقرأ طول هذه الحقبة كتابًا عربيًا واحدًا في موضوع كتابه. وعلى الرغم من عدم وضوح أسماء الأعلام والقبائل الإفريقية عند لبو الإفريقي نستطيع أن نجد في وصف أفريقية ما لا نجده في المصادر العربية المتاحة، فهو يذكر بطون معقل-وهم هؤلاء العرب المقيمون في مالي- ويقسمهم إلى ثلاثة تجمعات منهم حسان، ويقسم عرب إفريقيا عمومًا إلى قبائل شاهين وقبائل هلال وقبائل معقل 2 نشر رينيه باسيه R Basset هذا الكتاب العربي ضمن كتابه: **Mission au Senegal Paris "1909"**.

(289/1)

بين علمائنا وأهل النسب من قدمائنا كسيد محمد والد صاحب أنساب أهل الصحراء، وشيخه محمد السيد إلى أن بني حسان أصلهم عرب¹. وذكر المؤلف بعد ذلك شراء شعراً في مدح بني حسان بأنهم ورثوا الإقدام والجود والنجدة من قريش، وأنهم من نسل جعفر بن أبي طالب، ثم قال بعد ذلك: "وقد شاع هذا النسب على ألسنة العامة والخاصة ولهج به الصغير والكبير". ويتضح رأي المؤلف في هذا من العبارة التالية: "واعلم أن كون بني حسان من قريش غير متفق عليه ... وأما كونهم من العرب فلا خلاف فيه ولا شك، وبعضهم ينسبهم لهوازن وبعضهم ينسبهم إلى قريش". ويدعم محمد بن أحمد يور القول بالأصل العربي لبني حسان قائلاً: "وبعضد ذلك أنهم لم يتكلموا قط إلا بالعربية" فهم ليسوا من البربر المتعربين بل من العرب الوافدين الذين جاءوا بلغتهم إلى وطنهم الجديد، يقول المؤلف: "بل سمعنا من غير واحد أن لغة أولهم كانت عربية قحة غير مشوبة بشيء من كلام البربر إلا أنها غير معربة". وقد حدد المؤلف دخول الحسانية هذه المنطقة بالعبارة التالية: "دخلوا هذه البلاد وتغلبوا عليها وعلى ما حولها من بلاد السوادين عام 1040م". ورغم أن موضوع هذا الكتاب التعريف بالآبار وشرح أسمائها البربرية وأهمية الأماكن التي بها الآبار فإنه يضم كثيراً من الأخبار ذات الأهمية الاثنولوجية واللغوية، فعندما تحدث

عن أحد الأماكن قال عنه: "إنه مستقر بني ديمان من قديم الزمان إلى الآن وكان فيه من العرب أولاد بوزكر ثم جلاهم أمير الترازة المختار بن عمر" وفي حديثه عن الأماكن المختلفة يذكر العلماء الذين عاشوا فيها أو دفنوا بها، فيقول عن سيد محمد بن سعيد اليدالي "ت 1166هـ" إنه مؤلف "الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، وحلة السرى في أنساب خير الورى".... وبالكتاب فقرات طريفة توضح لنا أن التعليم والتأليف في تلك البقاع لم يكن قاصراً على الرجال دون النساء، فالمؤلف

1 المصدر السابق 561.

(290/1)

يذكر في ترجمة أحد العلماء: "أخذ العلم الظاهر عن أخته خديجة بنت محمد العاقل وكانت دولته حينئذ العلامة المختار بن بون صاحب طرة ألفية ابن مالك وغيرها من التصاريف والأمير الصالح الإمام عبد القادر المغربي، قرءوا ثلاثتهم عليها" ويذكر المؤلف بعد ذلك من مؤلفات خديجة: "شرح مليح على عقيدة محمد بن يوسف السنوسي المسماة بأمر البراهين يدل على نباهتها في المعقول".

ويبدو أن مؤلف هذا الكتاب كان يعرف بجانب العربية البربرية وإحدى لغات إفريقيا السوداء، وهو يشرح أسماء الأماكن في ضوء معارفه هذه "أنو كشوط، أصله أنو كشط" أما كلمة أنو فمعناها بير أو عين ماء، وهو يشرح الكلمة الثانية قائلاً: "واكشط بالبربرية من لا أذنان له ومقطوعهما وهو البير الذي بنت الفرنسية عنده الآن"1.

وهكذا يتيح لنا هذا الكتاب معرفة بالحياة اللغوية هناك. ولعل العبارة التالية توضح لنا مدى الصعوبة التي كانت تواجه هؤلاء المؤلفين في تلك الأنحاء وتبين صلتهم بالثقافة العربية، فهو يقول عن محمد الولي بن المختار.... ابن يدال "ت 1166هـ": "وكان إذا أوى الناس إلى مراقدهم بالليل أو قد شمعته وبيت يؤلف إلى طلوع الفجر وكان يقول على وجه الإخبار لا على وجه الافتخار "لو لم يكن بدويا، فإنه كان حضريا لألف السيوطي".

وهكذا عرفت هذه المنطقة اللغة العربية من عدة قرون وعرف مؤلفين يطالعون مؤلفات ابن مالك ويلقون عليها ويعرفون السيوطي ويؤلفون بالعربية.

ولا تزال انتشار لهجتها في غرب إفريقيا بحاجة إلى بحث لغوي جغرافي دقيق، ولدينا بحث

عن لهجة الحسانية في موريتانيا، ومعجم فرنسي عربي، وعربي فرنسي أعده في دراسته
عن السنغال المستشرق مفرنسي باسيه.

1 المصدر السابق 579.

(291/1)

هذا وتوجد في المنطقة الممتدة من تمبكتوا إلى كانم ووادي إلى غرب السودان تجمعات
بشرية كثيرة تتحدث العربية كلغة أم أو تستخدم العربية كلغة تداول، وليست لدينا
دراسات تفصيلية عن الحياة اللغوية لهذه الجماعات الأثنية، غير أننا نستطيع -اعتماداً
على ما جاء في كتب الرحالة العرب في العصور الوسطى وبعض الرحالة الأوروبيين في
العصر الحديث- أن نعرف بعض هذه الجماعات العربية في قلب إفريقيا، وترسم
المصادر الصورة التالية العربية هناك:

1- منطقة تشاد بما حوالي مليون عربي، وهؤلاء العرب مرتبطون بعرب الشرق
الإفريقي، فهم ينتمون إلى بطون جهينة، وهم بذلك امتداد لبطون جهينة في السودان،
وأكثرهم يعيش إلى الآن حياة بدوية قبلية. وأقدم إشارة إليهم نجدها في كتاب المسالك
والممالك للبكري "ت 487-1094". "ويزعمون أن هنالك قومًا من بني أمية صاروا
إليها عند محنتهم بالعباسيين وهم على زي العرب وأحوالها"1. وهذه العبارة عرفها
الباحث كامفماير ولم يستطع تفسيرها وإن سلم عن حس صادق بإمكان كونها تعبيراً
عن حقيقة تاريخية، والواقع أن تفسير هذه العبارة مرتبط بتاريخ القبائل العربية في مصر
وصدام هذه القبائل مع العباسيين الذين حرّموا هؤلاء البدو من مكانتهم كطبقة
عسكرية لها رواتبها الدائمة. لقد اصطدم هؤلاء مع السلطة العباسية فكان عليهم إما
التحول إلى احتراف الزراعة وإما الرحيل، فتحرّكت بطون منهم إلى الجنوب. وها نحن
نجدهم في القرن الحادي عشر لا يزالون محتفظين في ذاكرتهم بولائهم للبيت الأموي
وبلغتهم وبنمط حياتهم. ويبدو أن عرب جذام الذين دخلوا مصر مع الفتح الإسلامي
كانوا من هؤلاء العرب، فلدينا في صبح

1 انظر: أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب
المسالك الممالك، نشره:

De Slane, Description de L'Afrique septentrionale,
Alger, 1857

وأعاد طبعه بالتصوير قاسم الرجب، بغداد 1968.

(292/1)

الأعشى "117/8" وثيقة يشكو فيها حاكم برنو من غزوات "أعراب جذام وغيرهم" وليست هذه الموجة هي المكون البشري العربي الوحيد لمنطقة تشاد فكثير من القبائل العربية هناك تنسب نفسها إلى جهينة، وقد هاجرت جهينة وهي قبيلة جنوبية على مصر في العصر الفاطمي. ونحن لا نعلم علم اليقين الطريق الذي اتخذ هؤلاء من الجنوب العربي إلى تشاد، ربما كان طريقهم عبر سيناء ومصر أو عبر مضيق باب المندب. ولكن الذي يؤكد الرحالة بارت والباحث كامبفماير أنهم لم يصلوا منطقتهم عبر المغرب الأقصى وموريتانيا، فهناك منطقة خاية من الجماعات العربية تقع بين بورنو وتمبكتو، وبذلك ينتمي عرب منطقة تشاد إلى عرب المشرق الإفريقي، فهم مرتبطون مع قبائل السودان لا مع قبائل المغرب.

وقد ذكر الرحالة بارت أسماء عدد من البطون العربية اللغة، وبعضها ينتسب إلى الهلالية. وهم منتشرون في دارفور ووادي وبورنو. ويبدو أنهم في رأي كامبفماير، قد جاءوا هذه المنطقة من تونس، وفي هذا نظر، فالموجات الهلالية الباقية في صعيد مصر والعائدة إلى مصر، أو التي كانت في منطقة فزان يمكن أن تكون مصادر خرجت عنها هذه المجموعة إلى تشاد. هذا وتتعدد أسماء القبائل عند الرحالة الذين جابوا هذه المنطقة، فهم يتحدثون عن بني حسن الذين يتحدثون العربية فقط وعن بني وائل الذين قال عنهم الرحالة إنهم لا يتحدثون العربية ولهم لغة خاصة بهم، وعن أولاد راشد، والحاميد الذين يتحدثون العربية ولوهم يقل سمره عن جيرانهم من غير العرب. ولعل من المفيد أن نشير هنا أن عرب وادي ينسبون أنفسهم إلى عرب اليمن، وتدل القرائن على صحة ذلك. ويؤكد عرب وادي قرابتهم لمعقل، ومعقل من أصل جنوبي. ولا أدل على جنوبية ذوي حسان وأحد فروع معقل الكبرى، من أنهم يصفون أنفسهم باستخدام كلمة "ذو" التي شاعت في هذا السياق بين عرب اليمن، وذلك: مثل: ذو نواس. وهناك دليل آخر على

(293/1)

كوئهم من أصل جنوبي وهو أنهم يستخدمون الإبل المهرية، ولم تكن هناك إبل قبيل دخول العرب إفريقيا، فالرومان لم يذكروا الإبل في شمال إفريقيا وارتباط الإبل بهذه التسمية ونسبتها إلى المهرة دليل على ارتباطها بمنطقة المهرة على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب.

وقبل أن نترك هذه المنطقة لا بد أن نشير أن هناك عدة لهجات عربية قد تكونت في وسط إفريقيا¹، وهذه اللهجات تنضوي بين ما يطلق عليه عند الباحثين اسم: العربية المهجين pidgin- arabic وأهم هذه اللهجات المهجين توجد في تشاد وجنوب السودان وأوغندا²، وكل هذه اللهجات متأثرة باللهجات الإفريقية تأثيراً بعيداً حتى إنه من الصعب على من لم يتعلمها من أبناء اللهجات العربية الأخرى أن يفهمها، ومن ثم يطلق عليها اللهجات المهجين.

1 انظر حول الصيغ المهجنة من العربية:

Bernd Heine, Afrikanische Verkehrssprachen, Koln
"1968" ff. 121 s.

2 انظر مقال المؤلف: "اللغة العربية بين اللغات الدولية المعاصرة" مجلة كلية الآداب
والتربية بجامعة الكويت "1972" العدد الأول 32-35.

(294/1)

4- العربية لغة الدين والثقافة الإسلامية:

اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية في مناطق أخرى من إفريقيا لا تسودها اللغة العربية. فقد ارتبط الإسلام بحفظ قدر من القرآن الكريم هو الحد الأدنى الضروري للصلاة وحفظ هذه الآيات مرتبط أساساً بقراءة الخط العربي. وفوق هذا فعلى رجال الدين وأصحاب الثقافة الدينية قراءة كتب في الفقه الإسلامي بالعربية ومن أراد منهم التعمق في فهم هذه الكتب فعليه دراسة شيء من العلوم العربية كالتحقيق والصرف والبلاغة وهكذا ارتبط الإسلام بالعربية.

(294/1)

على نحو يجعل للعربية درجة من الانتشار في كل المناطق الإفريقية التي تضم جماعات إسلامية، ولنحاول أن نوضح هذا بأمثلة من بعض المناطق الإفريقية هذا ولا يجوز اعتبار كل منطقة إسلامية منطقة عربية إذ مدى المعرفة بالعربية يرتبط بالعلاقات الأثنية للمسلمين، فالمسلمون في اتحاد جنوب إفريقيا مثلاً يكونون مجموعة أثنية متميزة، فمعظمهم من الملايو وأندونيسيا، وقدر عددهم في إحصاء سنة 1951 بـ 63 ألفاً بجانب قلة من أصول عربية، يتحدث هؤلاء عن اللهجة الجرمانية التي حملها المستعمرون الجرمان معهم إلى جنوب إفريقيا، غير أن الاستخدام اللغوي للغة الأفريكانز عند المسلمين به عناصر من اللغة العربية لم يأخذوها عن العربية مباشرة بل عبر لغة الملايو. كان هؤلاء المسلمون يلتقون لاستخدامها لغة الملايو المكتوبة بالخط العربي¹. ومنذ عدة حقب ظهرت لهم كتب دينية أحلت لغة الأفريكانز محل لغة الملايو في المجالات الدينية، فقديمًا طبعوا كتبهم الدينية كترجمات مالوية لكتب عربية وهناك كتب كثيرة طبع فيها النصان متوازيين، واليوم أحلوا الأفريكانز محل المالوية، وأخذوا يكتبون لغة الأفريكانز لا بالحروف اللاتينية كما يفعل المسيحيون بل بالحروف العربية. فهؤلاء مسلمون يكتبون بالخط العربي، ولكنهم لا يكادون يعرفون من العربية إلا ما تسرب منها عبر المالوية من مصطلحات دينية. فالمصادر العربية تشير كثيرًا إلى "مالي" و "ملك مالي"، فابن خلدون يحدثنا عن "ملك مالي أعظم ملوك السودان"²، وكلمة السودان عند ابن خلدون لا تعني دولة السودان بحدودها الجغرافية التي نعرفها اليوم، بل تدل على

1 انظر: Kahler, Studien zur arabisch-afrikanen <H>

s 101– 121 "Literature, der Islam 1961

2 انظر: 7 / 554.

(295/1)

إفريقيا السوداء عمومًا، ويحدد ابن خلدون الرقعة الجغرافية التي كانت عليها مملكة مالي، فهي تجاور المغرب، وتتاخم مواطن قبيلة صنهاجة البربرية وتتاخم كذلك موطن ذوي حسان¹. وخصص العمري "487هـ = 1094م" في كتابه مسالك الأبصار

فصلا عن مالي. وقد زار ابن بطوطة "ت 1377م" مالي وظل بها عدة أشهر ولاحظ أنهم مسلمون يصومون ويحجون وقيمون الصلاة ولكنهم على عادات وثنية، ونلاحظ كذلك في حديث ابن بطوطة عن مالي أنهم كانوا على صلة بمصر وأن بعض المصريين كانوا يعيشون هناك. ولكننا نلاحظ أنهم لا يستخدمون العربية، ومن ثم فقد نجحت الحاجة إلى مترجمين ييسرون التعامل. أما الصورة التي يرسمها ابن بطوطة للساحل الصومالي فتشبه ما ذكره عن مالي غير أن السلطان الحاكم في مقديشو "كلامه بالمقدشي ويعرف العربية" ويطول بنا الكلام لو تحدثنا عن انتشار العربية سلبا في غرب إفريقيا أو شرق إفريقيا، والمصادر المتاحة نادرة، والتراث العربي الإفريقي لا يزال مجهولا ولم ينشر أكثره بعد، غير أن الملاحظ في كثير من دول إفريقيا ذات الجماعات أو الأغلبية الإسلامية وجود معرفة بالعربية.

ففي نيجيريا الشمالية يعيش حوالي عشرة ملايين مسلم، ويتناول التعليم الديني عندهم في أدنى مراحل الخط العربي والقرآن ومعظم تلاميذه من البنين، وفي المراحل الأعلى يتناول برنامج الدراسة الإسلامية: النحو العربي وعلم الكلام وعلم الحديث وقدرا من النصوص الأدبية، وهناك كتب مشهورة في المعاهد الإسلامية في نيجيريا الشمالية مثل كتاب الأحاديث الأربعين للنووي، ومختصر خليل في الفقه ويطلق عليه الكتاب، ومقامات الحريري².

1. رحلة ابن بطوطة 254.

J. schacht, Islam in North Nigeria, Studia Islamica 2
.No. 46

(296/1)

وينبغي أن نشير هنا أن العربي في هذه المنطقة ليست وحدها لغة الثقافة، فلغة الهاوسا متداولة غير أن المعرفة بها لا تزيد على المعرفة بالإنجليزية هنا. ويخلق الصراع بين النزوع إلى التدين والرغبة في ممارسة الحياة الحديثة - قيام مشكلات كثيرة تؤثر بالضرورة على تعليم اللغة العربية في تلك المنطقة.

أما في شرق إفريقيا فتعتبر زنجبار أكبر نقطة تركيز إسلامية تتوسل بالثقافة العربية، وهم مرتبطون في قسم منهم بالجنوب العربي أثنولوجيا وثقافيا. أما في أوغندا فالمسلمون من

أصول هندية ويمنية وعدد كبير منهم من أصول إفريقية، وهناك تعليم ديني يقوم به رجال الدين، ويطلق على الواحد منهم ملا وهي التسمية الفارسية لرجال الدين ويقتصر هذا التعليم على المراسم الدينية، أما كبار رجال الدين فلديهم إجازات في الباكستان ودار السلام وزنجبار وحضرموت وعدن، وشبيه بهذا ما يلاحظ في كينيا والمشكلة التي تواجه اللغة العربية هناك أنها مرتبطة بالماضي وتعلم كأداة لفهم الدين، فمعاهد العلم التي تتيح تعلم العربية هي معاهد إسلامية. أما التعليم الفني الحديث فلا يهتم بتعليم العربية، ولعل السنوات القادمة تتيح تغييرا في هذا الموقف. هذا وقد أدت الترجمة السواحلية للقرآن التي أعدتها الطائفة الأحمدية إلى جذب الكثيرين نحو الإسلام، فحوالي 80-85% من المسلمين الإفريقيين قد أسلموا على يد الأحمدية. ولا ينفي هذا أن هناك دراسات لا تزال تجعل اللغة العربية ضمن برنامج التعليم الديني، ففي مومباسا يلتقي طلاب مع شيوخهم في المساجد لدراسة اللغة.

(297/1)

العربية والتفسير والفقه والبلاغة والحديث والتصوف والتوحيد في حلقات مسائية ذات برنامج يمتد سنوات. ورغم اختلاف الطوائف الدينية الإسلامية فكل من أراد ثقافة إسلامية عالية يتوسل بقدر من العربية يتيح له الإطلاع والفهم. أما في الصومال فالعربية أكثر انتشاراً واستخداماً إيجابياً¹ فهي لغة التعامل والكتابة والعربية لغة الدين والحياة العامة ولذا فهي تفهم أكثر من اللغتين الإنجليزية والإيطالية هناك. غير أننا نود هنا أن نلاحظ أن المعرفة بها في كل هذه المناطق تكاد تكون قاصرة على الرجال، فهم الذين يتعلمون ويقومون بالعلاقات في الحياة العامة.

B. W. Andezeyewski, Speech and writing 1
Dichotomy as the Pattern of Multilingualism in
the Somali Republic, in: Colloque sur ld
"1962" Multilinguisme, Brazzaville

(298/1)

الفصل الخامس عشر: اتجاهات التغير في البنية والمعجم

التغير في البنية

مدخل

...

الفصل الخامس عشر: اتجاهات التغير في البنية والمعجم

1- التغير في البنية:

عندما كتب سيبويه في القرن الثاني الهجري كتابه العمدة في النحو لاحظ اللغوي العظيم أن صوت الضاد من الأصوات الصعبة التي لا يسهل نطقها على غير البدو، وتحدث عن نطق آخر لها أطلق عليه "الضاد الضعيفة"¹. ولسنا نريد هنا أن نفصل القول في كيفية النطق للضاد البدوية، فهذا لا يزال موضع خلاف بين الباحثين، ولكن الضاد الضعيفة على كل حال ثمرة أثر من آثار الأساس اللغوي، فاللغات التي سبقت العربية في الشام والعراق ومصر والمغرب لم تكن تعرف الضاد ... كانت العراق حيث عاش سيبويه ملتقى لأخلاق من القوم يتحدث أكثرهم باللهجات الآرامية التي لا تعرف صوتاً اسمه الضاد. ولذا فقد نتج عن محاولتهم الناقصة النطق بالضاد ذلك الصوت الذي يطلق عليه سيبويه اسم الضاد الضعيفة.

1 الكتاب "ط بولاق 1317" 2 / 404.

(299/1)

وربما يتصور البعض في مصر أو في العراق أن هذه الضاد التي تنطق اليوم هي الضاد التي كان ينطقها امرؤ القيس أو زهير قبل الإسلام، أو كعب بن زهير في صدر الإسلام، أو الخليل بن أحمد في القرن الثاني للهجرة، وهذا غير صحيح، فالنطق العراقي الحالي للضاد يخلطها مع الظاء خلطاً يجعل التلاميذ يخلطون في الكتابة بين هذه وتلك. وهذه الظاهرة ليست وليدة الساعة بل بزغت مع استقرار العربية في العراق، وهناك عدد كبير من الرسائل أكثرها من العراق والمغرب يحاول مؤلفوها فيها التمييز بين الكلمات ذات الضاد والأخرى ذات الظاء، ولولا الخلط لما كانت هناك صورة لتأليف هذه الرسائل¹. لقد التقت الضاد والظاء في العراق في نطق واحد هو النطق الذي يسمعه أبناء مصر ظاء، أما في مصر فهناك تطور مواز، فقد التقت الضاد والظاء في نطق واحد، فنحن

نقول اليوم كلمة "ظل" في العامية كما لو كانت بالضاد. ولسنا نريد الآن تحديد زمن هذا الخلط، وقصارى محاولتنا هنا أن نبين أن هذا النطق الذي يتصوره بعض أبناء مصر نطقاً قديماً للضاد ليس كذلك، فهذا النطق الحديث يجعل من الضاد صوتاً مطبقاً مقابل الدال. ولكن سيبويه جعل المقابل المطبق للدال هو الطاء لا الضاد. وهنا وجه الخلاف بين القديم والحديث، فالإطباق في اصطلاح علماء الأصوات العرب القدامى والمعاصرين اتخذ طرف اللسان وأقصاه وضعاً مرتفعاً نحو الحنك الأعلى مع حدوث تقعر في وسط اللسان. ولو طبقنا الفهم العلمي الدقيق لنصوص سيبويه على البحث الصوتي لخرجنا من هذا أن النطق القديم للطاء "ط" هو ما ينطبق تماماً على النطق الحالي للضاد في مصر، فالضاد في مصر تنطق مثل الدال، اللهم إلا أن الضاد مطبقة والدال غير مطبقة، وقديماً قال سيبويه "ولولا الأطباق لصارت الطاء دالا.... وخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء في موضعها غيرها"2 لقد حدث.

1 رمضان عبد التواب: مشكلة الضاد وتراث الضاء والطاء، في: مجلة المجتمع العلمي العراقي "1971" وبه قائمة بهذه المؤلفات في الفرق بين الضاد والطاء.
2 الكتاب 2/ 406.

(300/1)

إذن تطور في عدد من الأصوات، لقد صعبت الضاد فتحوّلت على نطق جديد وتغير نطق الطاء.

وهناك قضية يثيرها كثير من الباحثين حول نطق القاف، وقد وصف سيبويه نطق هذا الصوت وصفاً يجعله من الأصوات التي يهتز الوتران الصوتيان اهتزازاً شديداً عند النطق بها، ويطلق على هذا النوع من الأصوات اسم: "الأصوات المجهورة"، ولكن النطق الحالي لهذا الصوت في قراءتنا للعربية الفصحى لا يجعل الصوت مجهوراً، أي أن الوترين الصوتيين لا يهتز اهتزازاً يذكر عند النطق بالقاف في نطقها التقليدي على مستوى الفصحى، فكيف نتج الاختلاف؟ هل تطورت القاف من صوت مجهور إلى صوت غير مجهور؟ وكيف كانت القاف القديمة؟ يرى بعض اللغويين أن هذه القاف القديمة هي القاف البدوية أعنى الجاف البدوية، وليعد القارئ الكريم بسمعه إلى البدو يقول "هو جال لي وأنا جلت له"، إن هذه الجاف مجهورة فعلاً وقد تكون هي القاف التي عرفها

سيبويه. ويرفض بعض الباحثين هذا التفسير قائلين: بأن القاف القديمة تشبه الغين الحالية أي تشبه النطق العامي الحالي للقاف في السودان والكويت والخليج العربي¹. ويرى بعض الباحثين أن هذا الصوت هو الوريث الحقيقي للقاف القديمة. أن ظواهر التطور الصوتي كثيرة وحسبنا مع ضيق المكان ما ذكرناه.

1 حول الجانب الصوتي في لهجة الكويت، انظر: عبد العزيز مطر: خصائص اللهجة الكويتية، الكويت فبراير 1969، وقد ناقش الباحث هذه القضية ص34-35.

(301/1)

كلمات جديدة:

أما التطور في الكلمات فأبعد مدى وأكثر وضوحًا، إن وزن فاعل ووزن مفعول والأوزان الأخرى هي هي، لم يكد يطرأ عليها تغير في البنية، ولكن التغير في هذه الأوزان يكمن في بناء **كلمات جديدة** لم يكن يعرفها المجتمع البدوي القديم. ولننظر نظرة بسيطة إلى مادة جمع في "لسان العرب" مقارنين

(301/1)

إياها بنفس المادة في معجم دوزي¹، والمعروف أن كل المادة التي في لسان العرب المؤلف في القرن السابع الهجري قد أخذت من معاجم سبق تأليفها في مراحل سابقة، وهذه المعاجم أخذت مادتها بدورها من الرسائل اللغوية التي أثمرت عنها حركة جمع اللغة في البادية في أواخر القرن الأول وعلى امتداد القرن الثاني وأوائل القرن الثالث. والاستثناء الوحيد هنا هو ما أخذه صاحب لسان العرب من معجم تهذيب اللغة للأزهري، فقد سجل الأزهري بنفسه في القرن الرابع الهجري مادة لغوية في البادية. إن مادة اللسان إذن مادة بدوية وجلها يرجع إلى القرن الثاني الهجري، فماذا تفعل الحضارة العربية الإسلامية والعلوم الناشئة والمجتمع الحضري في العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس بهذا المعجم البدوي الذي يعرف للجمل أكثر من مائة اسم، وماذا يفعل المفكر الأندلسي بمائة اسم للأسد؟.

لقد نشأت كلمات جديدة مع الضرورات الحضارية الجديدة، ولولا هذه التجديدات لما

عرفنا الحضارة العربية الإسلامية في أبعادها الماثورة. وعندما حاول المستشرقون الأوروبيون قراءة التراث العربي الإسلامي لم يسعفهم لسان العرب في الفهم الدقيق للكلمات وطال تفكيرهم، وحاولوا بالمقارنة فهم السياق حتى عرفوا المقصود معرفة تصيب أحيانا وتجا في الصواب أحيانا. وهنا ظهرت الحاجة إلى تأليف معجم مكمل للمعاجم العربية، وقام المستشرق دوزي بعمل هذا المعجم. ومن الطريف هنا أن نقارن مادة من المواد في اللسان كمثال للغة البادية بما جمعه دوزي كنموذج للكلمات التي استخدمت في عصر الحضارة العربية الإسلامية. وكي نكمل الصورة لننظر في المعجم القيم الذي ألفه عالم هندي جليل في القرن الثالث عشر الهجري هو التهانوي، وهذا المعجم هو كشاف اصطلاحات الفنون.

لقد أمدت اللغة البدوية مجتمع الحضارة الإسلامية بالمواد اللغوية المختلفة

Dozy: Supplement aux Dictionnaires arabe, I. II. 1
.Leiden/ Paris 1881

(302/1)

ونعني بالمواد هنا الحروف الأصول، وأمدت أيضاً بعدد من القوالب أو الأوزان ولكنها لم تكن بحاجة إلى استخدام جميع الأوزان من كل كلمة، فمثلا وزن انفعّل من المادة جمع أي: انجمّع. لم يرد في لسان العرب ولكنه استخدم في الأندلس الإسلامية. يقول المقرئ: "انجمعت عن كل النفوس".

الأوزان: أفعال وافعّوعل أو افعلنل أو افعلنلي وغيرها من الأوزان النادرة لم ترد أيضا من المادة "جمع"، ولكن القضية ليست فقط قضية وجود الكلمة، فالكلمة كرمز صوتي لا قيمة لها دون استخدام، والمعنى هو العنصر الثاني بعد وجود الرمز، فالرمز اللغوي لا يكون رمزا إلا إذا كان له معنى، وسنحاول فيما يأتي تتبع تطور بعض الألفاظ التي تدخل في مادة "جمع".

لقد عرف لسان العرب كلمة "جمع" أنها نتيجة ضم شيء إلى شيء، أو أنها مرادف لكلمة جماعة من الناس، والجمع أيضاً هم القوم المجتمعون، والجمع فوق هذا وذاك: الأشتات من التمر. ولكن العلوم العربية الإسلامية استخدمت كلمة الجمع كاصطلاح، وكل علم عرف لهذا الاصطلاح معناه، يوضح هذا لنا كتاب التهانوي كشاف

اصطلاحات الفنون¹، فالجمع عند المحاسين هو زيادة عدد على عدد آخر، أي أننا إذا أضفنا $5 + 6 = 11$ لكان هذا جمعًا. ولو أضفنا $5 + 5 = 10$ لكان عنده تضييقًا. ويذكر التهانوي أيضًا الجمع عند علماء أصول الفقه: وهؤلاء هم المهتمون بالقضايا المنهجية للفقه الإسلامي، فالجمع عندهم: أن يجمع بين الأصل والفرع لعلة مشتركة بينهما ليصح القياس". وأما الجمع عند النحويين فله معانيه وصوره المختلفة، ونفس المصطلح تجده أيضًا عند البديعيين والصوفيّين والمنطقيّين وغيرهم من أصحاب العلوم. وهكذا استخدمت الكلمة القديمة "جمع" استخداما اصطلاحيا متنوعًا. ولتقف قليلا عند كلمة "الجامعة". فهذه الكلمة استخدمت كما يخبر

1 انظر مادة "جمع" في كشف اصطلاحات الفنون "ط القاهرة 19630" 1/ 33-343.

(303/1)

لسان العرب - صفة للمؤنث واسما، فالصفة مثل قولهم "سورة جامعة" أي جمعت فيها أشياء كثيرة، و "الجامعة" اسما بمعنى الغل أو القيد، وشتان بين هذا الاستخدام والاستخدام الحديث، نحن نعرف الجامعة اليوم تيارًا سياسيًا هو الجامعة الإسلامية، ومنظمة دولية هي: الجامعة العربية ومعهدًا أكاديميًا مثل جامعة القاهرة ومعهدًا علميًا غير أكاديمي مثل الجامعة الشعبية.

أما كلمة "جماعة" فيبدو أن استخدامها كثر وشاع بمعنى محدد جديد في عصر الحضارة الإسلامية إن لسان العرب يعرف الكلمة، فالجماعة عنده الجمع من الناس أو الشجر أو النبات، ولكن إذا نظرنا في معجم دوزي لاحظنا أن معظم أمثله حول كلمة جماعة مأخوذة من مؤلفات الأندلسيين والمغاربة. ذكر دوزي في استخدام الكلمة: "مذهب السنة والجماعة"، "أهل السنة والجماعة" "جماعة المسلمين" "أمر الجماعة" "افترق أمر الجماعة" "المستمسكون بالجماعة" ... إلخ. وواضح أن كلمة الجماعة تعني هنا الصف الإسلامي "الموحد" وكل هذا نقله دوزي عن المقرئ وابن خلدون وأبي حيان وغيرهم من المغاربة. ولنفكر قليلا في استخدامنا العامي لكلمة جماعة كناية عن الزوجة. ... لنلاحظ تغيرًا في دلالة الكلمة.

وهناك عدد من الألفاظ لم تعرفها اللغة العربية حتى القرن الثاني إذا سلمنا أن لسان

العرب قد قدم لنا صورة أمينة لها، فكلمة "جمعية" لم يعرفها اللسان ونجدها لأول مرة في معجم دوزي، وهو يذكر تحتها "جمعية أهل البلد" ولكننا نستخدم الكلمة اليوم استخدامًا اصطلاحيًا شائعًا فنتحدث عن الجمعية العمومية لإحدى الشركات المساهمة وعن الجمعية العامة للأمم المتحدة كمجموع الأعضاء المساهمين أو المشتركين، وعن جمعية الإسعاف كمنظمة خيرية، وعن الجمعية التشريعية كمجلس نيابي، وعن الجمعية التعاونية، وكذلك عن الجمعية الاستهلاكية. وهكذا ظهرت الكلمة واستخدمت وشاعت.

وشبيه بهذا القول في كلمة "اجتماع" فهذه الكلمة لم يعرفها اللسان وذكرها

(304/1)

دوزي عن أبي الفداء بمعنى اللقاء، ثم أفرد لها التهانوي في "كشاف اصطلاحات الفنون" عرضها مسهبًا، وتحدث عن مفهوم "الاجتماع" عند المنجمين وعند علماء الكلام وكذلك عند النحاة، فلكل علم مصطلحه ... وإذا قلنا اليوم كلمة "الاجتماع" تبادر إلى الذهن اجتماع مجموعة من الناس في مكان ما أو اجتماعهم على شيء، وربما تذكر البعض "علم الاجتماع" هذا العلم الجديد الذي استعان بالكلمة القديمة ليسمى نفسه في العربية، وربما خطر في ذهن أحد القراء وزارة الشؤون الاجتماعية ... فكلمة اجتماعية من اجتماعي، والأخيرة من اجتماع، وربما تذكرنا المساواة الاجتماعية أو العداوة الاجتماعية، كل هذا من الكلمة التي لم تكن تعرفها لغة البدو حتى القرن الثاني، وهل كان لاجتماع البداوة أن يعرف العداوة الاجتماعية أو علم الاجتماع أو اجتماع الساكنين عند النحاة!

ولعل من غير المتصور أن يتحدث اليوم مثقف عربي دون أن يستخدم كلمة "مجتمع"، ولكن هذه الكلمة لم يعرفها اللسان، وأقدم استخدام نعرفه لها هو ما سجله دوزي نقلًا عن الجغرافي الصقلي المشهور الإدريسي، وربما كان الإدريسي أول من عرف هذه الكلمة التي أصبحت في العصر الحديث مصطلحًا مهمًا. وشبيه بهذه كلمة "مجتمع"، نتحدث اليوم عن الجمع العلمي والجمع اللغوي، فهل عرفت لغة البادية هذه الكلمة؟ نعم لقد عرفتتها ولكن بمعنى الجمع من الناس ونقطة الالتقاء وموضع الاجتماع، وهذه المعاني القديمة أصل للاستخدام الحديث.

وفوق هذا وذاك فنحن نعرف اليوم كلمة "المجموع" كاسم قائم برأسه وكذلك كلمة

"المجموعة" كاسم آخر، ولكن الكلمة عرفت قديماً، فالجموع في اللسان ما جمع من هنا وهناك وإن لم يجعل كالشيء الواحد، ولكن كلمة المجموعة لم تعرف قديماً كاسم قائم بذاته بل كصفة، ولنقرأ أمثلة دوزي: "قرية مجموعة عامرة" بليدة مجموعة أي زاخرة بالسكان، ولكن الكلمة.

(305/1)

تحولت اليوم في الاستخدام الحديث إلى اسم قائم بذاته. وأخيراً نذكر كلمة "تجمع" هذه الكلمة الشائعة في الاستخدام المعاصر والتي لم تعرفها المعاجم القديمة ولا محاولات استكمالها، وكأن هذه الكلمة صياغة جديدة لمادة قديمة في شكل قديم. فإذا كانت المادة قديمة في العربية والأوزان المختلفة قديمة أيضاً، فإن الاستخدام اللغوي القديم لم يكن بحاجة إلى صياغة كل الأوزان والمشتقات من هذه المادة فالتطور الذي حدث يكمن في صياغة كلمة جديدة من وزن معروف ومادة معروفة، وهكذا تظهر من العنصرين كلمة جديدة، ويظهر التطور أيضاً في استخدام الكلمة القديمة لتؤدي دلالة جديدة أرادت العلوم أو الحضارة التعبير عنها، فوجدت في الكلمة القديمة إمكانية طبعها طورها بالاستعمال في المعنى الجديد فاكتملته. وأصبحنا لا نعرفها إلا في الاستخدام الجديد.

(306/1)

تراكيب نحوية جديدة:

وفوق هذا وذاك فهناك ظواهر كثيرة نلاحظها في بناء الجملة العربية الحديثة، ولا تكاد تبدو شائعة في الضوابط التي استخرجها النحاة من لغة القرون الأولى فالجملة العربية الحديثة كما نعرفها في الكتابات والمؤلفات والصحافة تعرف تراكم المصادر على نحو لم يعرف قديماً بنفس القدر من الانتشار. نقرأ اليوم عن احتمال قيام حرب في منطقة ما، والكلمات: احتمال، وقيام، وحرب، كلها مصادر أضيف سابقها إلى لاحقها ونسمع من الإذاعة على لسان أحد رجال الأمم المتحدة: استحالة منع نشوب حرب بين مصر وإسرائيل والكلمات: استحالة، ومنع، ونشوب، وحرب، كلها مصادر أضيف سابقها إلى لاحقها على نحو لم تكن تعرفه اللغة القديمة على هذا النحو التراكمي. هذا وينبغي

أن نذكر في هذا الصدد أن دراسات النحاة العرب للغة إنما قامت على أساس لهجات بعض القبائل ولغة الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة، ولم تضع هذه الدراسات نصوص النثر العربي الذي ازدهر بعد هذا في بؤرة التحليل اللغوي، ولذا فمن الصعب الاعتماد على كتب النحاة القدماء لتتعرف

(306/1)

على طبيعة الأساليب التي عرفها النثر العربي الإسلامي، ونحن الآن نلاحظ بعض الظواهر الموجودة في النثر فنلاحظ الشائع الجديد في النثر ولا نراه في تلك المؤلفات التي قامت أساساً على دراسة لغة الشعر، فأحكامنا هذه تظل نسبية إلى أن يوضح البحث نسبة شيوع هذه الظواهر في الشعر والنثر على نحو تاريخي، وهذا هو ما يصبو إليه النحو التاريخي للغة العربية.

يعرف النثر العربي الحديث اتجاهاً إلى فك حالة الإضافة باستخدام حرف جر، وهذه الظاهرة شائعة ممارستها ونفهمها ليل نهار، فنحن نتحدث عن صورة من الصور ونقول: هذا منظر عام للواجهة الأمامية لجامعة القاهرة، تفصيلاً للعبارة الموجزة: منظر واجهة جامعة القاهرة، ولنتقارن الجملتين: ففي الثاني كلمة منظر مضافة إلى واجهة، وكلمة واجهة مضافة إلى جامعة ولكن الجملة الأولى عرفت فك حالة الإضافة مستخدمة بين المضاف والمضاف إليه حرف جر هو اللام، فبدلاً من "منظر واجهة" نقول "منظر لواجهة"، وبدلاً من "واجهة الجامعة" نقول "الواجهة.... لجامعة" ... ولكن ينبغي أن نلاحظ هنا أيضاً أن المضاف السابق في كل هذه الحالات قد وصف ثم جاءت اللام ثم المضاف إليه السابق بعد ذلك. وعلى هذا فنحن نتحدث عن منظر عام -لواجهة الأمامية- لجامعة القاهرة. وكذلك عن "المدير العام، لإدارة البعثات، وعن المفوض العام، لشركة السيارات، أو عن: المراسل الخاص، للأهرام أو: الأمين العام، لجامعة الدول العربية وفي كل هذه الحالات وصف المضاف السابق، وفكت حالة الإضافة باللام.

وإذا نظرنا على مزيد من الأمثلة الخاصة بفك حالة الإضافة باللام وجدنا أن المضاف السابق يكون في كثير من الأحيان في حالة إضافة جديدة. نقول: "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة"، فالتعبير البسيط "منظمة التربية و ... " قد فك بدخول اللام

على المضاف إليه "التربية" ويدخل مضاف إليه جديد مضاف إلى المضاف الأول،
فتحدثنا عن منظمة الأمم ل..... وعن وزير

(307/1)

الدولة ل..... وعن سوء استعمال الحمقى ل.....، وعن أول اجتماع ل...، وعن استلام
الدولة ل..... وهكذا نلاحظ أن ظاهرة فك حالة الإضافة باستخدام اللام بين المضاف
القديم والمضاف إليه القديم ارتبطت بتخصيص المضاف القديم إما بالصفة أو بمضاف
إليه جديد.

وإلى جانب هذا نلاحظ فك حالة الإضافة باستخدام حرف الجر: الباء، فنحن نقرأ عن
قرار بتأميم الشركة، أو تفويض بعقد الاتفاقية، أو أمر بإنشاء....، أو مشروع بتحويل
رئيس الدولة.... وهذه الظاهرة شائعة في النثر العربي الحديث. ولا يكاد يعرفها
الاستخدام القديم، وعلى كل حال فظاهرة فك حالة الإضافة في النثر العربي الحديث
موازية لفك حالة الإضافة في العبرية الحديثة وفي اللهجات العربية الحديثة، ففي العبرية
القديمة يكون المضاف والمضاف إليه تركيباً واضح المعالم مثل "سيفر يوسف" أي سفر
يوسف، ولكن التعبير الحديث "هسيفر شل يوسف" أي الكتاب الذي ليوسف، ولو
كنا أكثر دقة لترجمنا العبارة إلى العامية المصرية قائلين: الكتاب بتاع يوسف، فحالة
الإضافة فكانت هنا وهناك في العبرية باستخدام "شل" كأداة للربط بين المضاف
والمضاف إليه السابقين، وفي اللهجات العربية الحديثة باستخدام كلمة "بتاع" أو "متاع"،
أو "حق"1، فظاهرة فك حالة الإضافة موجودة إذن في مستويات لغوية حديثة مختلفة،
وكل مستوى يستخدم للفك أدواته الخاصة به، ولم تعد الظاهرة أمراً نادراً أو خاصاً
بضرورة الشعر كما سجل النحاة القدماء.

وفوق هذا وذاك فقد طورت العربية الفصحى في استخدامها الحديث عدة وسائل
للتعبير عما يعبر عنه في علم اللغة بالتنكير. ومعروف أن العربية تعرف عدة أنواع من
المعارف، وكان التنوين ولا يزال يؤدي فيها وظيفة علامة التنكير. ولكن الاستخدام
الحديث يعرف أيضاً استخدام كلمة "أحد" والمؤنث

1 في بعض اللهجات البدوية المعاصر يقال: البيت حج "جيم مصرية" ابراهيم، بمعنى:
بيت ابراهيم.

"إحدى" مضافة إلى ما بعدها للتعبير عن التنكير. نجد هذا في العبارات الآتية:
 أحد الأمريكيين، أحد البيوت، أحد رجال الشرطة، أحد كبار الضباط، إحدى السفن
 الحربية، إحدى المدارس، إحدى الصحف، إحدى المقومات الأساسية، فكلية أحد أو
 إحدى أضيفت إلى صيغة الجمع التالية، والتركيب كله معناه معنى المفرد النكرة. وشبيهة
 بهذا أيضاً استخدام كلمة "ما" بعد المفرد للتعبير عن كونه نكرة، وهذا التعبير له جذوره
 في القرآن الكريم: {مَثَلًا مَا} 1، ونجده شائعاً في النثر العربي الحديث مثل: شيء ما،
 وقت ما، يوم ما، اصطلاح ما، تأليف ما،..... إلخ، وهكذا عرفت اللغة العربية في
 العصر الحديث للتنكير تعبيرات مختلفة بأدوات طورها لذلك وأخذتها لهذا من اللغة
 المتوارثة.

1 البقرة: 25.

2- نمو المفردات في العربية:

إن نظرة إلى جملة واحدة بسيطة في حديثنا اليومي أو أحد الكتب الحديثة أو القديمة
 لتعطينا كلمات لها تاريخ، ولكل كلمة في كل لغة تاريخ، فالكلمة تحيا وتستخدم وتتغير
 وتموت.. والعربية تعرف كلمات ترجع إلى اللغة السامية الأم، وهذه ترجع إلى ما قبل
 منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وهناك كلمات لا تعرفها من اللغات السامية إلا
 العربية، عرفت بعد أن هاجرت الجماعات السامية الأخرى من عهد الساميين، وهناك
 طائفة من المصطلحات استخدمت مع العلوم الإسلامية، وفوق هذا وذاك فهناك طائفة
 من الألفاظ الأجنبية تعربت تعرباً كاملاً، ولم نعد نحس اليوم أنها أجنبية، بجانب طائفة لا
 تزال

عجمتها واضحة أمامنا، إن مستخدم اللغة لا يهتم بتاريخ الكلمة أو بأصلها، وكل ما يهمله هو أن يستطيع استخدامها، فالمتحدث ساعة استخدامه للغة لا ينظر إلى حياة كل كلمة بل يستعمل الرمز اللغوي لنقل الفكرة أو الانفعال إلى المتلقى أو للتنفيس عن عاطفة أو شعور. إن ماضي الكلمة وتاريخ اللغة أمر علمي يهتم به الباحثون. ولا غرابة، فالإنسان يحتاج اللغة كما يحتاج هواء للتنفس، ولكن معرفة طبيعة عملية التنفس وطبيعة مكونات الهواء أمران علميان يهتمان الباحث كموضوع للبحث، ولا يهتم الإنسان العادي إلا بالممارسة العملية للغة وللتنفس، فدراسة حياة كل كلمة عمل علمي.

ولننظر في كتاب الفهرست لابن النديم إلى العنوان البسيط التالي: "أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي". لكل اسم من كلمات هذا العنوان في تاريخ اللغة قصة، فكلمة "اسم" كلمة سامية قديمة نجدها في صورة أو أخرى في كل اللغات السامية، نجدها في النقوش الأكادية المؤرخة في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. فهذه الكلمة يزيد عمرها إذن على خمسة وأربعين قرناً. وقد بحثت الكلمة في ضوء المنهج المقارن. ويرى معظم الباحثين أنها من أصل ثنائي هو السين والميم أو الشين والميم ثم تطورت بعد هذا في اتجاه الثلاثي، والألف التي نراها في الخط العربي في هذه الكلمة هي ألف وصل تسقط في نطق الكلمة في السياق. والصيغة التي أمامنا من الكلمة هي صيغة جمع التكسير، وجمع التكسير ظاهرة خاصة بالمجموعة الجنوبية من اللغات السامية، أي أنه يوجد في الحبشية والعربية الجنوبية والعربية الشمالية، ولا يوجد في اللغات السامية القديمة في العراق والشام.

والكلمة الثانية في هذه العبارة هي كلمة "نقلة" وهي من المادة العربية نقل، وهذه تفيد النقل المادي أي نقل شيء من مكان إلى آخر، وتطور المعنى هنا إلى النقل المعنوي ونقل الفكرة من لغة لأخرى. وهنا نؤرخ أن استخدام كلمة "ناقل - نقلة" بمعنى "مترجم، مترجمين" قد عرف في القرن الرابع الهجري

(310/1)

عندما ألف كتاب الفهرست لابن النديم، والواقع أن دراسة تاريخ اللغة لا تحقق إلا بدراسة النصوص وتحليلها ثم بتتبع الظاهرة صوتية كانت أو صرفية أو نحوية أو دلالية تتبعاً تاريخياً يحدد على نحو دقيق زمن ظهور الكلمة ومكان ظهورها وتطور دلالتها على

مر التاريخ.

يذكر ابن النديم في هذا العنوان كلمة "اللغات" وكلمة "اللسان"، ولا بد أن نقف قليلاً عند الكلمتين، فالكلمة الثانية "اللسان" كلمة ترجع إلى أقدم اللغات السامية، هي من المعجم الأساسي المشترك في اللغات السامية حملتها الهجرة الأكادية معها، فهي أقدم من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. ولو نظرنا إلى الكلمة في اللغات السامية الأخرى وجدناها في العبرية "لاشون" وفي الآرامية "لشانا" والكلمات الثلاث "لسان، لاشون، لشانا" كلمة واحدة من الناحية الاشتقاقية، فالسين في العربية يقابلها شين في العبرية والآرامية، وهذا قانون صوتي والقوانين الصوتية مطردة لا تعرف الشذوذ والحركة التي بعد السين في العربية هي فتحة طويلة وفي العبرية نجد بعد الشين ضمة طويلة، والواقع أن الفتحة الطويلة في العربية يقابلها دائماً ضمة طويلة في اللغات الكنعانية، والعبرية إحدى اللغات الكنعانية، وهذا أيضاً قانون صوتي مطرد. وإذا نظرنا بعد هذا إلى الكلمة الآرامية "لشانا" لاحظنا أنها بفتحة طويلة، وقد كانت هذه الفتحة الطويلة أداة التعريف في الآرامية فالجماعات السامية الأولى لم تكن تعرف أداة للتعريف فطورت العربية لنفسها أداة هي "أل" تدخل في أول الكلمة وطورت الآرامية لنفسها فتحة طويلة تلحق بآخر الاسم لتفيد التعريف. الكلمات: "لسان، لاشون، لشانا" كلمة واحدة اشتقاقياً وتفيد كل واحدة اللسان. بالمعنى المادي "كجزء من الفم" ثم المعنى المعنوي أيضاً... فقد تحدثوا عن اللسان العربي أو اللسان الآرامي أو اللسان العبري. لقد استمر استخدام كلمة اللسان بالمعنى المعنوي قروناً طويلة، وعندما تأسست في القرن الماضي مدرسة للغات والترجمة أطلق عليها اسم "مدرسة".

(311/1)

الألسن" وكان ناظر هذه المدرسة رفاعه الطهطاوي يستخدم في كتبه كلمة "لسان" مثلما نستخدم اليوم كلمة "لغة" فهو يتحدث عن اللسان العربي واللسان الفرنسي واللسان اللاتيني... ونحن نتحدث اليوم عن الإنجليزي والألماني والعربي والإيطالي، وهذا التعبير ظهر أولاً كصفة وموصوف تجده في القرآن الكريم: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} 1. ونجده عند ابن النديم في القرن الرابع الهجري: "اللسان العربي، اللسان السرياني، اللسان اليوناني" وعند ابن النديم نجد أيضاً حذف الموصوف والاكتفاء بالصفة، أي: بالعربي، بالسرياني، باليوناني أو إلى العربي أو إلى السرياني أو إلى اليوناني، ومن هنا استقر

التعبير الشائع عندنا والذي كان صفة لا لمؤنث بل لمذكر هو اللسان.

أما كلمة "لغة" فترجع إلى أصل غير سامي، إنها من الكلمة اليونانية **Logos** ، ومعناها: كلمة، كلام، لغة. وقد دخلت الكلمة العربية في وقت مبكر، فاللغويون العرب جامعوا اللغة في القرن الثاني للهجرة تحدثوا عن لغات القبائل وكثيراً ما وصفت الصيغة اللغوية التي اعتبروها ثانوية أو جانبية بأنها "لغة" وقالوا مثلاً: إن كلمة شهد أو كبر فيها أربع لغات شَهِد شَهِد، شَهِد شَهِد وكذلك كبر. فاللغات هنا هي الصيغ أو الأشكال الفرعية. ولكنهم تحدثوا أيضاً عن اللغة بالمعنى الاصطلاحي الذي نعرفه اليوم لكلمة: كلام، قالوا: لغته فاسدة أو لغته جيدة، ثم تغيرت دلالة هذه الكلمة في العربية إلى أن حلت شيئاً فشيئاً محل كلمة "لسان" إن الحديث عن تاريخ حياة أي كلمة تاريخ طويل فالكلمة تعيش وتتفاعل، والمعنى هو حصيلة الملابس التي عاشتها الكلمة.

إن العربية لغة ذات قدرة بارعة في هضم الألفاظ الأجنبية وجعلها مثل الألفاظ الأصلية فيها، فكلمة فيلسوف كلمة يونانية مركبة **Philosoph**، ومعناها الأول: محب الحكمة، دخلت الكلمة العربية مع عدد كبير من ألفاظ الحضارة والثقافة اليونانية، وعرفت في العربية في عصر الحضارة الإسلامية،

1 النمل: 194.

(312/1)

ولكن العربية لم تكتف باستخدام الكلمة بل كونت منها كلمات جديدة، صاغت الفعل "تفلسف" وصاغت كلمة "فلسفة" وكلمة "المتفلسفة"، وكل هذه الكلمات صيغت وفق الضوابط العربية من المادة الأجنبية. وقد دخلت معظم الألفاظ اليونانية إلى العربية عبر اللهجات الآرامية التي سادت الشام والعراق قبل الإسلام، ولا سيما السريانية التي حملت ثقافة اليونان إلى العرب.

وبجانب هذا فهناك عدد كبير من الألفاظ الآرامية الدخيلة في العربية. إن حياة البادية القديمة لم تكن تعرف زراعة التفاح أو التوت أو الجميز أو الحمص أو الخوخ أو الرمان أو الفستق، لم تعرف البادية هذه الثمار إلا عن طريق المناطق الزراعية في الشام والعراق وكانت هذه المناطق آرامية، وعندما تعربت هذه المناطق احتفظت بهذه الكلمات للتعبير عن تلك السلع، وهذه كلمات آرامية استقرت في العربية¹.

وشبيه بهذه كلمة "باب" لقد أخذت من الكلمة الآرامية "بابا" والألف الأخيرة أو بمعنى أدق الفتحة الطويلة الأخيرة علامة التعريف الآرامية، ومعنى "بابا" الآرامية: شق، فراغ، خرق، قطع، قسم. وقد دخلت هذه الكلمة اللغة العربية بصيغتين، باب وبابه "نقلا عن بابا" ولها في العربية نفس المعاني: فهذا باب البيت وهذا باب للخروج من المأزق، وهذا باب في كتاب، هذا وقد استخدم ابن دانيال في خيال الظل مصطلح "بابه" للتعبير عن القسم أو الفصل إن الكلمات الآرامية الدخيلة في العربية كثيرة متنوعة وكثير من الألفاظ دخل من اليونانية عبر الآرامية، لذا فدراسة الآرامية تفسر لنا كثيرا من جوانب تاريخ المفردات العربية.

كان شأن الألفاظ القبطية في مصر شبيها بالآرامية في الشام والعراق، ولذا فقد دخل اللهجة العربية في مصر عدد كبير من الألفاظ القبطية، فأسماء

1 حول الألفاظ الآرامية الدخيلة في العربية: S. Frankel, Die aramaischen fremdwörter im Arabischen, Leiden 1978.

(313/1)

الشهور القبطية توت وبابه يعرفها كل فلاح في مصر، كما يعرف كل فلاح سوري أيلول وحزيران وشباط، فأسماء الشهور المتداولة في العراق والشام عرفها الآراميون عموماً بنفس الشكل* والترتيب كما عرفنا مصر في العهد القبطي توت وبابه وهتور وكيهك وبرمودة وبرمهات. وهناك ألفاظ قبطية كثيرة لا تزال تعرفها لغة الحديث اليومي في مصر مثل: برسيم، بقوطي، بوري، هوش، هلوس، هجص، مهباس، ننوس، شلوت، واحة، طاش، ورور.

ويطول بنا القول لو تحدثنا عن كل العناصر الأجنبية التي دخلت الاستخدام اللغوي في المجتمع العربي، ولكننا نكتفي ببعض اللغات¹. فالتركية كانت لغة الطبقات الحاكمة اجتماعياً، وأثر هذا بأن دخلت بعض الألفاظ التركية إلى لغة الحديث في العالم العربي، فكلمة طظ "طوز" معناها ملح أو تافه أو تراب وهي تركية، وكلمة طاسلاق ومعناها فعل: بسرعة ودون عناية دخلت العربية من التركية فأصبحت في الحديث اليومي "طسلاً" وأصبح هذا الفعل متصرفاً مثل باقي أفعال اللهجات العربية. ويعرف أبناء

الشام كلمة "بلش" كفعل بمعنى بدأ والواقع أن هذه الكلمة من الأصل التركي: باشلامق بنفس المعنى، وقد اختصرت الكلمة وحدث فيها قلب مكاني بأن تبادلت اللام والشين مكانيهما على طريقة: أرانب أنارب، فأصبح "ب ش ل"، "ب ل ش" وقد استخدمت الكلمة كما يستخدم أي فعل في اللهجات العربية في الشام في مختلف التصريفات.

وهناك ألفاظ دخلت في شكلها التركي رغم كون بعض عناصرها من أصل عربي، فنحن نعرف السلامك، وهو مكان السلام في القصور حيث كان الجنود يصطفون لتحية الباشا، والكلمة مركبة من كلمة سلام العربية والمقطع.

* ليس صحيحًا أنها "رومية" كما زعم المقدسي: أحسن التقاسيم 183.

1 انظر في موضوع الألفاظ الدخيلة في العربية: جرجي زيدان: تاريخ اللغة العربية "القاهرة 1904".

(314/1)

لك في التركية وهو يفيد المكانية، فالسلامك مكان السلام، والحرملك مكان الحرم، والسلاحك مكان السلاح. وهناك ألفاظ صيغت في العهد التركي في مصر من عناصر فارسية، فنحن نعرف "مدرسة المبتديان" بالقاهرة، وقد أسست في القرن الماضي حاملة هذا الاسم. وكلمة المبتديان ذات نهاية فارسية خاصة بالجمع، وعلى هذا فهي "مدرسة المبتدئين"، وما زلنا نستخدم عبارة "كبير الياوران" ولا ننزعج من استخدام الألف والنون في المضاف إليه، وهذا لأن كلمة الياوران ليست إلا جمعًا، والجمع هنا بالنهاية الفارسية آن، وقد كانت الفارسية لغة يعرفها المثقفون في الدولة العثمانية، وكانت تدرس كلغة كلاسيكية. في بعض معاهد العلم في مصر في القرن الماضي حتى دخول الإنجليز. كانت التركية أيضًا المعبر الذي انتقلت عليه ألفاظ أوروبية مختلفة إلينا، فنحن نعرف كلمة وابور وأصلها كلمة Vapour فكيف تحولت الـ V إلى واو؟ الواقع أن هذا يفسر عن طريق استخدام الترك للخط العربي، فقد عبروا بحرف الواو عن صوت V في لغتهم فإذا أرادوا كتابة كلمة تركية أو أجنبية بها صوت V كتبوها باستخدام الواو، وعلى هذا فقد كتبوا كلمة وابور هكذا، ونطقوها كما لو كانت "فابور" ثم انتقلت الكلمة بصورتها المكتوبة إلى العربية فنطقت "وابور" أو اعتقد المتحدث العربي آنذاك أن أصلها

واو لم يستطع التركي نطقها. ومن ثم دخلت الكلمة العربية بالواو. وشبيه ما نراه في كتب القرن التاسع عشر عندما يكتبون اسم "فيينا" بالواو، أي "وينا"، وهذه الظاهرة تفسر لنا وجود بعض أسماء الأعلام في العربية، لقد أخذ الترك عن العرب اسم "توحيدة" ولكنهم نطقوا الواو كما لو كانت ف V ولم ينطقوا بصوت الحلق الحاء فهو لا يوجد في لغتهم، لقد نطقوا كلمة توحيدة كما لو كانت "تفيدة"، ومن هنا ظهر في العربية اسم جديد هو "تفيدة".

وهكذا عاشت العربية وتطورت بنيتها في تفاعل دائم مع طبيعة العلاقات الاجتماعية والحضارية والسياسية والدينية التي سادت في المجتمع العربي عبر التاريخ.

(315/1)

بيلوجرافيا مختارة بالكتب العربية في الدراسات اللغوية والموضوعات المرتبطة بها

...

بيلوجرافيا مختارة بالكتب العربية في الدراسات اللغوية والموضوعات المرتبطة بها

إبراهيم أنيس:

- الأصوات اللغوية، القاهرة 1950، 1961

- دلالة الألفاظ، القاهرة 1958

- طرق تنمية الألفاظ في اللغة، القاهرة د. ت

- اللغة بين القومية والعالمية، القاهرة 1970.

- اللهجات العربية، القاهرة ط. ثانية 1952.

- مستقبل اللغة المشتركة، القاهرة 1960.

- من أسرار اللغة القاهرة 1951، 1966.

إبراهيم السامرائي:

- الأب أنستاس ماري الكرملّي وآراؤه اللغوية، القاهرة 199.

- التطور اللغوي التاريخي، القاهرة 1966.

- تنمية اللغة العربية في العصر الحديث القاهرة 1973.

- التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق القاهرة د. ت.

- رسائل في اللغة، بغداد 1964.

- مباحث لغوية، بغداد 1971.

إبراهيم مصطفى:

- إحياء النحو، القاهرة 1937، 1951.

(317/1)

إبراهيم موسى هندواي:

- الحركة الفكرية لليهود في إسبانيا الإسلامية وأثر الفكر الإسلامي فيها من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه - جامعة الإسكندرية 1954.

إبراهيم اليازجي:

- لغة الجرائد، القاهرة 1319.

ابن الأثير:

- النهاية في غريب الحديث والأثر، القاهرة 1963-1965.

ابن الأنباري "كمال الدين أبو البركات" عبد الرحمن:

- أسرار العربية، نشره زايبولد Seybold في ليدن 1886، ثم طبع في دمشق.

- الإعراب في جدل الإعراب، نشره سعيد الأفغاني في دمشق 1957.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين نشره فايل G.

weil في ليدن 1913 مع مقدمة عن مدارس النحو العربي، وطبعه محمد محيي الدين عبد الحميد عدة مرات بعد ذلك بالقاهرة.

- البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: طه عبد الحميد طه، القاهرة 1970.

- لمع الأدلة في أصول النحو، نشره سعيد الأفغاني في دمشق 1957، وعطية عامر في

استكهولم سنة 1963- الموجد في علم القوافي، نشره عبد الهادي هاشمي - في المجلد

الحادي والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق 1956.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء نشره بالقاهرة 1294 وبتحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم بالقاهرة 1960، وإبراهيم السامرائي في بغداد 1960، وعطية عامر في

استكهولم 1963.

ابن بري:

- غلط الضعفاء من "أهل الفقه" الفقهاء حققه Torrey في الدراسات المقدمة إلى

نولدكه Noldeke بعنوان Or. Stud

رسائل جامعية مجازة وغير منشورة سجلنا عناوينها اعتماداً على المصادر الببليوجرافية.

(318/1)

ابن الجزري:

- غاية النهاية في طبقات القراء. نشره برجستراسر وبرتسل بالقاهرة 1932-1935.
- النشر في القراءات العشر، حققه محمد الضباع - القاهرة د. ت دمشق 1345.

ابن جني:

- التمام في تفسير أشعار هذيل، بالقاهرة 1962.
- جمل أصول التصريف - مختصر التصريف الملوكي، القاهرة 1913.
- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار دار الكتب المصرية 52-1957.
- سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين الجزء الأول فقط القاهرة 1954.

- كتاب المقتضب في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين، طبع بالقاهرة 1922 ضمن ثلاث رسائل.

- المحتسب، ج1، ج2 القاهرة 1969-1971

- المنصف، شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - القاهرة 1954.

ابن الجوزي:

- تقويم اللسان تحقيق عبد العزيز مطر، القاهرة 1966

ابن الحاجب:

- الكافية، في النحو طبع في روما 1592 وكوانبور 1888-1891 وكازان 1889 وطشقند 1311، 1312.

ابن حبيب:

- المحبر، تحقيق ايلزه ليختن شتير، حيدرآباد بالهند 1942.

ابن حزم الأندلسي:

- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة 1962.

ابن الحنبلي:

- بحر العلوم فيما أصاب فيه العوام، ط المجتمع العملي بدمشق 1356.

(319/1)

ابن خاتمة الأنصاري:

- إيراد الآل من إنشاء الضوال، نشر Colin في مجلة Hesperis XII

ابن خالويه:

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة 1941.

- الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، بيروت 1971.

- كتاب الشجر، نشره Nagelberg 1909 في Kirschain ألمانيا، نسبة

هذا الكتاب لابن خالويه موضع نظر والصحيح أنه لأبي زيد الأنصاري.

- ليس في كلام العرب، نشره الشنقيطي بالقاهرة 1327، وأحمد عبد الغفور عطار

القاهرة 1957. غير كامل.

- مختصر شواذ القراءات، برجستراسر في نشرات المكتبة الإسلامية رقم 7 / 1933.

ابن خلدون:

- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: على عبد الواحد وافي، 4 مجلدات القاهرة ط ثانية

1967.

ابن خلكان:

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة

1948.

ابن خير الأشبيلي:

- فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة، القاهرة 1963.

ابن درستويه:

- كتاب الهداية في النحو، طبع في طهران في 1289هـ.

ابن دريد:

- الاشتقاق، ط جوتنجن 1584 ثم حققه عبد السلام هارون القاهرة 1958.

- الجمهرة في اللغة نشر بجيدرآباد 1345.

(320/1)

-
- كتاب السرج واللجام، نشره وليم رايت W. Wright في:
Opscula arab 1-14.
- كتاب صفة السحاب والغيث، نشره وليم رايت في:
Opscula arab 15-46 ليدن 1859.
- ابن السراج:
- أصول النحو، تحقيق ودراسة، رسالة دكتوراه. جامعة القاهرة 1971 أعدها عبد
الحسين الفتلي.
- الموجز في النحو، تحقيق: مصطفى الشويبي، بيروت 1956.
- ابن السكيت:
- الأضداد، نشره هفner Haffner في الكنز اللغوي في بيروت 1912.
- إصلاح المنطق، تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون، القاهرة 1956.
- تهذيب الألفاظ، نشره لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1895.
- القلب والإبدال في كتاب الكنز اللغوي تحقيق: هفner، بيروت 1903.
- ابن سنان الخفاجي:
- سر الفصاحة، القاهرة 1952.
- ابن السيد:
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، بيروت 1901.
- ابن سيده الأندلسي:
- المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: السقا ونصار وآخرين، القاهرة 1958 وما بعدها.
- المخصص في اللغة، بولاق 1316/21 في 17 جزءًا.
- ابن سينا:
- أسباب حدوث الحروف، القاهرة 1352، طهران 1955-1956.
- ابن الشجري:
- الأمالي الشجرية. ط حيدرآباد 1349. وأعيد طبعه في بيروت د، ت حوالي
1972.

- الحماسة، حيدرآباد بالهند 1345هـ.
- ديوان مختارات شعراء العرب، اختيار ابن الشجري -القاهرة 1306 هـ.
- ابن عصفور:
- شرح جمل الزجاجي، حققه صاحب جعفر أبو جناح، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة 1971.
- الممتع في التصريف، ج1، ج2 تحقيق فخر الدين قباوة في حلب 1970.
- ابن عقيل:
- شرح ألفية ابن مالك طبع بالقاهرة عدة مرات.
- ابن فارس:
- أبيات الاستشهاد، حققه عبد السلام هارون في نوادر المخطوطات، القاهرة 1951.
- الإتياع والمزاوجة، طبع بتحقيق R.Brunnow في Giessen سنة 1906، ثم بتحقيق كمال مصطفى بالقاهرة 1947.
- تمام فصيح الكلام، نشره آربري Arberry في لندن 1951 ثم نشره د. مصطفى جواد في بغداد 1969 ضمن رسائل في النحو واللغة، وحققه إبراهيم السامرائي في بغداد 1971 في مجلة الجمع العلمي العراقي المجلد الحادي والعشرين.
- خلق الإنسان، نشره داود الحلبي في لغة العرب 9/ 1931، ثم فيصل دبدوب في مجلة الجمع العلمي بدمشق 42/ 2، 1971.
- الصاحبي في فقه اللغة، وسنن العرب في كلامها، نشره محب الدين الخطيب بالقاهرة 1910 ثم مصطفى الشوملي في بيروت 1964.
- فتيا فقيه العرب، نشره حسين على محفوظ في مجلة المجتمع العلمي العربي بدمشق 1958.
- متخير الألفاظ، حققه هلال ناجي ونشره بالرباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب 1970.
- المجمل في اللغة، الجزء الأول، نشره محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة 1947.

(322/1)

- مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله، حققه عبد العزيز الميمنى ضمن ثلاث رسائل القاهرة 1344، 1387.

- معجم مقاييس اللغة، طبع بتحقيق عبد السلام هارون 6 أجزاء القاهرة 1366هـ، 1371هـ.

- النيروز، نشره عبد السلام هارون ضمن نواذر المخطوطات 1373 / 1954. ابن فرحون:

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، القاهرة 1351هـ. ابن قتيبة الدينوري:

- أدب الكاتب، نشره Grunert في ليدن 1900-1901، ثم نشر بالقاهرة 1355هـ، 1382 / 1963، وهناك عدة طبعات مصرية أخرى.

- الأنواء في مواسم العرب، حيدرآباد الدكن 1956.

- تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد صقر، د. ت.

- الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شaker، القاهرة 1966.

- عيون الأخبار، القاهرة 1925-1930.

- المعاني الكبير - حيدرآباد الهند 1949.

ابن كمال باشا:

- التنبيه على غلط الجاهل والنبیه، نشره لاندبرج في ليدن 1889 في طرق عربية، ثم نشر في دمشق 1344 بتحقيق المغربي.

ابن مالك:

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حققه محمد كامل بركات بالقاهرة 1968.

- لامية الأفعال، نشرت في هلسنكي 1854، وبطرسبرج 1864 وليبنج 1866.

ابن مسعود:

- مراح الأرواح في علم الصرف، القاهرة 1937.

ابن مضاء القرطبي:

- الرد على النحاة، حققه شوقي ضيف 1947.

(323/1)

ابن مكي الصقلي:

- تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق: عبد العزيز مطر، القاهرة 1966.

ابن منظور الإفريقي:

- لسان العرب، بولاق 1300-1307هـ.
ابن النديم:
- الفهرست، تحقيق Flugel، ليبزج 1871، ثم نشر بالقاهرة 1348 هـ ثم أعيد
تصويرها في بيروت 1965، ونشر في طهران 1972.
ابن هشام الأنصاري:
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، نشره محيي الدين عبد الحميد القاهرة 1949.
- شذور الذهب في معرفة كلام العرب وشرح شذور الذهب، القاهرة عدة طبعات.
- قطر الندى وبل الصدى، القاهرة، عدة طبعات.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، نشره محيي الدين عبد الحميد بالقاهرة ومازن
المبارك - دمشق 1966.
ابن هشام اللخمي:
- المدخل إلى تقويم اللسان، حققه عبد العزيز مطر بالقاهرة 196.
ابن ولاد:
- كتاب المقصور والممدود نشره P. Bronnle في لندن 1900
ابن يعيش:
- شرح مفصل الزمخشري، نشره G. Jahn في مجلدين - ليبزج 1882 1886،
وطبع بالقاهرة بعد ذلك.
أبو بكر بن دريد:
- الملاحن، نشره إبراهيم أطفيش الجزائري، القاهرة 1347هـ.
أبو الحسنات محيي الدين:
- العرب في السند، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة 1945.

(324/1)

-
- أبو حنيفة الدينوري:
- كتاب النبات، نشر لوين - ليدن 1953.
أبو حيان:
- منهاج السالك، نشره سدي جلازر Glaser S. في New Haven 1946.
أبو زيد القرشي:

- جمهرة أشعار العرب، بولاق 1308هـ.
- أبو زيد الأنصاري:
- كتاب المطر، نشره جوتهايل R.Gottheil في JAOS XVI 288-312.
- ونشره لويس شيخو في بيروت 1908.
- كتاب النوادر في اللغة، نشره سعيد الخوري الشرتوني، بيروت 1895 وطبع مصورًا في بيروت 1965.
- كتاب الهمز وتحقيق الهمز، نشره لويس شيخو في مجلة: المشرق 1910 ثم أعيد نشره في بيروت 1911.
- أبو طاهر التميمي:
- المسلسل في غريب لغة العرب، تحقيق محمد عبد الجواد القاهرة 1957.
- أبو الطيب اللغوي:
- الإبدال تحقيق عز الدين التنوخي ط دمشق 1961.
- الأضداد في كلام العرب تحقيق عزة حسن، دمشق 1963.
- شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، القاهرة 1957.
- المثني، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق 1960.
- مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1955.
- أبو عبيد البكري الأوبني:
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي. تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة د. ت.
- أبو عبيد القاسم بين سلام:
- غريب الحديث. حيدرآباد بالهند 1964-1967.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى:
- مجاز القرآن تحقيق فؤاد سركين، القاهرة 1954-1962.

(325/1)

-
- أبو علي الفارسي:
 - الإيضاح، القاهرة 1970.
 - كتاب الحجة، نشر بالقاهرة 1966 بتحقيق علي النجدي ناصف وآخرين.
 - كتاب الشعر، نشر H.I.Roediger قطعة منه في هاله 1969.

- أبو عمر المطرز الزاهد:
- المداخل، القاهرة 1956.
أبو مسحل:
- النوادر، تحقيق عزة حسن، دمشق 1961.
أبو هلال العسكري:
- معرفة الفروق في اللغة، القاهرة 1935.
الأجدابي:
- كفاية المتحفظ في اللغة، ط بيروت 1305، حلب 1343 المجموعة اللغوية بتحقيق مصطفى الزرقا.
أحمد إبراهيم الفحيل:
- التذكير والتأنيث في اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة 1942.
أحمد تيمور:
- أسرار العربية، القاهرة 1954.
- تصحيح لسان العرب، القاهرة 1343.
- السماع والقياس، القاهرة 1955.
أحمد حنفي:
- ثعلب ومذهبه في النحو واللغة، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة 1961.
أحمد شلي:
- تعليم اللغة العربية لغير العرب، القاهرة 1966.
أحمد عيسى:
- المحكم في أصول الكلمات العامية، القاهرة 1939.

(326/1)

-
- أحمد ماهر محمود فهمي البدرى:
- أساليب النفي في القرآن، الإسكندرية 1970.
أحمد مختار عمر:
- البحث اللغوي عند العرب، القاهرة 1971.
- تاريخ اللغة العربية في مصر، القاهرة 1970.

- أحمد مطلوب:
- البلاغة عند السكاكي، بغداد 1964.
- أحمد مكي الأنصاري:
- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، القاهرة 1964.
- أدي شير:
- الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت 1908. طهران 1965.
- الأزهري أبو منصور:
- تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين - القاهرة 1964-1967.
- الأزهري خالد بن عبد الله:
- شرح التصحيح على التوضيح، القاهرة د. ت.
- الاستراباذي رضى الدين:
- شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد له عبد القادر البغدادي، تحقيق محمد الزفزف وآخرين، القاهرة 1356 هـ.
- شرح الكفاية. ط استانبول 1305.
- الإسكافي:
- مبادئ اللغة، ط القاهرة 1325 ضمن: الطرق الأدبية.
- إسماعيل باشا البغدادي:
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين، استانبول 1955.
- الأشموني:
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة.

(327/1)

-
- د. ت وطبع أيضًا بعنوان: مناهج السالك بالقاهرة عدة طبعات وطبع مع حاشية محمد بن علي الصبان ت 1206 / 1791 بالقاهرة طبعات كثيرة.
- الأشنانداني:
- معاني الشعر، دمشق 1922.
- الأصمعي:
- الإبل، ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسن العربي، تحقيق: هفتر لينزج وبيروت

1903 – 1905.

- كتاب أسماء الوحوش وصفاتها، نشره Geyer و SBWA.
- التقارير العلمية لأكاديمية فينا 1895 / 132 فينا 1888.
- كتاب الأضداد "؟" " نشره صالحاني في بيروت 1912.
- كتاب خلق الإنسان، ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي.
- نشره فهنر - ليبزج وبيروت 1903 - 1905
- كتاب الخيل، نشره هفنر Haffner في SBWA التقارير العلمية لأكاديمية فينا 1895 / 132
- كتاب فحولة الشعراء، نشره توري Ch. Torrey في ZDMG مجلة جمعية المستشرقين الألمانية 65 / 487.
- 516 واعد نشره بالقاهرة محمد عبد المنعم خفاجي
- كتاب الفرق عن الأصمعي، نشره مولر D.H. Muller في SBWA
- التقارير العلمية لأكاديمية فينا العدد 82 / 1878 / ص 235 - 288
- كتاب النبات والشجر، نشر هفنر Haffner ضمن مجموعة رسائل علمية عنوانها A. Haffner, Dix Anciens traifes
- البلغة في شذور اللغة بيروت 1908.

(328/1)

-
- كتاب النخيل والكرم نشره هفنر في مجموعة الرسائل المذكورة.
 - الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هاورن القاهرة 1956.
 - ألفت محمد جلال:
 - دراسة في أزمنة الفعل وصيغته في اللغتين العربية والعبرية. رسالة ماجستير - جامعة عين شمس 1965.
 - مروان بن جناح حياته وأعماله اللغوية والنحوية رسالة دكتوراه جامعة عين شمس 1968.
 - الآمدي:
 - المؤلف والمختلف، تحقيق: عبد الستار فراج القاهرة 1961.
 - الموازنة، تحقيق السيد صقر، في مجلدين، القاهرة.

أمين الخولي:

- محاضرات عن مشكلاتنا اللغوية القاهرة 1958.
- معجم ألفاظ القرآن القاهرة 1972.
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، القاهرة د. ت.
- الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم:
- الأضداد، نشره هوتسما Houtsma ليدي 1881 وحققه محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت 1960.
- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤث القاهرة د. ت.
- شرح الأنباري على المفصليات اكسفورد 1920.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة 1963.
- انستاس ماري الكرملي:
- أغلاط اللغويين الأقدمين بغداد 1937.
- نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها، القاهرة 1938.
- أنيس فريجة:
- محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها، القاهرة 1955.
- ملامح وأساطير من أجريت بيروت 1966.
- نحو عربية ميسرة، بيروت 1955.

(329/1)

أولمان Ulmann, Stefan:

- دور الكلمة في اللغة ترجمة: كمال محمد بشر - القاهرة - الطبعة الثانية 1969.
- البحثري:
- الحماسة للبحثري، نشره كمال مصطفى، القاهرة 1929.
- برجشتراسر Bergtrasser:
- التطور النحوي للغة العربية، القاهرة 1929.
- بروكلمان كارل: c. Brockelmann
- تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة 1959-1962.

البطليوسي:

- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، نشره عبد الله البستاني، بيروت 1901.
- البغدادى، عبد القادر بن عمر:
- خزانة الأدب، 4 مجلدات، بولاق 1299، القاهرة 1930 وحققه عبد السلام هارون - القاهرة 1967.
- البغدادى، الخطيب:
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام 14 جزءاً، القاهرة 1391.
- البغدادى موفق الدين عبد اللطيف:
- ذيل الفصيح، القاهرة 1289.
- البكرى أبو عبيد:
- التنبيه على أوهام القالي في أماليه، مطبعة دار الكتب بالقاهرة 1926.
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمنى القاهرة 1936.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا القاهرة 1945-1951.
- بياجيه، جان J. Piaget:
- اللغة والفكر عند الطفل، ترجمة أحمد عزت، القاهرة 1954.

(330/1)

التبريزي، الخطيب:

- تهذيب إصلاح المنطق، القاهرة 1907.
- شرح ديون الحماسة نشره فرايتاج Freytag في بون 1838 / 41.
- شرح المعلقات، ط كلكتا 1311، القاهرة 1906، 1924، 1933، 1950،
- 1962، 1964 وبتحقيق فخر الدين قباوة بحلب 1969.
- شرح المفضليات، تحقيق: فخر الدين قباوة، المجلد الأول والمجلد الثاني دمشق 1971.
- الكافي في علمي العروض والقوافي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله القاهرة.
- ما يقرأ من آخره كما يقرأ من أوله، نشره كروتكوف بمجلة كلية الآداب والعلوم بغداد 1958م.

- الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: عمر يحيى وفخر الدين قباوة، حلب 1970. تمام حسان:
- اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة 1973.
- اللغة بين المعيارية والوصفية، القاهرة 1958.
- مناهج البحث في اللغة، القاهرة 1955.
- التهانوي "محمد علي الفاروقي":
- كشاف اصطلاحات الفنون، نشره لطفي عبد البديع وعبد النعيم حسنين وأمين الخولي، القاهرة 1963.
- تعلب:
- فصيح اللغة، نشره بارت Barth في برلين 1875، وطبع في القاهرة 1945 مع الشروح التي عليه.
- قواعد الشعر نشره Schiaparelli في لندن 1980 ثم حققه رمضان عبد التواب، القاهرة 1966.
- مجالس تعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة 1948، 1949، 1960.
- الثعالبي:
- الإيجاز والإعجاز، القاهرة 1897.

(331/1)

-
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ط القاهرة 1326.
 - خاص الخاص، مطبعة السعادة بالقاهرة 1809.
 - فقه اللغة وسر العربية، طبع مرارًا ونشر بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري بالقاهرة 1938.
 - يتيمة الدهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1956.
 - الجاحظ:
 - البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، القاهرة 1363.
 - البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة 1948 - 1945.
 - الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة 1938 - 1945.
 - الجاربردي:

- شرح الشافية، ط كلكتا 1262، لاهور 1304، إستانبول 1310.
- الجرجاني، عبد القاهر:
- أسرار البلاغة في المعاني والبيان، طبع بالقاهرة مراراً وحققه ريتز في إستانبول 1954.
- دلائل الإعجاز، طبع بالقاهرة.
- الجرجاني، علي بن عبد العزيز:
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1951.
- جرجي زيدان:
- تاريخ اللغة العربية، القاهرة 1904.
- جعفر هادي حسن الكريم:
- مذهب الكسائي في النحو: رسالة ماجستير - جامعة بغداد 1969.
- جمال الدين محمد شلي:
- لغة التأليف المسرحي، رسالة ماجستير - جامعة الإسكندرية 1969.
- الجمالة في إزالة الرطانة، لمؤلف تونسي في القرن التاسع الهجري، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، المعهد الفرنسي بالقاهرة 1953.
- جواد علي:
- تاريخ العرب قبل الإسلام 8 أجزاء، بغداد 1950.

(332/1)

-
- الجواليقي:
- تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة، نشره ديرنبورج H. Derenbourg في morgenladische Forschungen ليبزج 1875، نشره عز الدين التنوخي بدمشق 1936، وطبع بطهران مصوراً مع كتاب المغرب 1966.
 - شرح أدب الكاتب، تقديم مصطفى صادق الرافعي، القاهرة 1350هـ.
 - المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، حققه: ساخاو Sachau في ليبزج 1827، وأحمد محمد شاكر بالقاهرة، دار الكتب 1360 وطبع بعد ذلك مصوراً في طهران 1966، والقاهرة 1969.
 - جرومان:

- أوراق بردي عربية في دار الكتب المصرية، القاهرة 1934-1937. الجوهري:
- الصحاح، ط بولاق 1282، ثم حققه: أحمد عبد الغفور عطار القاهرة 1956. جويدي، إغناطيوس:
- مختصر علم اللغة العربية الجنوبية، مطبوعات الجامعة المصرية، 1929. حاجي خليفة:
- كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون، إستانبول 1943. حسن توفيق:
- أصول الكلمات العامية، القاهرة 1896. حسن حسني عبد الوهاب:
- تحقيق كتاب: الجمالة في إزالة الرطانة، ط القاهرة 1953. حسن عون:
- اللغة والنحو، الإسكندرية 1952.
- تطور الدرس النحوي، القاهرة د. ت، 1970؟. حسين نصار:
- المعجم العربي نشأته وتطوره، القاهرة 1956.
- الأضداد، في: اللسان العربي 1971 ص 93 وما بعدها.

(333/1)

-
- الحريري:
 - كتاب درة الغواص في أوهام الخواص نشره thorbeeke في لينج 1871، ومطبعة الجوائب بالقسطنطينية 1399هـ. حفني ناصف:
 - مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها، القاهرة 1304 وطبع بمطبعة جامعة القاهرة 1957.
 - حمزة الأصفهاني:
 - التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد 1967، وحققه محمد أسعد طلس بمراجعة أسماء الحمصي وعبد المعين الحلوجي في

دمشق 1968.

خديجة عبد الرازق الحديثي:

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، بغداد 1964.

- أبو حيان النحوي، بغداد 1966.

الخفاجي، شهاب الدين:

- شرح درة الغواص، قسطنطينية 1299هـ.

- شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، القاهرة 1282، 1325هـ.

الخليل بن أحمد:

- العين، نشر أنستاس ماري الكرمللي قسمًا منه ببغداد 1914، وحقق: الجزء الأول

عبد الله درويش، بغداد 1967.

خليل يحيى نامي:

- آثار معين، القاهرة 1952.

- أصل الخط العربي وتطوره إلى ما قبل الإسلام، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة

1934.

- حرف الضاد وكثرة مخارجه في اللغة العربية، مقالة في مجلة كلية الآداب، القاهرة المجلد

21 العدد الأول - مايو 1959.

- نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها، القاهرة 1943.

(334/1)

الخوارزمي:

- مفاتيح العلوم، ليدن 1895، وأعيد طبعه بالتصوير في ليدن 1968، وطبع أيضًا

بالقاهرة.

الخوانساوي، ميرزا باقر:

- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، إيران 1304-1306هـ.

خولة تقي الدين الهلالي:

- المشكلات اللغوية في القراءات القرآنية - رسالة ماجستير - جامعة بغداد 1969.

الداني:

- التيسير في القراءات السبع، نشره برتسل otto pretzel في لينز وإستانبول

1930.

- المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، دمشق 1960.
- الراغب الأصفهاني:
- محاضرات الأدباء، القاهرة 1287.
- المفردات في غريب القرآن، القاهرة 1324.
- الربيعي، عبد الله بن أحمد:
- المنتقى من أخبار الأصمعي، نشره التنوخي في مجلة الجمع العلمي العربي 14 / 41-53، 38-111.
- الربيعي، علي بن عيسى:
- نظام الغريب، تحقيق برونله bronnle القاهرة بمطبعة هندية بالموسكي د. ت. رسمية محمد علي المياح:
- إسناد الفعل، رسالة ماجستير - جامعة بغداد 1966.
- رفائيل نخلة اليسوعي:
- غرائب اللغة العربية، حلب 1954، بيروت 1960.
- غرائب اللهجة اللبنانية السورية، بيروت 1962.
- رمضان عبد التواب:
- التذكير والتأنيث في اللغة، مع تحقيق رسالة أبي موسى الحامض في

(335/1)

المذكر والمؤنث: القاهرة 1967.

- لحن العامة والتطور اللغوي، القاهرة 1967.
- زاكية محمد رشدي:
- ميخائيل السرياني الكبير وتأريخه لعصر صدر الإسلام والعصر الأموي رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة 1955.
- زامباور:
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود القاهرة 1951-1952.
- الزاهد:

- المدخل في اللغة، تحقيق: محمد عبد الجواد، القاهرة 1961.
- زاهر رياض:
- العصر الأول من الأسرة السليمانية في الحبشة وعلاقة المسلمين بالمسيحيين، رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة 1955.
- مظاهر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة في العصور الوسطى، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة 1950.
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن:
- الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه نشره جويدي، روما 1980.
- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 1954.
- لحن العوام، تحقيق: رمضان عبد التواب، القاهرة 1964 ثم طبع بتحقيق: عبد العزيز مطر في الكويت 1968 بعنوان: لحن العامة.
- الزبيدي، السيد مرتضي:
- تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة 1307 ويطبع الآن في الكويت.
- الزجاج:
- سر النحو، نشر بالقاهرة 1972 بتحقيق هدى قراة بعنوان: ما ينصرف وما لا ينصرف.
- كتاب فعلت وأفعلت، نشر بالقاهرة 1907، 1913، ضمن: الطرف الأدبية لطلاب العلوم العربية.

(336/1)

-
- الزجاجي:
 - الإبدال والمعاقبة والنظائر، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق 1963.
 - الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، تقديم، شوقي الجمل، نشره بن شنب، باريس 1927، 1957.
 - اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دمشق 1969.
 - مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام هارون، الكويت 1962.
 - الزركشي:

- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1957-
1958.

الزركلي:

- الأعلام، القاهرة 1954- 1959.

الزحشري:

- أساس البلاغة، ط دار الكتب بالقاهرة 1341 / 1922 - 1923 - 1960،
وطبع بالتصوير عدة مرات.

- الأنموذج ط القاهرة 1289، وإستانبول 1298.

- الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، القاهرة
1945- 1948.

- الكشاف، القاهرة.

- المفصل في النحو، نشره broch في christiana لندن 1859، 1879
ونشره حمزة فتح الله بالقاهرة بعد ذلك وأعيد طبعه بالتصوير في بيروت 1972.

الزنجاني، عز الدين:

- تصريف الزنجاني -التصريف العزي- مبادئ التصريف، ط بالقاهرة وإستانبول عدة
طباعات.

الزوزني:

- شرح المعلقات السبع، القاهرة 1952.

(337/1)

السجستاني "أبو حاتم سهل بن محمد"

- الأضداد "في ثلاث كتب" نشره هفner بيروت 1913.

السجستاني "ابن أبي داود":

- كتاب المصاحف نشره جفري geffery القاهرة- ليدن 1937.

السخاوي:

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة 1353- 1355هـ.

سركيس، يوسف إلبان:

- معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة 1928.

سعيد الأفغاني:

- حاضر اللغة العربية في الشام، القاهرة د. ت بيروت 1971 بعنوان من حاضر اللغة العربية.

- نظرات في اللغة عند ابن حزم، بيروت 1969.

السكاكي:

- مفاتيح العلوم، القاهرة 1317، الاستانة 1317.

السكري:

- شرح أشعار الهذليين، مراجعة محمود شاكر، القاهرة د. ت "1960؟".

السمعاني:

- الأنساب، ليدن 1912 وحيدر آباد الهند 1381 هـ وطبع بالتصوير سنة 1968.

سيبويه:

- الكتاب نشره ديرنبور h. derenbourg بعنوان le livre de

sibawaihi في باريس 1881-1889، وترجمه يان jahn إلى الألمانية بعنوان

sibawaihi's buch uber die grammatik ويضم عمل يان المذكور

نشر مقتبسات من شرح السيرافي على سيبويه إلى جانب ترجمة متن "الكتاب" إلى

الألمانية. وطبع ببولاك 1316-1317 في مجلدين وعليه شرح شواهد الكتاب للأغلم

الشنتمري.

(338/1)

وتقاريرات من شرح السيرافي. وصدر منه بتحقيق: عبد السلام هارون بالقاهرة الأجزاء

1، 2، 3.

السيد عبد الهادي إبراهيم:

- أساليب النفي في اللغة العربية، رسالة ماجستير جامعة القاهرة 1941.

السيد يعقوب بكر:

- دراسات في فقه اللغة العربية، بيروت 1969.

- نصوص في فقه اللغة العربية، بيروت 1971.

- نصوص في النحو العربي، بيروت 1971.

السيرافي، أبو سعيد:

- أخبار النحويين البصريين، نشره كرنكو في الجزائر وباريس 1935، ونشره بالقاهرة محمد عبد المنعم خفاجي 1955.
- السيوطي:
- الإِتقان في علوم القرآن، القاهرة 1318. ثم حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1967.
- الأشباه والنظائر، 4 أجزاء، حيدرآباد 1316-1317-1395.
- الاقتراح في أصول النحو دلهي 1312 وحيدرآباد 1359.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة 1964-1965.
- سبب وضع علم العربية، القسطنطينية 1301 ضمن "التحفة البهية".
- شرح شواهد المغني، طبع بتصحيح الشنقيطي، القاهرة 1322هـ.
- الزهر في علوم اللغة وأنواعها، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين القاهرة 1958.
- همع الهوامع، القاهرة 1327.
- شاده A. schaade:
- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا- محاضرات نشرت بصحيفة الجامعة المصرية- السنة الثانية 1931، وهذه المحاضرة ملخص لكتابه الألماني في نفس الموضوع.
- sibawaihi lautlehre, leiden 1911

(339/1)

-
- الشرتوني، سعيد الخوري:
- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد القاهرة د. ت.
- الشريف المرتضى:
- أمالي الشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة 1954.
- شكري فيصل:
- الفتح الإسلامي من حيث تأثيره في الحياة اللغوية والأدبية، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة 1951.
- الصحافة الأدبية، القاهرة.

الشنتمري، الأعلام:

- تسهيل عين الذهب من معادن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، شرح شواهد
سيبويه، طبع بمامش كتاب سيبويه بولاق 1316-1317هـ.

الشنتريني:

- المعيار في أوزان الأشعار، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق 1968.

الشنقيطي:

- الدرر اللوامع على الهوامع، القاهرة 1327هـ.

شوقي ضيف:

- المدارس النحوية، القاهرة د. ت.

صالح الشماع:

- اللغة عند الطفل، القاهرة 1955.

الصبان:

- حاشية الصبان على شرح الأشموني، القاهرة د. ت.

صدر الدين بن أبي الفرج البصري:

- الحماسة البصرية حيدرآباد بالهند 1964.

الصغاني:

- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: عبد العليم

الطحاوي، القاهرة د. ت 1970؟.

(340/1)

صلاح الدين المنجد:

- المنتقى من كتابات المستشرقين ج1، القاهرة 1955.

طاشكيري زاده:

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق: كامل بكري وعبد

الوهاب أبو النور، القاهرة 1969.

الطالقاني:

- رسالة الأمثال البغدادية التي تجري بين العامة، نشرها ماسنيون بالقاهرة 1911.

طاهر سليمان محمد حمودة:

- ظاهرة القياس في دراسة اللغة العربية، رسالة ماجستير - جامعة الإسكندرية 1968. طنطاوي محمد طنطاوي داز:
- ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية، رسالة ماجستير - جامعة الإسكندرية 1969. طوبيا العنيسي:
- تفسير الألفاظ الداخلية في اللغة العربية، القاهرة 1969. عادل أحمد زيدان:
- أبو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة، بغداد 1969. عائشة عبد الرحمن:
- لغتنا والحياة، القاهرة. عباس حسن:
- اللغة والنحو بين القديم والحديث القاهرة د. ت. - النحو الوافي، القاهرة. عباس العقاد:
- اللغة الشاعرة القاهرة 1960. عبد الحليم النجار:
- في اللهجات العربية مجلة كلية الآداب مايو 1953.

(341/1)

-
- عبد الحميد حسن:
 - الألفاظ اللغوية، خصائصها وأنواعها، القاهرة د. ت. عبد الحميد السيد طلب:
 - من لهجات الجزيرة وآدابها بالسودان، رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة 1959. عبد الحميد محمد الشلقاني:
 - الأصمعي الراوية، ماجستير - جامعة الإسكندرية 1962. - رواية اللغة، القاهرة 1972. عبد الحميد يونس:
 - الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، القاهرة 1950. عبد الرحمن أيوب:

- دراسات نقدية في النحو العربي، القاهرة 1957.
- العربية ولهجاتها، القاهرة.
- عبد الرحمن محمد السيد:
- مدرسة البصرة النحوية، القاهرة 1968.
- عبد الصبور شاهين:
- تاريخ القرآن، القاهرة 1967.
- القراءات القرآنية، القاهرة 1967.
- عبد العال سالم مكرم:
- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، القاهرة 1967.
- عبد العزيز الأهواني:
- ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار، القاهرة 1962.
- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، مجلة معهد المخطوطات العربية القاهرة 1957.
- عبد العزيز مطر:
- خصائص اللهجة الكويتية، الكويت 1969.

(342/1)

-
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، القاهرة 1966.
 - لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط، القاهرة 1967.
 - من أسرار اللهجة الكويتية، الكويت 1970.
 - عبد العزيز الميمني:
 - إقليد الخزنة، أو فهرست الكتب التي ذكرها عبد القادر البغدادي في كتابه خزنة الأدب القاهرة 1927.
 - عبد الفتاح إسماعيل شلبي:
 - أبو علي الفارسي، القاهرة.
 - الإمالة في القراءات واللهجات العربية، 1957.
 - عبد الفتاح الصعيدي، وحسن يوسف موسى:
 - الإفصاح في فقه اللغة، القاهرة د. ت.

- عبد الله خورشيد البري:
- القبائل العربية في مصر وأثرها في القرون الثلاثة الأولى للهجرة رسالة ماجستير - جامعة القاهرة 1956.
 - عبد المجيد أحمد عابدين:
 - الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية القاهرة 1956.
 - بين الحبشة والعرب القاهرة د. ت.
 - لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربي وبعده القاهرة د. ت.
 - المدخل إلى دراسة النحو العربي، القاهرة 1951.
 - من أصول اللهجات العربية في السودان، القاهرة 1966.
 - عبد المنعم سيد عبد العال:
 - لهجة شمال المغرب، تطوان وما حولها، القاهرة 1968.
 - عبد المنعم الشافعي:
 - المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات، ترجمة، القاهرة 1967.
 - عبد الرأححي:
 - فقه اللغة في الكتب العربية بيروت 1972.
 - اللهجات العربية في القراءات القرآنية، القاهرة 1968.

(343/1)

-
- منهج ابن جني في كتابه المحتسب - رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية 1963.
 - عبد الوهاب حمودة:
 - القراءات واللهجات العربية، القاهرة 1948.
 - عثمان سعدي:
 - قضية التعريب في الجزائر، القاهرة 1967.
 - العسكري:
 - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: عبد العزيز أحمد القاهرة 1963.
 - المصون في الأدب، تحقيق: عبد السلام هارون، الكويت 1960.
 - العكبري:

- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ط بالقاهرة 1303، 1306، 1321.
- التبيان شرح ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة د. ت. علي بن حمزة:
- التنبيهات على أغاليط الرواة، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، مع كتاب المنقوص والممدود للفراء القاهرة 1967.
- علي الحديدي:
- مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب، القاهرة 1967.
- علي عبد الواحد وافي:
- علم اللغة القاهرة 1941، 1944، 1950، 1957.
- فقه اللغة، القاهرة 1941، 1944، 1950، 1956.
- اللغة والمجتمع، القاهرة 1946.
- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، القاهرة 1947.
- علي العناني وليون محرز ومحمد عطية الأبراشي:
- المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية القاهرة.
- علي النجدي ناصف:
- سيويو إمام النحاة، القاهرة.

(344/1)

-
- العيني:
- المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، طبع في بولاق على هامش خزانة الأدب- بولاق 1299.
 - فؤاد حسنين علي:
 - الدخيل في اللغة العربية، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة 1948.
 - قصصنا الشعبي، القاهرة د. ت.
 - الفارابي:
 - إحصاء العلوم، مدريد 1932، وحققه: عثمان أمين، القاهرة 1948.
 - فاضل صالح السامرائي:

- ابن جني النحوي، رسالة ماجستير - جامعة بغداد 1964.
الفراء:
- الأيام والليالي والشهور، تحقيق: إبراهيم الإياري، القاهرة 1956.
- المذكر والمؤنث، تحقيق: مصطفى الزرقا بيروت حلب 1345هـ.
- معاني القرآن، القاهرة ج1 1955، ج2 1956.
- المنقوص والممدود، تحقيق: عبد العزيز الميمني
الراجكوتي، القاهرة د. ت.
فضل ربه السيد طمان:
- منهج جمال الدين بن هشام في النحو، رسالة ماجستير - جامعة الإسكندرية
1968.
- فك، يوهان:
- العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب - ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة
1951.
- فليش، هنري اليسوعي:
- العربية الفصحى: ترجمة: عبد الصبور شاهين، بيروت 1969.
- فندريس:
- اللغة، ترجمة: محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلي القاهرة 1950.
- الفيروزآبادي:
- القاموس المحيط، القاهرة عدة طبعات.

(345/1)

-
- الفيومي:
- المصباح المنير، مراجعة: مصطفى السقا، القاهرة د. ت.
القالى:
- الأمالي، 4 أجزاء، ط دار الكتب بالقاهرة 1344 / 1926.
- البار، قطعة مصورة نشرت في لندن 1933.
- نوادر القالى "مع ذيل الأمالي" دار الكتب المصرية 1961.
- قدامة بن جعفر:

- نقد الشعر، تحقيق بونيباكر- ليدن 1956.
- جواهر الألفاظ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة.
قطرب:
- الأضداد نشره kofler في 3/4/5 islamica لينج 1932.
- ما خالف فيه الإنسان البهمة نشره جابر SBWR و Geyer R
"التقارير العلمية لأكاديمية فينا" 1888 ص 380 وما بعدها.
القفطي:
- إنباه الرواة عل أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة 1950-
1955، 1972.
- القلقشندي:
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطبعة دار الكتب بالقاهرة 1920 وما بعدها.
- قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان تحقيق: إبراهيم الإبياري القاهرة 1963.
القهندزي:
- مختصر النحو ط لكنو 1262.
- كانتينو، جان:
- دروس في علم أصوات العربية ترجمة: صالح القرمادي، تونس 1966.
- الكسائي:
- لحن العامة، نشره بروكلمان في مجلة،
zeitschrift fur assyriologie XIII 51-46
تحقيق: عبد العزيز الميمني "في ثلاث رسائل" القاهرة 1344هـ.

(346/1)

-
- كمال محمد بشر:
 - دراسات في علم اللغة، القسم الثاني 1969.
 - علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات القاهرة 1970.
 - لويس شيخو اليسوعي:
 - شعراء النصرانية، بيروت 1890.
 - ليتمان، أنو:

- بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، القاهرة، مايو 1948.
- مازن المبارك:
- الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، دمشق 1962.
- المازني:
- انظر: المنصف شرح تصريف المازني تأليف: ابن جني القاهرة 19.
- المبرد:
- الفضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني القاهرة 1956.
- كتاب الكامل نشره Wright في لينزج 1864-1892 ونشره زكي مبارك ثم محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته القاهرة 1956.
- المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، مطبعة دار الكتب بالقاهرة 1970.
- المتقضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة 1963-1968.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة:
- كتاب في أصول اللغة أخرجها وضبطها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد، محمد شوقي أمين 1388/1969.
- محمد بن أبي السرور:
- القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، تحقيق إبراهيم سالم، راجعه إبراهيم الإبياري، القاهرة د. ت.

(347/1)

-
- محمد أحمد أبو الفرج:
- الاستفهام في اللغة العربية على ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، رسالة ماجستير- جامعة الإسكندرية 1953.
- المعاجم العربية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، بيروت 1966.
- مقدمة لدراسات فقه اللغة بيروت 1966.
- محمد أحمد خلف الله:
- أحمد فارس الشدياق القاهرة 1955.

محمد إسماعيل الندوي:

المعاجم العربية في الهند وتاريخها ومناهجها: دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه - جامعة عين شمس 1967.

محمد توفيق:

آثار معين، المجلد الأول، القاهرة 1951.

محمد الحضري:

- حاشية الحضري على ابن عقيل القاهرة 1305هـ.

محمد خلف الله أحمد:

- معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها، القاهرة 1961.

محمد رضا الشبيبي:

- أصول ألفاظ اللهجة العراقية بغداد 1956.

محمد صالح التكريتي:

- الزواج: حياته وآثاره رسالة ماجستير - جامعة بغداد 1967.

محمد عبد العزيز النجار:

- منار السالك إلى أوضح المسالك القاهرة 1957.

محمد عبد المعتصم سيد:

- تاريخ إقليم هرر في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه - جامعة الإسكندرية 1958.

محمد علي القصاص:

- ابن جني وفلسفته اللغوية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة 1939.

(348/1)

محمد مصطفى إبراهيم رضوان:

- ابن فارس اللغوي، القاهرة 1970.

- القاموس المحيط تاريخه وخصائصه ونقده رسالة ماجستير - جامعة القاهرة 1956.

محمد مندور:

- النقد المنهجي عند العرب مع ترجمة كتاب لانسون: منهج البحث في الأدب واللغة

القاهرة 1955.

محمود السعران:

- اللغة والمجتمع، بنغازي 1958.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الإسكندرية - القاهرة 1964.
- محمود مصطفى الدمياطي:
- معجم أسماء النباتات اللغوي، رسالة ماجستير جامعة القاهرة 1966.
- محيي الدين توفيق إبراهيم:
- ابن السكيت اللغوي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة 1966.
- المرزباني:
- معجم الشعراء ط القاهرة 1354.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة 1965.
- نور القبس، المختصر من المقتبس، اختصار الحافظ اليعموري.
- المرزوقي:
- شرح حماسة أبي تمام، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة 1951-1953.
- المرصفي:
- رغبة الآمل من كتاب الكامل للمبرد، 8 أجزاء 1927-1930 بالقاهرة.
- مرمرجي الدومينيكي:
- المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية.

(349/1)

-
- مصطفى جواد:
- المباحث اللغوية في العراق، القاهرة 1955.
 - مصطفى السقا، وآخرون:
 - مختار الشعر الجاهلي، القاهرة د. ت.
 - مصطفى كمال عبد العليم:
 - أوضاع اليهود في مصر في العصر الروماني، رسالة دكتوراه جامعة عين شمس 1960.
 - مصطفى محمد مسعد:
 - الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، القاهرة 1960.

المطرزي:

- المصباح في النحو، ط لكنو 1261 حققه عبد الحميد طلب بالقاهرة د. ت.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي أعده مجموعة من المستشرقين ومحمد فؤاد عبد الباقي بإشراف Wensinck ليدان من 1933.
- المفضل بن سلمة:
- الفاخر، نشره Storey في ليدن 1915، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، القاهرة 1960.

- مختصر المذكر والمؤنث حققه: رمضان عبد التواب، القاهرة 1972.
- المفضل الضبي:

- أمثال العرب، مطبعة الجوائب، إستانبول 1300هـ.
- المقريري:

- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب دراسة في تاريخ العروبة في وادي النيل تحقيق: عبد المجيد عابدين، القاهرة 1961.
- مهدي المخزومي:

- الخليل بن أحمد الفراهيدي، بغداد 1960.
- مدرسة الكوفة، القاهرة.
- الميداني:

- مجمع الأمثال، بولاق 1284 وطبع بالقاهرة 1310هـ.

(350/1)

نشوان الحميري:

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، حققه zettersteen ليدن 1951-1953.

النضر بن شميل:

- تشريح الحروف وقوة العربية، نشر لويس شيخو وهفتر في بيروت 1914.
- نفوسة زكريا سعيد:
- تاريخ الدعوة إلى العامة وأثرها في القرن الأخير في مصر، القاهرة 1964.
- نولدكه تيودور، noldeke, theodor:

- اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب القاهرة 1967.
نيلسون وآخرون:
- التاريخ العربي القديم، ترجمة: فؤاد حسنين علي، القاهرة 1958.
هاشم الطعان:
- تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة، مطبعة الإرشاد- بغداد 1968.
المهروي:
- التلويح شرح النصيح، القاهرة 1258هـ.
ولفنسون، اسرائيل wolfenson, israel:
- تاريخ اللغات السامية، القاهرة 1929.
ياقوت الحموي:
- معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: أحمد فريد رفاعي، القاهرة 1936.
- معجم البلدان، تحقيق: فستنفلد- لينج 1866- 1870.
يحيى الخشاب:
- الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي، القاهرة د. ت.
- يسيرسن، أوتو O jespersen:
- اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة عبد الرحمن أيوب، القاهرة 1954.

(351/1)

ببليوجرافيا مختارة بالكتب الأوروبية في علم اللغة العام واللغات السامية

**Selected Bibliography on General, Semitic and
Arabic Linguistics**

- Aartun, K. Zur Frage altarabischer Tempora. Oslo
1963.
- .Abbott, N. Studies in Arabic Papyri. Chicago 1967
- Abdallah, A.G. An Instrumental Study of the
Intonation of Egyptian

- Colloquial Arabic Ph. D. thesis University of
Chicago 1960
- Abdel-Tawab R. Das Garib al-Musannaf Diss.
Munich 1962
- Aboul-1 etouh, Hilmi M. A. morphological Study
of Egyptian Colloquial
Arabic. The Hague 1969
- The plural Morpheme of Egyptian Arabic Nouns. ,
M.A
thesis, University of Texas 1959
- Abul-Fadl F., Volkstümliche Texte in arabischen
Bauern-dialekten der
ägyptischen Provinz sarqiyya. Diss. Minister 1961
- Afevork, G.J. Grammatica della lingua amarica.
-Roma 1905. Ris
tampa 1965
- Afnan, S.M. A philosophical lexicon in Persian and
Arabic. Beirut 1969
- Aisleitner, J. Untersuchungen zur Grammatik des
Ugaritischen. Berlin 1954
- Wörterbuch der Ugaritischen Sprache. Berlin 1963.
- al-Ani, Salman H. Arabic Phonology. The Hague
1970
- Contrastive linguistics and its "ed" .Alatis, J
Pedagogical implications
Georgetown Univer. Monograph on language and
linguistics. No. 21, 1968
- Albeck, Ch. Einführung in die Mischna. Berlin
1970

-
- Albright, W.F. Archaeology and the religion of
.Israel Baltimore 1968
- .The Bible and the Ancient Near East. London 1961.
- The Chronology of Ancient South Arabia in the ^
Light of the
First Campaign of Excavation in Qataban. BASOR,
.No. 119
.pp. 5–15. 1950
- Al-Toma, S.J. The Problem of diglossia in Arabic.
.Cambridge, Mass
.1969
- Al-Yasin, Izz-al-din. The lexical relations between
.Ugaritic and Arabic
.New York 1952
- Andersen, F.I. The Hebrew verbless clause in the
.Pentateuch. Nashville 1970
- Anis, I. The grammatical characteristics of the
.spoken Arabic of Egypt
.Ph. D. thesis, University of London 1941
- Aasaldi, C. ii Yemen neila sioria e neia Leggenda.
.Roma 1933
- Aquilina, J. Papers in Maltese linguistics. Malta
.1961
- The structure of Maltese: A Study in Mixed ,
Grammar and
Vocabulary. Malta 1959. Arayathinal, T. Aramaic
.grammar. Mannheim 1957–1959

- Aro, J. Die Akkadischen Infinitivkonstruktionen.
Helsinki 1961
Studia Orientalia, 26
Die Vokalisierung des Grundstammes im
semitischen Ver
bum. Helsinki 1964. Studia Orientalia. The Assyrian
dictionary of the Oriental institute of the University
of Chicago. Ed. by M. Civil, I.J. Gelb, ... Chicago
and Göttingen
1968–1956
- Ayoub, A. ER. The verbal piece in the Egyptian
M.A. thesis, "A morphological Study" Language
University of London 1949
- Bach, E. An introduction to transformational
Grammar. New York 1964
- Barr, J. Comparative philology and the text of the
Old Testament
Oxford 1968
- The semantics of biblical Language. London, —
1961
- Barth, J. Die Nominalbildung in den semitischen
Sprachen. Leipzig
Neudruck: 1967 .1894
- Die Pronominalbildung in den semitischen 1
Sprachen. Leipzig
1913

- Sprachwissenschaftliche Untersuchungen zum
 .Semitischen
 .Leipzig 1907. Neudruck: 1971/72
- Bauer, H. and P. Leander. Grammatik des Biblisch—
 .Aramaischen
 .Halle 1927, Neudruck. 1969
- Historische Grammatik der hebräischen Sprache
 des alten
 .Testaments. Halle 1922. Neudruck, 1965
- Kurzgefasste biblisch-aramäische Grammatik.
 .Halle 1929
 .Neudruck: 1965
- Baumstark, A. Die aramäische und syrische
 Literatur Handbuch der Orientalistik, Semitike
 .162–205
- Die christlichen Literaturen des Orients II, Leipzig
 .1911
- .Geschichte der syrischen Literaturen. Bonn 1922.
- Beeston, A.F.L. The Arabic Language today.
 .London 1970
- Epigraphic South Arabian calendars and dating.
 London
 .1956
- Written Arabic. Approach to the basic structures.
 Cambridge
 .bridge 1968
- Ben-Cheneb, M. Mots turcs et persans le parler
 .algerien. Algiers 1922
- Bergsträsser, G. Einführung in die semitischen
 .Sprachen. München 1928. Neudruck: 1963

- Glosser des neuaramaischen Dialekts von Ma'lula. ,
 .Leipzig 1921. Neudruck: 1966
- Bergstrasser , Hebraische Grammatik. Leipzig
 :1918–1929. Neudruck
 .1962
- Running, L.G. Hebraisches Wortregister zur ,
 hebraischen
 .Grammatik von G. Bergstrasser. Hildesheim 1968
- Verneinungs — und Fragepartikel und verwandtes
 .im Kur'an. Leipzig 1914– Neudruck: 1968
- Zum arabischen Dialekt von Damaskus. Hannover ,
 .1924
 .Neudruck: 1968
- Bertsch, A. Kurzgefasste hebraische Sprachlehre.
 .Stuttgart 1968
- Bewer, J.A. The literature of the Old Testament.
 .New York 1962
- Beyer, K. Althebraische Grammatik. Gottingen
 .1969
- Beyerlin, W. Einführung in das Alte Testament.
 .Gottingen 1971
- Biblia Syriaca — The New Testament in Syriac.
 London 1919. Reprint
 .1970

[*\(355/1\)*](#)

A " Bishr, K.MA. Egyptian Newspaper Headings
 .MA. thoden. Berlin 1965 "linguistic Study

- Birkeiand, H. Altarabische Pausalformen. Oslo
.1954
- Growth and Structure of the Egyptian Arabic ,
dialect. Oslo
.1952
- .Stress Patterns in Arabic. Oslo 1954.
- Bishfti, WJ*. Coptic influence on Egyptian Arabic.
Ph. D. thesis, John Hopkins University 1959.,Notes
on the Coptic substratum in Egyptian Arabic.
Journal of the American Oriental Society 1960.
- A " Bishr, K.MA. Egyptian Newspaper Headings
MA. thesis university of London "linguistic Study
1952. Bittner, M. Studien zur laut-und Formanlehre
des Mehri I-V SBWA 162, 5; 168, 2; 172, 5; 174, 4;
176, 1; 178, 2; 178, 3.,Studien zur Shauri-Sprache in
den Bergen von Dofaram Pers. Meerbusen HIV
.SBWA 179, 2; 179, 4; 179, 5; 185, 5
- Vorstudien zur Grammatik und zum , —
Worterbuch der Soq-tori-Sprache Mil SBWA 173,
4; 186, 4; 186, 5. Blachere et M. Gaudefroy-
Dcmombynes. Grammaire de l'arabe clai-sique.
.Paris 1970
- Boris, G. Lexique de parler arabe des marazig. Paris
.1958
- Blanc, H. Communal dialects in Baghdad.
.Cambridge, Mass. 1964
- Blau, J. A grammar of Christian Arabic. Louvain
1966-67.:—,Hebraische Grammatik. Wiesbaden
1971 Porta linguarum
Orientalium.,On pseudo-corrections in some

Semitic Languages. Jerusalem 1970., The Importance of Middle Arabic
 Dialects for the History
 of Arabic, in: Studies in Islamic History and
 Civilization. Jerusalem 1961. Bloch, A. Die
 Hypotaxe im Damaszenisch-Arabischen mit
 vergleichenzur Hypotaxe im Klassisch —
 Arabischen. Wiesbaden 1965. Bloch, Vers und
 Sprache im Altarabischen. Basel 1946. Bloch, B. and
 Trager, G.L. Outline of linguistic analysis.
 .Baltimore 1942
 Bloomfield, L. Language, New York 1933, London
 .1934 ... 1967
 .Bohl, F.M.T. Akkadian chrestomathy. Leiden 1947
 Die Spracheder Amarna-briefe mit besonderer ,
 -Berick

(356/1)

sichtigung der Kanaanismen. Leipzig 1909.
 .Neudruck: 1968
 Leipziger semitische Studien, V, 2. Botterweck, G.
 J. Der Triliterismus im Semitischen. Bonn 1952.
 Bowker, J. The Targums and Rabbinic literature.
 London 1969. Branden, A. van den. Grammaire
 -phenicienne. Beyrouth 1969. Biblio
 teque de l'Universite Saint-Esprit, Kaslikt,
 .2., Histoire de Thamoud. Beyrouth 1966
 Les inscriptions Thamoud6ennes, Louvain ,

1950., Les textes Thamoudeenes de Philby, 2 vol.,
 .Louvain 1956
 Les inscriptions dedanites. Beyrouth 1962. Publ. de
 l'universite libanaise, Section des etudes
 historiques, 8. Brandenstein, W. und M. Mayrhofer.
 .Handbuch des Altpersischen. Wiesbaden 1964
 .Bravmann, M.M. The Arabic relative. Leiden 1968
 Materialien und Untersuchungen zu den
 phonetischen Lehren der Araber. Gottingen 1934
 Notes on the study of the Arabic dialect of Yemen.
 .B., 165–177 "1942" Tabriz
 .al, M. Semantics. New York 1900
 Brockelmann, C. Arabische Grammatik. Leipzig
 1969., Materialien und Untersuchungen zu den
 phonetischen Lehrentistik, Semitistik 207–244., Das
 Aramaische, in Handbuch der Orientalistik,
 Semitistik
 .162–135
 Geschichte der arabischen Litteratur. Leiden 1937–
 .49
 Grundriss der vergleichenden Grammatik der
 semitischen
 .Sprachen. Berlin 1908. Neudruck: 1966
 Lexicon Syriacum. Ed. II. aucta et emendata. Halle
 .1928
 .Neudruck: 1966
 .Semitische Sprachwissenschaft. Berlin 1916
 .Syrische Grammatik b, Leipzig 1951, 1965
 F.N. Finck, J. Leipoldt und E. Littmann.
 Geschichte der

christlichen Literaturen des Orients. Leipzig 1909.

Bronno, E. Studien über hebraische Morphologie
und Vokalismus. Leipzig 1943, Neudruck: 1966.

Brunner, L. Die gemeinsamen Wurzeln des
-semitischen und indogermanischen
Wortschatzes. Bern 1969

(357/1)

Cleveland, R.L. An ancient South Arabian
necropolis. Baltimore 1965. Calice, F. Grundlagen
der ägyptisch-semitischen Wortvergleichung

Kritische Diskussion des bisherigen

Vergleichsmaterials. Hrsg. von

H. Balcz. Wiener Zeitschrift für die Kunde des
Morgenlandes

Beihefte. Wien 1936. Cantineau, J. La dialectologie
arabe, in: Orbis 1955, in: Etudes de
linguistique arabe. Paris 1960

Le dialect arabe de Palmyre. Beyrouth 1934.

Etudes Linguistique Arabe. Paris 1960.

Géographie linguistique des parlers arabes algériens. „

Revue

Africaine 1952

Grammaire du Palmyrénien épigraphique, publ. „

de l'Inst

des Lettres d'Alger, "d'Etude Orient, de la Faculté

IV, Le Caire

.1935

- Inventaire des inscriptions de Palmyre I — VIII, «
Beyrouth
.6–1930**
- Le Nabateen, I: Notions generates, Ecritures, « —
Grammaire
.II Choix de Textes, Lexique. Paris 1930, 1932**
- Nabateen, et Arabe Annates de l'Institut d'Etude «
Or., Alger
.I 1934 15, 77–97**
- The Phonemic System of Damascus Arabic Word «
.1956**
- Carroll, J.B. The Study of Language. Harvard Un.
.Press 1960**
- .Caskel, W. Lihyān und Lihyānisch. Koln 1954**
- Cerulli, E. La letteratura etiopica l'oriente cristiano
nell'unita delle sue
tradizioni. Firenze 1968. Chainé, S. J.M.
Grammaire Ethiopienne, Beyrouth, 2ed. 1938.**
- Cheyne, A.G. The Arabic Language, its role in
history. Minneapolis
.1969**
- Chiera, E. They wrote on clay. Ed. by G.G.
.Cameron. Chicago 1964**
- Chomsky, N. Aspects of the Theory of Syntax.
.Cambridge, Mass. 1965, 1966**
- .Cartesian Linguistics. New York 1966.**
- Current Issues in Linguistic Theory. The Hague « —
.1966**
- .Logical Syntax and Semantics. Lg. 31.36–45.**
- .Syntactic structures. The Hague 1957.**

.Christian, V. Die Herkunft der Sumerer Wien 1961
Die Stellung des Mehri innerhalb der semitischen
Sprachen

(358/1)

SBWA ph.-h.-KX. 222/3, 1944, s. 26. Clarity, B.E.,
K. Stowasser, R.G. Wolfe. A dictionary of Iraqi
Arabic:English – Arabic. Washington 1964. Cohen,
D. Dictionnaire des racines semitiques ou attested,
dans les langues semitiques. Comprennent un fichier
Can-tineau. La Haye 1970., Etudes ." comparatif de
de linguistique semitique et arabe. The Hague
1970. , La prononciation traditionnelle du Gueze
-thiopien clas6"
sique) Journal Asiatique 1912, pp. 217–269. Traits de
.Paris 1936 ."Abyssinie" Langue amharique
.Cohen, M. Les Langues du Monde, Paris 1924
Colin, G.S. Mots berberes dans le dialect arabc de
Besset, Paris 1957., "Malte. Memorial Andre
Quelques «emprunts» de morphemes etrangers
clans les parlers arabes occidentaux. Comptes
rendus, Paris 1947. , Les voyelles de disjonction
dans l'arabe de Grenade au XVc Siecle. Memorial
to H. Basset, Paris 1928, Cooke, G.A. A Text–Book
of North–Semitic Inscriptions. Oxford 1903. Conti
Rossini, K. Chrestomathia Arabica meridionalis
epigraphica editaet glossario instructa. Roma
1931. , Grammatica elementare della lingua

- .etiophia. Roma 1941
- Neudruck: 1967. Copeland, M.A. and Robert CM.
Colloquial Damascene Arabic Dictionary.
Washington 1952. Corpus inscriptionum
semiticarum, Paris IV inscriptiones himjariticas et
sabaeas continens, torn. I II III. Correll, C.
Materialien zur Kenntniss des neuaramaischen
Dialekts von
.Bah'a. Miinchen 1969
- Costaz, L. Dictionnaire syriaque — francais / Syriac
— English dictionary / Qamus suryani-'arabi.
.Beyrouth 1963
- Cowley, A.E, Aramaic Papyri of the Fifth Century,
.Oxford 1923
- Dalman, G.H. Aramaisches–neuhebraisches.
Handwörterbuch zu Tar–gum Talmud und
Midrasch. Gottingen 1938. Neudruck: 1967.,
Grammatik des Jiidisch — Palastinischen
Aramaisch. Leip
.zig 1905 u. 1927. Nachdruck: 1960
- Dammron, A. Grammaire de l'arameen biblique,
.Strasbourg 1962
- Dawkins, C.H. The fundamentals of Amharic.
.Addis Ababa 1969

(359/1)

Dawood, T.H.O.M. The Phonetics of the Il–Karnak
M.A. thesis, University of "Upper Egypt" dialect

- .London 1949
- Degen, R. Altaramaische Grammatik der
 .Inschriften des 10–8 Jh. Wiesbaden 1969
- Delaporte, J. Epigraphes arameens 6tude de textes
 arameens graves ou 6crits sur les tablettes
 .cunelformes. Paris 1912
- des "arabe–français" Denizeau, C. Dictionnaire
 parlers arabes de Syric, Liban et Palestine. Paris
 .1960
- Denz, A. Die Verbalsyntax des neuarabischen
 .Wiesbaden 1971 ."Irak" Dialektes von Kwayris
 I.M. Semito–Hamitic ."D'jakonov" Diakonoff
 Languages. An essay in Classification. Moscow
 .1965
- Diem, W. Das Kitab al–Gim. Diss. Munchen 1968.,
 .Skizzen Jemenitischer Dialekte. Wiesbaden 1972
- Dietrich, A. Phonizische Ortsnamen in Spanien.
 .Leipzig 1936. Neu–druck: 1966
- Dillmann, A. Chrestomathia Aethiopica. Berlin
 .1950. Neudruck: 1967
- Grammatik der athiopische Sprache 2. ,—'—'
 Auflage von Carl
 Bezold, Leipzig 1899. Neudruck: 1959, English
 translation by: James A. Crichton, London
 1907.,Lexicon linguae Aethiopicae cum indice
 Latino. Lipsiae 1865. Neudruck: 1970. Dineen, F. P.
 An Introduction to General linguistics. New York
 .1967
- Kanaanaische und "1" .Donner, H. und W. Rollog
 Kommentar "2" .aramaische Inschrift–ejn

Glossare und Indizes. Weisbaden 1966, 1968, "3"
 .1969
 .Doresse, J. Histoire de l'Ethiopie. Paris 1970
 Doughty, Documents epigraphiques recueillis dans
 le Nord de l'Arabie. 1884
 des noms des tribus & Dozy, R.P.A. Dictionnaire d
 vetements Chez les Arabes. Amsterdam 1845.
 Reimpression 1969., et W.H. Engelmann. Glossaire
 des mots, espagnols et portugais derives de l'arabe.
 Leyde 1889. Reimpression 1965., Supplement aux
 dictionnaires arabes Vol. I, II, Leiden 1881
 Driver, G.R. Semitic Writing, London 1955.,
 Aramaic documents of the 5th. Century B.C.,
 transcribed and
 ed. with translation and notes. Oxford 1954
 .Reprint: 1968

(360/1)

Drower, E.S. The Mandaeans of Iraq and Iran,
 Oxford 1937. Reprint
 and R. Macuch. A mandaic dictionary. .1962
 .London 1963
 Dunand, M. Byblia grammata. Documents et
 developpement de l'ecriture en £recherches sur la d
 phnecie. Beyrouth 1945. Dupont-Sommer A. Les
 .II, Paris 1949 "Aramean, L'Orient ancien illustre
 .Dussaud, R. Les Arabes en Syrie. Paris 1907
 Duval, P.R. La literature syriaque. Paris 1907.

de grammaire "Réimpression 1970., P.R. Traité
 syriaque. Paris 1881. Réimpression 1969. Edel, R.–
 F. Altägyptische Grammatik. 2 Bde. Roma 1955.
 Analecta Orientalia, 34, 39. Eissfeldt, O. Einleitung
 in das alte Testament. Tübingen 1964. Ennassari, A.
 Neuägyptische Grammatik. 2., völlig umgestaltete
 .Aufl.
 Geschrieben von W. Erichsen. Leipzig 1933.
 Neudruck: 1968. , und H. Grapow. Wörterbuch der
 .ägyptischen Sprache
 Erwin, W. M. A basic course in Iraqi Arabic.
 .Washington 1969
 Essen, O.V. Allgemeine und angewandte Phonetik.
 .Berlin 1962
 Euting, J. Tagebuch einer Reise in Inner —
 .Arabien. Leiden 1896–1914
 Ferguson, C.A. The Arabic koine, in: Language 35,
 Contributions to Arabic Linguistics. .ed" .1959
 Cambridge 1964
 and John M.E. Critical bibliography of .".U.S.A"
 spoken arabic Pro
 verb literature. Journal of American Folklore
 1952.~, Digtossia. Word, 15. 325–340, 1959. ,The
 emphatic L in Arabic, Language. 32, 1956. w% Two
 .problems in Arabic phonology. Word 13, 1957
 Firth, J.R. Papers in Linguistics 1934–51 London
 .1951
 .Das Pitcher Lexikon Sprachen. Frankfurt 1961
 Fischer, W. Farb — und formenbezeichnungen in
 der Sprache der alta-rabischen Dichtung.

Wiesbaden 1965., Silbenstruktur und Vokalismus
im Arabischen, in: ZDMG
s. 30–77., Die Sprache der arabischen "1967" 1/117
Sprachinsel in Uzbekistan, in: Der Islam Bd. 36,
.1961, s. 232–263
Grammatik des klassischen Arabisch. , —
.Wiesbaden 1971/72

(361/1)

Fishman, J.A., Ch. A. Ferguson, J.D. Gupta.
Language problems of Developing Nations. New
.York 1964
Fleisch, H. L'arabe classique. Beyrouth 1968. ,
Introduction a l'etude des langues semitiques.
Elements de
de philologie "bibliographie. Paris 1947. , Traite
.arabe. Beyrouth 1961
Fleischer, H.L. Kleinere Schriften 3 Bände. Leipzig
.1885–1888
The structure of ".Hrsg" .Fodor, J. A. und Katz, J.J
Language. Readings in the Philosophy of Language,
.Engewood Cliffs 1964
, .Fohrer, G. Das Alte Testament. Gutersloh. 1969
Hebraisches und aramaisches Worterbuch ".Hrsg"
zum
Alten Testament. Berlin 1971. , Introduction to the
.Old Testament. London 1969
Fonahn, A. Arabic and Latin anatomical

terminology chiefly from the middle ages.
 Kristiania 1922. Fontinoy, C. Le duel dans les
 langues semitiques. Paris 1969. Foucauld, C. de
 Dictionnaire abrege touareg–français de noms
 Paris 1940. Fraenkel, "dialecte de l'Ahaggar" propres
 S. Die aramaischen Fremdwörter im Arabischen.
 Leiden 1886. Neudruck: 1962. Frankfurt, H.
 Archeology and the Sumerian problem. Chicago
 1932. Frensdorff, S. Die Massora Magna. Hannover
 1876. Reprint: 1968. Freytag, G.W. Lexicon Arabico
 -- Latinum ex opere suo maiore excerptum.
 Halis Sax. 1837
 Friedländer, J. Der Sprachgebrauch des
 Maimonides, Frankfurt/M 1902
 Friedrich, J. und Rolig. Phonizisch — punische
 Grammatik. 2. erweit. Aufl. Rom 1970
 Fritsch C.T. The Qumran Community, its history
 and scrolls. New York 1956
 Flick, J. Arabiya, Untersuchungen zur arabischen
 Sprach – und Stil–geschichte. Leipzig 1950
 Geschichte der semitischen „Français, Paris 1955"
 –Sprachwissenschaft, in: Hand
 buch, ed. B. Spuler., Die arabischen Studien in
 Europa bis den Anfang des 20
 Jahrhunderts. Leipzig 1955

- .Fugmagaili, G. Bibliografia etiopica, Milano 1893
- Gairdner, W.H.T. The Phonetics of Arabic, Oxford University Press 1925. Gall, F.V. Der hebraische Pantateuch der Samaritaner. Berlin 1914–18. Neudruck: 1965. Gamal-Eldin, Saad M. Morphophonemics of colloquial Egyptian Arabic. M.A. thesis, University of Texas 1959. , A syntactic study of Egyptian colloquial Arabic. The Hague 1967–Carbell, I. The Tewish Neo–Aramaic dialect of persian Azerbaijan. The Hague 1965. Gardiner, A. Egyptian Grammar. 3rd. ed., revised. London 1969. Gauthier, H. Dictionnaire des noms geographiques contenus dans les textes hieroglyphiques. 7 tomes. Le Caire 1925–1931., La grande inscription dedicatoire d'Abydos. Le Caire 1912., L'Islamisation de l'Afrique du Nord. Paris 1927
- .Gelb, I.J. A Study of Writting. Chicago 1952
- Germanus, A.K. Linguistic Foundation of the Arabic speaking peoples. Islamic Review 38, March, 1905. Gesenius, W. Geschichte der hebräischen Sprache und Schrift. Leipzig Neudruck: 1971., Hebraisches und aramaisches Handwörterbuch über das Alte Testament. Berlin 1915. Neudruck: 1962., Hebraische Grammatik. Leipzig 1909. Neudruck .1962
- Ghaly, M.M. Substantive Morphology of Colloquial Egyptian Arabic. Ph.D. thesis University of Michigan 1960. Gibson, J.C.L. Textbook of Syrian

Semitic inscriptions. Vol. 1: Hebrew and Moabite inscriptions. Oxford 1971. Giglioli, P. P. Language
 Heidel, A. .1972 "Penguin Books" and social context
 The Gilgamesh epic and Old Testament Parallels.
 Chicago and London 6th. impr. 1967. Das
 Gilgamesh-Epos. Neu iibers. und mit
 Anmerkungen versehen von
 A. Schott. Durchgesehen und erganzt von W. von
 Soden. Stuttgart 1970. Gieason, H. A. An
 Introduction to Descriptive linguistics. New York
 .1955,1961

(363/1)

Bibliography of Modern Hebrew . "ed" .Goell, Y
 literature in English translation. Jerusalem 1968.
 Goldschmidt L.Der babylonische Talmud. Berlin
 Goldziher, I. Abhandlungen . "Bande 12" 1929–1936
 zur arabischen Philologie. Leiden 189.6–99.
 Neudruck 1971/72. Gordon C.H., Ugaritic manual.
 3 vols. Roma 1955. Analecta Orientalia,
 35. ,Ugaritic textbook. Rome 1965 ... Analecta
 .Orientalia, 38
 Goshen-Gottstein, M.H. A Syriac-English glossary
 with etymological notes. Wiesbaden 1970. , and
 .language in Bible and Qumran, Jerusalem 1960
 Graf, G. Der Sprachgebrauch der altesten
 christlich-arabischen Litera- tur, Leipzig 1905.
 Gray L.H. Introduction to Semitic comparative

linguistics. New York 1934. Reprint: 1971. Grlbaut,
 S. Supplement au lexion lingua aethiopicae de A.
 Dillmann
 et Edition d ulexique de J. d'Urbain «1850– "1865"
 1855» . Paris 1952. Greenberg, J. Languages Africa.
 .Indiana University 1966
 The Patterning of Root morphemes in Semitic. .
 ʿWord 6, 1950
 Universals of Language. 2nd. edition. ."ed", —
 Cambridge Mass. 1963. Greve M. de. Linguistique
 .et Enseignement des langues etrangeres
 .1970
 Grimtne, Texte und Untersuchungen zur
 .Safatenisch–arabischen Religion, Paderborn 1929
 Grohmann, A. Arabische Palaographie. Wien 1967,
 1971.,Arabien. Miinchen 1963. ,Chrestomathie zur
 .arabischen Papyruskunde. Leiden 1972
 Gupta, J.D. anguage Conflict and national
 .development. University of California press 1970
 Haase, R. Einfuhrung in das Studium
 Keilschriftlicher Rechtsquellen. Wiesbaden 1965. –
 ,Die Keilschriftlichen Rechtssammlungen in
 –deutscher Ueber
 .setzung. Wiesbaden 1963

(364/1)

Haikin, A.S. 201 Hebrew verbs fully conjugated in
 all the tenses, Alphabetically arranged. Woodbury

.1970

- Halle, Z.S. Simultaneous Components in
.Phonology. Language 20, 1944
.The Sound Pattern of English, London 1968.
- Hamp, E.P. A glossary of American technical
Linguistic usage 1925–1950, Utrecht 1958, 1963., The
personal morphemes of classical Arabic. Studies in
lin
.guistics 14, 1959
- Hamzaoui, R. L'academie arabe de Damas et le
probleme de la modernisation la langue arabe.
.Leiden 1965
- Handbuch der Orientalistik. Neudruck: Leiden
."ed. Spuler" .1964
- Hanna, H.M. The phrase structure of Egyptian
colloquial Arabic. The Hague 1967
- Harden, J.M. An Introduction to Ethiopic Christian
.Literature, London 1926
- .Harder, E. Arabische Sprachlehre. Heidelberg 1968
- Harding, G. Lancaster. Some Thamudic
Inscriptions from the Hashimite Kingdom of the
.Jordan. Leiden 1952
- Harrell, R. The Phonology of colloquial Egyptian
Arabic, Washington
A dictionary of Moroccan Arabic. ."ed" .D.C. 1957
.Arabic–English
Compiled by T. Fox and M. Abu–Talib.
.Washington 1966
- A Short reference grammar of Moroccan ."ed"
.Arabic

Washington 1962. Harris, Z. S. Development of the
 .Canaanite dialects. New Haven 1939
 Reprint: 1967., The phonemes of Moroccan Arabic.
 Journal of American
 .Oriental Society 1942
 Methods in Structural Linguistics. Chicago 1951. ,
 new title
 .Structural Linguistics 1966
 Harrison, R. K. Introduction to the Old Testament.
 .Whoston 1970
 Haywood, J. A. Arabic lexicography. 2nd. ed.
 .Leiden 1965
 Hebraeus= Bar Hebraeus. Oeuvres grammaticales
 d'Aboul Faradj dit
 Martin Paris "Bar Hebraeus, 6ditees par M. l'abbe
 .1872
 Le livre Splendeurs, la grande grammaire de : —
 Gregoire
 .Barhebraeus, par A. Moberg. Lund 1922

(365/1)

Hegazi, Mahmoud F. Abou Sa'id As-Sirafi der
 Sibawaihi-Kommentator als Grammatiker. Diss.
 .Miinchen 1965. ged. 1971
 und Schregle G Deutsch-Arabisches Wörterbuch, ,
 -Lieferun
 .gen 3-7, Wiesbaden 1966-1969
 Heidel, A. The Babylonian Genesis. Chicago and

- .London 1963
- The system of the quadriliteral verb in Akkadian. ,
Chicago
.1940
- Heim, W. Mehri – und Hadrami – Texte.
Suadabische Expedition. Kai–serliche Akademie
.der Wissenschaften, Wien 1909
- Helmy–Hassan, S.E. Verb Morphology of Egyptian
colloquial Arabic, Cairene dialect. Ph. D. thesis,
.University of Michigan 1960
- Hetzron, R. The verbal system of Southern Agaw.
.Berkeley 1969
- Hirschfeld, H. Literary history of Hebrew
.grammarians and lexicographers. London 1926
- Hjelmselv, L. Prologomena to a theory of language.
.2nd. ed. Madison, Wisconsin 1961
- Hockett, C.F, A course in Modern Linguistics. New
.York 1958, 1967
- Hoftijzer, Ch.— F. Jean—J. Dictionnaire des
.inscriptions sSmitiques de l'ouest, Leiden 1965
- Porta Ling. " flofner, M. Altsiidarabische Grammatik
Orient. XXIV
. "Leipzig– Wiesbaden 1943
- Magische Zeichen aus Siidarabien, Archiv fiir ,
–Orientforsch
.ung XVI; 2, S. 271 ff
- Stand und Aufgaben der Sudarabischen ,
–Forschung; in: Beit
rage zur Arabistik; Semitistik und
–Islamwissenschaft. herausgege

.ben von Richard Hartmann 1944
 Das Sudarabische der Inschriften und der lebenden ,
 Mun
 darten Handbuch der Orientalistik, Semitistik 314–
 340. Honeyman, A.M. The etter–Order of the
 Semitic Alphabets in Africa
 and the Near East, Africa; Vol. XXII No. 2 April
 ,1952
 pp. 136–147. Hurwitz; S.T. Halevy. Root
 determinatives in Semitic speech. New York
 Language in ."ed" .Reprint 1966. Hymes, D.1913
 culture and society. New York 1964. Jakobovits,
 L.M. Readings in the Psychology of Language,
 Englewood
 .Cliffs 1967

(366/1)

Hjrđ, f. Das Arabische und Hebraische in der
 .Anatomic Wien 1879
 Neudruck: 1966. Jakobson, R. Mufaxxama: The
 emphatic phonemes in Arabic. The
 .Hague 1957
 u. Halle, M. Fundamentals of language. The ,
 .Hague 1956
 Fant, Gunnar.C, Halle, Morris. Preliminaries to ,
 .speech
 Analysis. Cambridge, Mass. 1951, 1967. J amine, A.
 Classification descriptive g6n6rale des Inscriptions

.sud-arab
 .Tunis 1948
 Louvain –islamique&Le pantheon sud-arabe pr
 .1947
 Pieces epigraphique de Heid b. 'Aqil, la necropole
 de
 .Timna', Louvain 1952
 ."Mfirib" Sabaen inscriptions from Mahram Bilqis
 Baltimore
 fastrow, M. A dictionary of the Targumim. .1962
 New York 1926. Jastrow, O. Laut und Formenlehre
 des neuaramaischen Dialekts von
 & Midin im Tur 'Abdin. Bamberg 1970. Jaussen
 Savignac. Mission archeologique en Arabic 1909–
 1914. feffery, A. Foreign Vocabulary of the Quran.
 Baroda 1938. Jennings, W. Lexicon to the Syriac
 Reprinted: Oxford 1962. ."Peshitta" New Testament
 Jirku, A. Geschichte des Volkes Israel. Leipzig 1931.
 Joos, M. Readings in Linguistics. New York 1968.
 Jones, D. The phoneme. Its Nature and use.
 Cambridge 1950. Johnstone, T.M. The affrication of
 kaf and gaf in the Arabic dialects
 of the arabian Peninsula. Journal of Semitic studies
 .8, 1963
 .Eastern Arabian dialect studies. London 1967
 longeling, B.A. A classified bibliography of the
 finds in the desert of
 .Judah 1958–1969. Leiden 1971
 .Kahle, P.E. Die Kairoer Genisa. Berlin 1962
 Der masoretische Text des Alten Testaments nach

–der t) ber
 lieferung der Babylonischen Juden. Leipzig 1902.
 Neudruck: 1966
 Masoreten des Ostens. Leipzig 1913. Neudruck: 1966
 Masoreten des Westens. Stuttgart 1927–1930. 1966
 .Neudruck:1967
 Kamel, N. Political Jargon in Contemporary Egypt.
 .Ph. D. thesis, University of London 1953

(367/1)

Kamil, Mtirad. Beitrage zur Entstehung der
 vierradikaligen Verben in
 den gesprochenen semitischen Sprachen. Le Caire
 1963. Kampffmeyer, G. Materialien zum Studium der
 arabischen Beduinendia
 lekte Innerafrikas. Mitteilungen des seminars fur
 orientalische
 Sprachen 1899. Katz, J. u. Postal, P, An Integrated
 .Theory of linguistic Descriptions
 .Cambridges, Mass. 1964
 .The Philosophy of Language. New York 1966,
 u. Fodor, J.A. The structure of a Semantic Theory, 1966
 :in
 Language 39, 1963, 170–210. Kaufhold, H. Syrische
 .Texte zum islamischen Recht. Munchen 1971
 Kent, R.G. Old Persian. 2nd. ed. revised. Reprint:
 .New Haven 1961

Kenyon, K.M. Amorites and Canaanites. London
.1966

Koeler, L. und W. Baumgartner. Hebraisches und
aramaisches Lexikon zum Alten Testament. Leiden
.1967

Kofler, H. Reste altarabischer Dialekte, in: WZKM
47, 1940, s. 60–130; 48; 1941, s. 52–88, 274–274, 49,
.1943; s. 15–30, 234–256

Kohn, S. Zur Sprache, Literatur und Dogmatik der
.Sumaritaner. Leipzig 1876. Neudruck:1965

Konig, F. Hebraisches und aramaisches Wörterbuch
zum Alten Testament. Leipzig 1936. Neudruck:
.1969

Koutsoundas, A. Writting transformational
.Grammar. New York 1966

Knudtzon, J.A. Die El-Amarna-Tafeln. Mit
Einleitung und Erläuterungen. hrsg. 2 Bände.
.Leipzig 1915. Neudruck: 1964

Kraemer, Gatje, Spitaler und Ullmann. Wörterbuch
der Klassischen arabischen Sprache. Wiesbaden
.1970 "1957"

Kramer, S.N. The Sumerians. Their history,
.culture, and character. 4th. impr. Chicago 1970
Sumerian mythology. Study of spiritual and
literary achievement in the third millennium B.C. Revised New
.York 1961

Kraus, H.J. Geschichte der historischkritischen
Erforschung des Alten Testaments, Neukirchen
.1969

Krauss, S. Griechische und Lateinische Lehrwörter
in Talmud, Berlin 1898–99
Kuhn, K.G. Konkordanz zu den Qumrantexten.
Gottingen 1960
Rucklaufiges hebraisches Wörterbuch. Gottingen :
1958

(368/1)

Kuhr, E. Die Ausdrucksmittel der
Konjunktionslosen Hyptaxe in der ältesten
hebraischen Prosa. Leipzig 1929. Neudruck: 1968
Kunitzsch, P. Arabische Sternnamen in Europa.
Wiesbaden 1959
Untersuchungen zur Sternnomenklatur der
Araber. Wiesba
den 1961
Ladefoged P. Elements of Acoustic Phonetics.
London 1962
"1966" Lado R. Language Teaching, New York
Lapp, P.W. Biblical archaeology and history. New
York 1969
Lagarde, P. de. Übersicht über die im Aramaischen,
Arabischen und Hebraischen ursprüngliche Bildung
der Nomina. Gottingen 1889 Neudruck: 1970
Landau, J.M. Word count of Modern Arabic prose.
New York 1959
Lankester, G. Some Thamudic inscriptions from
the Hashimite Kingdom of Jordan. Leiden 1952

- Landberg, C. de. Glossaire dathinois. Vol. I. alif–
 .dhal. 1920, Zai–kaf. Leiden 1942
- Etudes sur les dialects de l'Arabie meridionale. «
 .Leide 1901
- Langue des Bedouins Anzeh, Leide 1919, Glossaire «
 publ. par
 .K.U. Zettersteen, Uppsala 1940
- Leander, P. Laut–und Formenlehre des agyptisch —
 Aramaischen Gote–borgs Hogskolas Arsskrift
 .XXXIV 1928. Neudruck: 1966
- Lecerf, J. La Litterature arabe moderne et
 L'enseignement de la Langue en Syrie. Revue
 .Africaine 72, 1931
- L'arabe contemporain comme Language de «
 civilisation. Re
 .vue Africain 74, 1933
- Esquisse d'une problematique de l'arabe actuel. «
 L'Afrique
 et l'Asie 26 1954. Lehmann W.P. Historical
 Linguistics. New York 1962
- Lehn, W Emphasis in Cairo Arabic. Language 39,
 .1963
- and William R. Slager. A contrastive Study of «
 Egyptian Ara
 bic and American English. The Segmental
 Phonemes, in: Lan
 .guage Learning 9/25–33
- Leslau, W. Amharic context dictionary. Wiesbaden
 .1971/72
- W. Amharic conversation book. Wiesbaden «

.1971/72
Amharic textbook. Wiesbaden 1968
Bibliography of the Semitic languages of Ethiopia,
New York 1946

(369/1)

English – Amharic dictionary. Wiesbaden Ca.
.1971/72
Ethiopian argots. The Hague 1964
Hebrew Cognates in Amharic. Wiesbaden 1969
English – Amharic context dictionary. Wiesbaden
.ca. 1971/72
Lexique Soqtori, Paris 1938
Modern South Arabic Languages, A Bibliography.
New York 1946
Levias, G. A Grammar of the Aramaic idiom
contained in the Babylonian Talmud. Cincinnati
.1900, Reprint: 1971
Levy, J. Chaldaisches Worterbuch über die Targum
und einem grossen Theil des rabbinischen
Schriftthums. Neudruck: Darmstadt 1966
Lindner, G. Einführung in die experimentelle
Phonetik. Munchen 1969
Linguistica semitica: presente e future Studi di H.
Cazelles, E. Cerulli, G. Garbini, W. von Soden, A.
Spitaler, E. Ullendorff. Raccolta da G. Levi della
Vida. Studi Semitici, Roma 1961
Littmann E. Die Aiamharischen Kaiserlieder.

.Strassburg 1914
 .Deutsche Aksum-Expedition. Berlin 1913, 4 Bde
 Ge'ez Studien. Nachrichten von der K.
 Gesellschaft der
 Wissenschaften zu Gottingen, Philologisch-
 historische Klasse 1917, s. 627-702; 1918, s. 318-339
 Geschichte der athiopischen Literatur. Leipzig
 .1907
 Morgenlandische Worter im Deutschen.
 .Tubingen 1924
 Safaitic Inscriptions in: Publications of the
 Brinceton Uni
 .versity Division IV Section C: Syria
 .Thamud und Safa. Leipzig 1940
 Zur Entzifferung der Safa — Inschriften. Leipzig
 .1901
 Zur Entzifferung der Thamudischen Inschriften
 MVAG
 Lyons, J. Introduction to Theoretical .1904
 .linguistics. Cambridge 1968
 .Structural Semantics. Oxford 1970
 Macuch, R. Grammatik des samaritanischen
 .Hebraisch. Berlin 1969
 Handbook of classical and modern mandaic.
 .Berlin 1965
 Malaika, N. Grundziige der Grammatik des
 arabischen Dialektes von
 Malick; A.P. ."Wiesbaden 1963" Bagdad. Karri 1959
 A comparative study of american English and Iraqi

Arabic

.Consonant clusters, language learning 7, 1956/57

(370/1)

-
- Malinowski, B. The problem of Meaning in
Primitive languages, in: C.K. Ogden and LA.
Richards, The meaning of meaning. London 1923
- Marcais, P. L'articulation de l'emphase dans un
bin parler arabe mghr
Annales, University of Algiers, 1948
- Nord Constantinois " le parler arabe de Diidielli ,
."AlgSrie
Paris 1957. Marcais, W. le dialecte arabe parl6 a
Tlemcen. Paris 1902
- r, la diglossie arabe. E'Enseignement public 97,
.1930
- La langue arabe dans l'Afrique du Nord. , ?
L'Eenseignement
public 105, 1931
- Les parlers arabes du Fezzan. Travaux. Institute du ,
Re-cherches Sahariennes 1945. Margolis, M.L.
- Lehrbuch der aramaischen Sprache des
babyionischen
Talmuds. Marouzeau, Lexique de la terminologie
Linguistique. Paris 1943. Martinet, A. Elements de
.linguistique generate. Paris 1960
- .Phonology as Functional Phonetics. London 1949 ,
Massignon, L. Elements arabes et foyers

d'arabization: leur role dans
le monde musulman actuel. RMM 57, 1924.
Mattsson, E. Etudes phonologiques sur le dialecte
arabe vulgaire de
Beyrouth. Uppsala 1910. Meillet, A. La m6thode
comparative en linguistique historique. Oslo
The comparative method in historical .1925
."trans" linguistics
Paris 1966. Mercer, S.A.B. Ethiopic grammar with
.chrestomathy and glossary
Oxford 1920. Reprint: 1961. Mercior, L. Influence
des Langues berbere et espagnole sur1 le dialecte
arabe. Madrid 1966. Merx, A. Historia artis
-grammatica apud Syros. Leipzig 1889. Neud
ruck: 1966. Meyer, R. Hebraische Grammatik, I, II.
.Berlin 1966
Der Papyrusfund von Elephantine, ."Ed" ,Meyer
Leipzig 1912. Mitchell, T.F. The active Participle in
.an Arabic dialect of Cyrenaica
.Bulletin of the School of Or. and Afr. studies 1952
Prominence and syllabication in Arabic. , —
Bulletin of the
school of Or. and African studies 1960

(371/1)

Mittwoch, E. Die traditionelle Aussprache des
Aethiopischen. Berlin
und Leipzig 1926. Moller, H. Semitsch und

Indogermanisch. Neudruck: 2/73. Moller, H.
 Vergleichendes indogermanischsemitisches
 .Worterbuch
 .Gottingen 1970 "Neudruck der Ausleg. 1911"
 Monteil, V. L'Arabe Moderne. Paris 1960.
 Montgomery, J.A. Arabia and the Bible. Philadelphia
 .1934
 The Samaritans. The earliest Jewish sect, their
 history, theo
 .logy and literature New York 1968
 Nordtmann, J.H. und E. Mittwoch Altsudarabische
 Inschriften. Rome
 .1933
 .f Sabaische Inschriften. Hamburg 1931
 Morris, Ch. W. Foundations of the theory of signs.
 .Chicago 1938
 An introduction .ed" .Neudruck: 1964. Moscati, S
 to the comparative grammar of the
 .Semitic languages. Wiesbaden 1969
 Histoire et civilisation des peuples semitiques. .
 .Paris 1955
 .ie Phoniker. Zurich 1966 .
 Munzel, K. er Gebrauch des Genitivexponenten im
 arabischen Dialekt
 von Agypten. Diss. Erlangen 1949, Murtoncn, A.
 .Broken Plurals. Leiden 1964
 .arly Semitic. Leiden 1967 .
 Nasser, Fathi Emprunts lexicologiques du francais a
 l'arabe des origines
 jusqu'a la fin du XIXe S. Beyrouth 1966. Neusner,] .

The formation of Babylonian Talmud. Leiden 1970.

.Nida, E.A. Morphology. Mich. 1946, 1967

Nielson, D.F. Hommel und N. Rhodokanakis

–Handbuch der altara

.bischen Altertumskunde. Kopenhagen 1927

Ras Samra Mythologie und biblische Theologie. ,

Leipzig

.eudruck 1966 .1936

Noldeke, Th. Beitrage zur semitischen

.sprachwissenschaft. Strassburg 1904, 1910

Kurzgefasse syrische Grammatik. Leipzig 1880, ,

1898. Neud

.ruck 1966

Lehnwörter in und aus dem Athiopischen, in: ,

Neue Beiträge

ur semitischen Sprachwissenschaft. Strassburg 1910,

.s. 31–66

andaische Grammatik. Halle 1872. Neudruck: ,

.1964

Mittwoch, E. Die traditionelle Aussprache des

Aethiopischen. Berlin

und Leipzig 1926. Moller, H. Semitsch und

Indogermanisch. Neudruck: 1972/73. Moller, H.

Vergleichendes indogermanischsemitisches

.Wörterbuch

.Gottingen 1970 "Neudruck der Ausleg. 1911"

.Monteil, V. L'Arabe Moderne. Paris 1960

Montgomery, J.A. Arabia and the Bible.

.Philadelphia 1934

The Samaritans. The earliest Jewish sect, their ,

history, theology and literature New York 1968
 Nordtmann, J.H. und E. Mittwoch Altsudarabische
 .Inschriften. Rome 1933
 .f Sabaische Inschriften. Hamburg 1931
 Morris, Ch. W. Foundations of the theory of signs.
 .Chicago 1938
 An introduction .ed" .Neudruck: 1964. Moscati, S
 to the comparative grammar of the
 .Semitic languages. Wiesbaden 1969
 Histoire et civilisation des peuples semitiques. ,
 Paris 1955
 .Die Phoniker. Zurich 1966 ,
 Munzel, K. Der Gebrauch des Genitivexponenten
 im arabischen Dialekt
 von Agypten. Diss. Erlangen 1949, Murtoncn, A.
 .Broken Plurals. Leiden 1964
 .Early Semitic. Leiden 1967,
 Nasser, Fathi Emprunts lexicologiques du francais a
 l'arabe des origines
 jusqu'a la fin du XIXe S. Beyrouth 1966. Neusner, J .
 The formation of Babylonian Talmud. Leiden 1970.
 .Nida, E.A. Morphology. Mich. 1946, 1967
 Nielson, D.F. Hommel und N. Rhodokanakis
 Handbuch der altara- bischen Altertumskunde.
 .Kopenhagen 1927
 Ras Samra Mythologie und biblische Theologie.
 .Leipzig 1936. Neudruck 1966
 Noldeke, Th. Beitrage zur semitischen
 .sprachwissenschaft. Strassburg 1904, 1910

Kurzgefasse syrische Grammatik. Leipzig 1880, 1898. Neudruck 1966
 Lehnwörter in und aus dem Athiopischen, in: Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft. Strassburg 1910, s. 31–66
 Mndaische Grammatik. Halle 1872. Neudruck: 1964

(372/1)

Zur Grammatik des classischen Arabisch. Wien 1896
 Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft. Strassburg 1910
 Überlieferungsgeschichte des Pentateuch. — Stuttgart 1966
 Die Welt des Alten Testaments. Berlin 1940
 O'Leary, De lacy: Comparative grammar of the Semitic Languages. London 1923 Reprint: 1969.
 Omar, M.K. The acquisition of Egyptian Arabic as a native language The Hague 1972. Ostroya — Doma, S. Notes préliminaires à l'étude des parlers arabes de l'arrondissement de Phillippeville. Revue Africaine 1938. Oxtoby, W.G. Some inscriptions of the Safaitic bedouin. New Haven Paul, H. Prinzipien der Sprachgeschichte. 1968 1886 — Tübingen 1960. Pei, M. Glossary of

res, H. *Linguistic Terminology*. New York 1966. P
 ien et Saharien: bibliographic <L'arabe dialectal alge
 –analy
 .tique avec un index m[^]thodique. Algiers 1957
 L'arabe dialectal en Espagne musulmane aux Xe et
 Xle
 siecles de notre ere 3. Melanges 1950. Petracek, K.
 Zum arabischen Dialekt von Agypten: Zum
 Koptischen
 Einfluss im Arabischen. Archiv Orientalni 1956.
 Phillips, W. Qataban and Sheba. London 1955.
 Piamenta, M. Studies in the Syntax of Palestinian
 Arabic. Jerusalem
 .Pike, K.L. Phonemics. Ann Arbor 1947 .1966
 .Phonetics. Ann Arbor 1943
 Language in Relation to a unified Theory of
 .Human Behaviour. The Hague 1967
 Potter, S. Language in the modern world. Pelican
 .Books A 470, 1968
 Praetorius, F. Die amharische Sprache. Halle 1878–
 .79. Neudruck: 1970
 Athiopische Grammatik mit Paradigmen,
 Literatur, Chrestomathie und Glossar, Karlsruhe
 .und Leipzig 1886. Neudruck: 1955
 The principles of the International phonetic
 .Association. London 1949, ... 1968
 .Rabin, C. Ancient West-Arabian. London 1951
 The Beginning of classical Arabic. Studia Islamica
 .4, 1955

-
- Rockendorf, H. Arabische Syntax. Heidelberg 1921
Die syntaktischen Verhältnisse des Arabischen. I
Leiden
Reinhardt, C. Ein Arabischer Dialekt .1896–1895
gesprochen in Oman und Zanzibar
Berlin 1894
- Repertoire d'Épigraphie sémitique, tome V, VI, VII
1928. Rescher, O. Eine lexikographische Liste zum
Mitteilungen "Südaraber" Dialekt der Brakma
des Seminars für Orientalische Sprachen. 1918
Rhodokanakis, N. Studien zur Lexikographie und
Grammatik des Südarabischen I SBWA Ph.–h.
Kl. 178/4. Wien 1915 – 17
- Der vulgararabische Dialekt in Dofar. Vienna 1908, 1911
- Rice, F.A. Study of the Role of Second Languages.
Washington D. C.
- Robins, R.H. Ancient and Medieval
Grammatical Theory in Europe
London 1951
A Short History of Linguistics. London 1967
- Robinson, T.H. Paradigms and Exercises in Syriac
Grammar. London
- Rosenthal, Fr. Die aramäische Forschung seit 1962
–Th. Noldekes Veröffentlichungen. Leiden 1929
Die Sprache der Palmyrenischen Inschriften und

ihre stet
 .lung innerhalb des Aramaischen. Leipzig 1936
 ;Studia Semitica. London 1970 ."ed" ,
 Roth-Laly, A. Lexique des parlers arabes
 tchadosudanais. Paris 1971. Rothstein, G. Die
 -Dynastie der lahmiden in al-Hira-Versuch zur ara
 bisch-persischen Geschichte zur zeit der Sasaniden.
 .Berlin 1899
 .Neudruck: 1968
 .Rowley, H.H. The aramaic of the Old Testament
 London 1929. Rundgren, F. Das althebraische
 .Verbum. Stockholm 1961
 .Das altsyrische Verbalsystem. Uppsala 1960 ,
 Rupp, A. Arbeitscheft fiir den Hebraischunterricht.
 Darmstadt 1971. Ruwet, N. Introduction a la
 grammaire generative. Paris 1967, 1968. Ryckmans,
 J. Inscriptions historiques sabeennes de l'Arabie
 centrale, le
 .Museum LXVI 1953, p. 319 etc
 .Inscriptions Saracenicae I. Paris 1952 ,

(374/1)

Inscriptions sud-arabes Xe serie, Le Museum LXVI ,
 ,1953
 .p. 267 etc
 L'institution monarchique en Arabie meridionale ,
 avant
 .l'Islam, Louvain 1951

Paganisme de l'Arabie du sud preislamique.
 .Louvain 1972
 Les religions arabes preislamique, in: L'histoire
 generate
 des religions, p. 307 etc. Saggs, H.W.F. Assyriology
 and the study of the Old Testament. An
 inaugural lecture delivered at university college,
 Cardiff, 1968
 samarin, w. field linguistics. New york 1967
 Saporta, S. Psycho-linguistics, Holt, Reinhart,
 .Winston 1966
 I Saranw, W. Die altarabische Dialektspaltung ZA
 .XXI 1908, 31–48
 Cher Akzeni und Silbenbildung in den alteren _
 semitischen
 Sprachen. Kobenhavn 1939. Sasse, H.f. Linguistische
 Analyse des arabischen Dialekts der Mhallamlye
 "MCMchen" "Siidosttiirkei" in der Provinz Mardin
 Saussey, E. Les mots turcs dans le dialecte .1971
 arabe de Damas. in: Melange de l'Institut Francais
 de Damas I, 1929, pp. 75–129. Saussure, F. de cours
 .de linguistique Generate. 2nd. ed. Paris 1922
 Course in General linguistics. New "Translated"
 York 1959. Schaade, Sibawaihi Lautlehre, Leiden
 1911. Schaeffer, G.F.A. Ugaritica TV, Paris 1962, V,
 Paris 1968, VI, Paris
 Vocabulista in arabico. ."ed" .Schiaparelli, C .1969
 .Firenze 1871. Ristampa: 1971/72
 Schfesinger, M. Satzlehre der nrarnalschen Sprache
 .des babylonischen Talmuds. Leipzig 1928

Schokel, L.A. Estudios de poetica Hebrea Barcelona
.1963

Schmidt, W. und G. DelNng. Worterbuch zur
Bibel. Hamburg. Zurich

Schulthess, F. und E. littmann. Grammatik .1971
des christlichpalastinischo
Aramaisch. Hrsg. V.E. litlmann, Tiibingen 1924,
.Neudruck: 1965

Schwarz, K. Verzeichnis deutschsprachiger
Hochschulschriften zum islamischen Orient 1884–
.1970. Freiburg 1971–72

(375/1)

Current trends in linguistics. Vol. ."ed" .Sebeok, T.A
6, linguistics in
South West Asia and North Africa. The Hague
1970. Seidl, S.H. Gedanken Zum Tempussystem im
–Hebraischen und Akka
dischen. Wiesbaden 1971. Selim, G.D. American
–doctoral dissertations on the Arab World 1883
Washington 1970. Schramm, G.M. An outline .1968
of classical arabic verb structure Language
Schreiher, G. Der arabische dialekt von .1962 ,38
Mekka. Freiburg 1971. Sellin, E. und G. Fohrer.
Einleitung in das Alte Testament. Heidelberg
Semaan, K.I. Linguistics in the middle ages. .1969
.Leiden 1968

Sezgin, F. Geschichte des arabischen Schrifttuins.

- Leiden 1967, 1972
- etc. Siddiqi, A. Studien iiber die persischen
Fremdwörter im Klassischen
Arabisch. Gottingen 1919. Siggel, A. Arabisch-
deutsches Wörterbuch der stoffe aus den drei Na-
tureichen, die in arabischen alchemistischen
Handschriften vor-kommen, nebst Anhang:
Verzeichnis Chemischen Geräte. Berlin 1950.
- Simon, M. Punique ou berbère ? Bulletin, Institut
.de philologie et d'Histoire Ori. et Slaves 1953
- Singer, H. Grundzüge der Morphologie des
arabischen Dialektes von Tetuan, in: ZDMG 108,
.1958, s. 229–265
- .Neuarabische Fragewörter. Diss. Erlangen 1958 ,—
- .Skinner, B.F. Verbal Behaviour. Appleton 1957
- Arabic dialect studies, A . "ed" .Sobelman, H
.Bibliography Washington 1962
- and R.S. Harrell, A dictionary of Moroccan ,
.Arabic: English– Moroccan. Washington 1963
- Socin, A. Der arabische Dialekt von Mosul und
.Mardin. Leipzig 1904
- .Diwan aus Central–arabien. Leipzig 44, 1901 ,
- Soden, W.v. Akkadisches Handwörterbuch.
.Wiesbaden 1965 etc
- and W. Rollig. Das akkadische Syllaber. 2., Völling ,
neu– bearbeitete Aufl. Roma 1967. Analecta
.Orientalia 42
- .Sola–soil, J.M. L'infinif semitique. Paris 1961

-
- Smeaton, B.H. Some problems in the description of
.arabic. Word 12, 1956
- Smend, R. und A. Socin Die Inschrift Des konigs
.MeSa von Moab. Freiburg 1886
- Smith, H.L. The phonology of Arabic lang. Words
.in Old Spanish. Minneapolis 1953
- Sperber, A.A. A historical grammar of biblical
.Hebrew. Leiden 1966
- Spitaler, A. Grammatik des ncuaramaischen
Leipzig 1938. "An-tilibanon" Dialekts von Ma'lula
.Neudruck 1966
- Torczyner, H. Die Entstehung des semitischen
.sprachtypus. Wien 1916
- Trager, G.L. and F.A. Rice. The personal pronouns
.system of classical Arabic Language 30, 1954
- Trubetzkoy; N.S. Grundziige der phonologic
.Prague 1939, Gottingen 1967
- Twaddell, W.F. On defining the phoneme lg.
.Monograph 16, 1966
- Aramaic handbook in 4 vols. Wiesbaden 1967. ,
.Porta lingua-rum Orientalium
A Grammar of biblical Aramaic. Wiesbaden , :—
.1968, Portalinguarum Orientalium
- Ullendorff; E. Ethiopia and the Bible. London 1968
.The Ethiopians. London 1960 ,
.Exploration and study of Abyssinia, Asmara 1945 ,
.The Semitic languages of Ethiopia. London 1955 ,
- What is a Semitic language? in: Orientalia, January ,
.1958

- Ullmann, S. Principles of semantics. Oxford 1957
 Semantics. An Introduction to the science of ,
 .Meaning. Oxford 1962
- Ungnad, A. Grammatik des Akkadischen. Vollig
 .neubearbeitet von L. Mltous. Miinchen 1969
 .Syrische Grammatik. Miinchen 1913 ,—
- Voliers, K. The system of arabic sounds as based
 upon Sibaweih and
 The vowels of verbs with third weak Radical. .--
 Journal of the
 .Faculty of Arts. Malta 1957
- Sydon, P.P. The Pre-Arabic Latin Element of
 .Maltese. Orbis 1956
- Spitta-Bey, W. Grammatik des arabischen
 .Vulgardialektes von Agypten
 .Leipzig 1880

(377/1)

-
- Spulet, B. Die Ausbreitung der arabischen Sprache
 Handbuch der Orientalistik, Semitik 245–252
 .Leiden 1954
- Steinschneider, M. Die hebraischen Obersetzungen
 .des Mittelalters. Berlin 1893. Neudruck 1956
 .Jewish literature. London 1857. Reprint: 1967 ,
- Stetkevych, J. The Modern Arabic literary
 .language. Chicago 1970
- Stevenson, W.B. Grammar of Palestinian Jewish
 .Aramaic. Oxford 1966

- Struck, H.L. Einleitung in Talmud und MidraS,
Miinchen 1901
- .Hebraische Grammatik. Miinchen 1952 ,
- Strothmann, W. Die Anfänge der syrischen Studien
.in Europa. Wiesbaden 1971
- Sultanov, A.F. National language and script reform
in countries of the Arab East. Trans, by: Moshe
.Perlmann, unpublished. Moscow 1953
- Sutcliffe, E.F. A grammar of the Maltese language
with chrestomathy
.and Vocabulary. London 1936
- Ibn ya'ish. London 1893. Vollers, Volkssprache und
–Schriftssprache im alten Arabien, Strass
burg 1966. Neudruck: 1972. Wagner, M. Die
lexikaliichen und grammatikalischen Aramaismen
.imalttestamentlichen Hebraisch. Berlin 1966
- echter, P. Ibn Barun's Arabic works on Hebrew
.grammar and lexicography. Philadelphia; 1964
- Wehr, H. Beitrage zur Lexikographie des
Hocharabischen der Gegen– wart, in: Islamica,
.1934, 4 S. 435–449
- Entwicklung und traditionelle Pflege der ,–
arabischen
Schriftsprache in der Gegenwart, in: ZDMG, 1943 ,
.97, I, S
.46–16
- Die Besonderheiten des heutigen Hocharabischen ,
mit Be–rucksichtigung der Einwirkung der
europaischen Sprachen, in: MSOS XXVII, II, pp. 1–
.64. Berlin 1934

Nr. " Der arabische Elativ. Mainz, Akademie, 1952 ,
."7,S. 567–621
Arabisches Wörterbuch für die Schriftsprache ,—'
der Gegen
.Wiesbaden 1959–68 ."Arabisch–Deutsch" wart
Supplement zum Arabischen Wörterbuch. ,—
.Wiesbaden 1959

(378/1)

A dictionary of Modern written Arabic. Ed. by: M. ,
.Cowan
.nd. printing, Wiesbaden 1962
Die grammatischen Schulen von kufa und .Weil, G
.Basra. Leiden 1913
Weingreen, J. A practical grammar for classical
.Hebrew. London 1959
Classical Hebrew composition. Reprint: London ,
.1962
Weinreich, U. Explorations in semantic Theory, in:
Current Trends in linguistics III, Ed. by: Sebeok,
.Thomas, A. The Hague 1966
.Languages in contact. The Hague 1953 ,
Wensink, Some aspects of gender in the Semitic
.languages
Whorf, B.I. Language Thought and Reality:
.selected papers, New York 1956
Wild, S Das Kitab al 'Ain und die arabische
.lexikographie. Wiesbaden 1965

.Williams, R. J. Hebrew syntax. Toronto 1967
Winnett, F.V. and W.L. Read. Ancient records from
.North Arabia. Toronto 1970
A study of the lihyanite and Thamudic
.Inscriptions. Toronto 1937
Wright, W. A grammar of the Arabic language.
.Cambridge 1967
Lectures on the comparative grammar of the
Cambridge .ed. by: W.R. Smith" Semitic languages
.1890. Reprint: 1966
.Young, G.D. Concordance of Ugaritic. Roma 1956
Yushmanov, N.V. The structure of the arabic
language. Trans, by: Moshe perlmann. Washington,
.D.C. 1961

(379/1)
